المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية
بالرياض

٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣١١٦
٠٠٠١٣٦

الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث

قيمه الفنية في موازين النقد

رسالة ماجستير
في النقد الأدبي

أعدها / محمد بن عبده بن محمد شبيلي .

إشراف

الأستاذ الدكتور / بدوي أحمد طبانة .

١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمـــد لله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، والصلاة والسلام على رسول الله القائل : " ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمـــــة " وبعد :ـ

فقد وقع اختيارى على ((الاتجــــــاه الاسلامى فى الشعر السعودى الحديث قيمه الفنية فى موازين النقـــــد)) موضوعا لدراســـتى لاهميته من ناحيـــة ولعلاقته الوثيقة بالعقيدة الاسلاميـــة ، التى تملأ حياتنا ، وتوجه سلوكنـــا فى هذه الحياة .

وهنالك باعث آخر حفز على تخير هذا الجانب من أدبنا السعودى ، ومن الشعر بوجه خاص وهو مـــا أحسست به من الحاجة الى انفراده بالبحث والدراسة ، بعد أن رأيت الاتجاه الاسلامى يمثل ظاهرة واضحة في الشعر السعودى الحديـــــث ، وقد رأيت أن جل الباحثين فى هذا الشعر يتجهـــون الى دراسته دراسة يمكن أن توصف بأنها دراسة تاريخية يذكـــرون فيها حياة هذا الشعــــــر ونهضته فى العصــــر الحديث ، أو يعمدون الى دراسة شاعر من الشعـــراء أو عـــدد محدود منهم . وقل منهم من عنى بالجانب الذى تخيرته لدراستى ، التى أردت لها شيئا من العمـــــق ، فقد أصبحنا لانقيس البحوث بسعتها ، ولا بطولها وعرضها ، وانما نقيسهـــــا بمقياس الاصالــــــة والعمق .

وذلك ما تحريته جهد طاقتى فى هذه الدراسة التى أردت لها أن تكـــون دراسة علمية موضوعيـــــة ، وأن تغلب عليها روح النقد والتقويم ، وذلـــــك لتخصصى فى البلاغة والنقـــد ، فكانت هذه الدراسة النقدية أو التقويميـــة جديدة فى مجالات دراسة الشعر المعاصـــــر .

وقد عمدت الى توضيح مفهوم الشعر الاسلامـــى ومجالاته ، كما رأيتــــه فى نتاج الشعراء السعوديين ، وكشفت عن الموضوعات التى عالجـــها هذا الشعر ، ثم عمدت الى تلك الدراســـــة النقدية المتخصصة .

وأود أن أشير الى أن منهجى فى هذه الدراسة كان منهجـــــا نقديا كما كان منهجا فنيا . وقد نحيت فى بعض أجزاء الدراسة منحى المقارنـــــة ، والموازنة بين الاتجاه الاسلامى فى الشعر الحديث والاتجاه الاسلامى فى العصور السابقة فى الشعر العربى القديم وذلك لاننى رأيت أن هذا الاتجاه اتجاه قديم ، أو اتجاه أصيل فى الشعر العربى منذ بعث الله رسوله بالهدى ودين الحـق ، وذلك لاتبين معالم الجدة فى شعر المعاصرين الذين اتجهوا هذا الاتجاه . وقد رأيت كثيرا من الموضوعات التى تمس العقيدة الاسلاميـــــة قد دخلت فى دائرة هذا الشعر الذى تأثر بكل ماجد فى الحياة المادية أو الحياة الروحية ، وموقف الشعر الاسلامى من تلك التيارات المتصارعة ، والتى تشهدها فى هذا الزمان ، ولم يكن لها وجود فى تاريخنا القديم .

وقد اعتمدت المنهجين (الفنى ـ والنقدى) منهجا للدراســـة ، بحيث تعالج النصوص ويدرس ما فيها من قيم فنية ، فى اطارها ومضمونها وصورها ، ثم الحكم لها بالجودة أو عليها بالرداءة .

ومن الطبيعى أن تكون مصادر هذه الدراسة هى دواوين الشعراء وأعمالهم المنشـــــورة فقد عمدت اليها ، واستقيت منها المادة التى بنيت عليها هذه الدراسة ، بعد أن استقرأتها فى دواوينهم .

وهناك مراجع أدبية ونقدية أفدت منها فى هذه الدراسة ، وقد أشرت اليها والى أصحابها وطبعاتها فى ثبت فى آخر هذا البحث ، بالاضافة الى قراءتى الكثيرة التى اتجهت بى الى التخصص فى مجال النقد الادبى . وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن أنظمها على النحو الاتى :

تمهيد :

عرضت فيه الى الاشارة الى العوامل الفعالة فى شعر هذا الاتجاه .

الفصل الاول :

(مفهوم الشعر الاسلامى)

وفيه أشرت الى الشعر الدينى فى الآداب الانسانية ، ثم وضحت مفهوم الشعر الاسلامى ، ثم تعرضت لفنون الشعر السعودى الحديث .

ومنزلة الشعر الاسلامى بينهما .

الفصل الثانى :

(موضوعات الشعر الاسلامى)

أشرت فيه الى أهم الموضوعات التى عالجها الشعر الاسلامى ، كالشعر الذى يتصل بالعقيدة الاسلامية ، ويحارب المبادئ الهدامة للقيم الاسلامية ، ويد عوالى التضامن الاسلامى ، ويمجد المقدسات الاسلامية ، وما جاء فى مناجاة الخالق عز وجل .

الفصل الثالث :

(مبانى الشعر الاسلامى)

وفيه تناولت بالحديث القوالب التقليدية ،ومظاهر التجديد فى هذه القوالب مع الاشارة الى أعلام المجددين فى تلك القوالب .

الفصل الرابع :

(معانى الشعر الاسلامى)

وأشرت فيه الى المعانى التى تأثر فيها الشعراء بسابقيهم ، واستوحوها من معانيهم ، أو من معانى القرآن الكريم ، والحوادث الاسلامية المشهورة ثم تحدثت عن معالم التجديد فى هذه المعانى وعن الصدق الفنى والصدق الشعورى والوحدة وأبرز مظاهرها .

الفصل الخامس

(الصورة الفنية فى الشعر الاسلامى)

وفيه وضحت معنى الصورة ، وما اعتمدت عليه من حقيقة أو خيال ، ومن مادة أو معنى ، وتنوعها من سمعية أو بصرية أو حركية .

الفصل السادس

(الشعر الاسلامى فى هذا العصر ، والموازنة بينه وبين الشعر الاسلامى فى العصور السابقة) .

مع اشارة الى عيون القصائد الاسلامية فى الشعر العربى فى المملكة وفى سائر انحاء العالم العربى والاسلامى .

وختمت البحث بخاتمة أوجزت فيهامافصلته فى ثنايا الدراسة وذكرت فيها النتائج التى استطاع هذا البحث أن يحققها .. وبعد ،

فلا يفوتنى فى هذه العجالة أن أسجل اعترافى بالجميل لاستاذى الجليل الاستاذ/ الدكتور/ بدوى طبانة . وأجدنى عاجزا عن اختيار عبارات الشكر وأساليب الثناء على هذا العالم الجليل ، والمربى الفاضل والانسان العظيم فى معاملته وتوجيهه.

واذا كان الباحثون ـ أمثالـــى ـ يشكرون الاساتذة المشرفين مرة واحدة فاننى أشكر أستاذى المشرف على هذا البحث مرتين . (الاولى) لانه تفضل وقبل الاشراف على رسالتى ـ وهذا شرف لى اعتز به وافتخر ـ ثم كان معى خطوة بخطوة يرشدنى الى مالا أهتدى اليه ، ويصلح ما لا أستطيع اصلاحه فى كل مراحل البحث . (والثانية) لانه احتملنى كثيرا وواجه تقصيرى المستمر بصـــدر رحب ونفس راضية ، ولولا الله ثم هذه المعاملة التى أعجز عن التعبير عنها ـ لما رأى هذا البحث النور . فلة منى أبدا كل شكر وتقدير واجلال ، وله من الله الثواب والاجــر .

كما أشكر كلية اللغة العربية ممثلة فى عميدها ووكيلها وأعضاء هيئة التدريس بهـــا ، تلك الكلية التى أعتز بالانتماء اليها لانتمائها الى لغة القرآن الكريم .

كما أشكر كل من مد لى يد المساعدة فى انجاز هذا البحث من أساتذتى وزملائـــــى المخلصين الاوفيـــــــاء

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

محمد عبده محمد شبيـــــــلى

تمہید

لم تكن الاتجاهات الأدبية وليدة العصر ، الحديث ولم تكن وقفا على أدب أمة من الأمم ،بل انها عامل مشترك بين العصور المختلفة قديمها وحديثها ، وبين آداب الأمم المتباينة اسلامية كانت أو غير اسلامية .

والأدب السعودى واحد من الآداب المتميزة فى العصر الحديث ظهرت فيه بعض الاتجاهات الحديثة التى اتسمت بها آداب الأقطار العربيه فى عصر النهضة الحديثة ،خاصة فى مصر والشام والعراق .

ويغلب على الشعر السعودى الاتجاه الاسلامي ، وان كانت هناك اتجاهات أخرى اجتماعية وسياسية .

ولا شك أن سيطرة هذا الاتجاه — أعني الاتجاه الاسلامى على الشعر السعودى كانت نتيجة عوامل مختلفة :

فهناك عوامل تتصل بالعقيدة الاسلامية :

ذلك أن هذه البلاد هي مهبط الوحي ومبعث الرسالة المحمدية الخالدة وهي تضم قبلة المسلمين وأعظم بقعتين مقدستين على وجه الأرض المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالاضافة الى بعض المشاعر التي ترتبط بدين الاسلام وبعض أركانه كمنى وعرفات ومزدلفة والمشعر الحرام والتى ترتبط بتاريخ دعوة الاسلام الخالدة كغار حراء وجبل النور ،وبعض البقاع التى شهدت المعارك الفاصلة فى تاريخ الاسلام بين الحق والباطل كبدر وأحد .

ان هذا الحشد من المقدسات الاسلامية يحتل مكانة مرموقة فى نفوس المسلمين بعامة ، والسعوديين بخاصة ولم يكن الشاعر السعودى ليغيب عن خاطره مثل هذه المكانه العظيمة التى ينفرد بها بلده من بين سائر

بلاد المسلمين ولم تفقد هذه الموروثات العقدية السيطرة التامة على نوازع وكوامن نفوس الشعراء السعوديين بل طبعت شعرهم بطابعها الاسلامي الخالص من شوائب المبادئ والمعتقدات الدخيلة" .

واذا كان الشعراء السعوديون المحدثون قد تناولوا شتى الاغراض ومختلف الاتجاهات فان سيطرة النزعة الاسلامية بقيت واضحة في تلك الاغراض المتنوعة والاتجاهات المتعددة .

مما يؤكد قوة الأثر الذى تركته العقيدة الاسلامية فى شعر هؤلاء الشعراء ومما يجعل العامل العقدى من أقوى العوامل الباعثة على بروز الاتجاه الاسلامي في الشعر السعودى الحديث .

وهناك عوامل تاريخية فعالة فى بروز هذا الاتجاه فى العصر الحديث اذ لا يغيب على دارس الأدب السعودى تلك الجذور التاريخية التى قامت على أساسها الدولة السعودية منذ ولادتها حتى الآن .

فنحن نعرف أن الامام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية قد تحالف مع الامام المجدد والداعية المخلص محمد بن عبد الوهاب على إقامة دولة في جزيرة العرب على أساس اسلامي صحيح ، دولة تجعل دستورها كتاب الله سبحانه وتعالى ، وسنة رسولة صلى الله عليه وسلم ، وتعمل على إقامة الحق والعدل ، وتنقية الشريعة والعقيدة الاسلامية من كل زائف ، وطمس معالم الشرك والخرافات والأوهام والمبادى والشعارات الزائغة وعلى ذلك الأساس نشأت الدولة السعودية الأولى فى الدرعية .

وامتدت لتشمل معظم الجزيرة العربية ، بل غطت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاصلاحية سائر أرجاء الجزيرة العربية ومن ذلك التاريخ ارتبطت دولة آل سعود

UMM AL-QURA UNIVERSITY

بجذور اسلامية عميقة ، مما جعل أجزاء الجزيرة العربية تدخل تباعا في ظل هذه الدولة ،ومما جعل المناوئين لآل سعود يسقطون تباعا حتى كان الفجر الساطع الذى اشرق على الجزيرة العربية ووحد أجزاءها ولمّ شملها على يد القائد والموحد الاسلامي الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذى وطد حكم آبائه وأجداده في هذه البلاد ، وولدت على يديه الدولة الفتية التي انتظمت بقية عقد الجزيرة تحت مسمى المملكة العربية السعودية .

ان هذا البناء التاريخي الذى يستند على خلفية تاريخية اسلامية شدّ شعراء هذه المملكة برباط وثيق ،جعلهم دائما على صلة بالاتجاه الاسلامي في كل مايقولون منذ ولادة الدولة السعودية الاولى حتى الوقت الحاضر.

ثم ان هناك عوامل اجتماعية متعددة وثيقة الصلة بسيطرة الاتجاه الاسلامي على الشعر السعودى الحديث .

اذ لا يخفى على دارس وناقد الشعر السعودى الموقف المشرف للشعراء من كل مظاهر التفكك والانحلال في المجتمعات المعاصرة .

لقد سرت موجة الانحلال والتفكك الديني والخلقي في كثير من بلدان المسلمين وتسربت ألوان من المبادئ الهدامة الى شعوب المسلمين ، وقد وجد هذا الانحلال وتلك المبادئ بعض الآذان الصاغية ، والايدى الصفقة والحناجر الهاتفة بدعوى التحضر والمدنية والتجديد في نسق الحياة وانماط السلوك وهجر الرجعية والتخلف ، نتيجة الاستعمار الفكرى والعسكرى للبلاد الاسلامية

وانبهار شباب الجيل بزخرف الحضارة الغربية ، وما صاحبها من الوان الحضارة الفكرية التى كان لها أثر في خدمة الانسانية . وتسللت الى المجتمع الاسلامي كثير من مظاهر التحلل بدعوى الحرية التى لا تكبح جماحها قيمة من القيم الانسانية المجمع على سلامتها وأثرها فى بناء الأمم .

كما ظهرت الدعوات والشعارات الزائغة المحاربة للاسلام كالقومية والوطنية والاشتراكية ، وغيرها من المبادى الهدامة ، التى كانت وبالا على بلاد الاسلام وأهله وعاشت بعض البلاد الاسلامية تعاني مرارة التجربة مع هذه المبادى ، وكانت النتيجة ضياع البلاد والعباد ، حتي أحس العالم الاسلامي بحاجته الى العودة الى أحضان الدين ،والاستظلال بظلاله الوارفه ، والتمسك بقيمه الرشيدة .

وكانت هذه البلاد السعودية أكثر احساسا بهذه العودة الى الله والى التمسك بما شرع الاسلام من قواعد وأصول لبناء المجتمع السليم الذى يحفظ لكل ذى حق حقه ويوازن بين حياة الفرد وحقوقه ومتطلباته ،وحقوق الجماعة ومتطلبات حياتها وبقائها وامام هذه التيارات الدخيله الوافده ،حمى الله هذه المملكة من ويلات تلك المبادى ، وكان للشعراء السعوديين صوت مسموع ،يناهض تلك المبادئ ويوضح زيفها وبطلانها وفسادها ،وعدم صلاحها لرعاية المجتمعات الاسلامية .

وقد تصدى لهذه الدعوات الهدامة ، وشرح مغبتها ووخامة عاقبتها وحذر من الوقوع فى حبائلها عدد من شعراء هذه البلاد ، نذكر منهم في هذه العجاله الشاعر محمد حسن فقي اذ يقول :(١)

---

(١) ديوان محمد الفقي (قدر ورجل) ص (١٦٠ ، ١٦١) ط الاولى

أترى الربوع الحاليات بسندس … من أرضنا تغدو ربوع يباب

أو يصبح الاسلام بعد توطن … فينا وتمكين من الأغراب

صدق النبي فهذه أعلامه … تهوى بأيدى ساخطين غضاب

قد أعرضوا عنه الى مسترذل … مما يلفق أحمق الكتاب

هذى العقائد كلها محمومة … من حقد موتور وزيف محابي

لله أمتنا فكم قد كابدت … من كيد منتسب ولؤم مرابي

رزئت باسلامية وعروبة … نكراء تطرب للدم المنساب

رزئت بها دعوى تطن عريضة … برئت من الأديان والأحساب

فالشاعر يتساءل عن مصير الاسلام وأهله ودياره ، ويستنكر تلك الدعوات والشعارات التي لا تمت الى الاسلام بصلة .

وقريب من هذا قول عبد الرحمن العشماوى الذى يلوم أمتـه على ما انغمست فيه من ملاهـي وعلى قبولها لتلك الدعوات والشعارات الزائفة فيقول (١)

يارعى الله أمتي كيف يجلو   همها المال والفراش الوثير
كيف تسمو وبينها قوصيّ   وعريق في فسقه مخمور
قل لمن غره النعيم وولّى،   في ضلال انّ الزمان يدور
كيف تنجو سفينة في احتدام الموج ،ربانها ضلال وزور
ميزوا بين زائف وصحيح   أفكل الذى يلين حرير ؟!

ونقرأ الأبيات التالية لمحمد الدبل والتى يندد فيها بتلك المبادىء الدخيلة ومالها من آثار سلبية على الأمّة الاسلامية فيقول : (٢)

دمشق اذكرى مجدا قديما لأمة   تطاول في بنيانه كل ماهر
وكم دولة في حاضر الشرق سددت   اليها طعان الخلف من كيد غادر
ينفذ فيها الغرب قانون كفره   ولا يستفيق القوم ثقل الجرائر

---

(١) ـ ديوان عبد الرحمن العشماوى (الى امتي) ص (٧١)

(٢) ديوان محمد الدبل (اسلاميات) ص ٣٩ ، ٤٠ ط الثانية

رئيس و مرؤوس وحـــزب وثـورة   ومحكمة مابين خصم وثائــــــــــر

وغايتنا التصفيق في كل محفل   حسبنا تراث المجد هز المنابـر

وما القول يغني حينما الفعل مهـــــــــدر

وآية ذل القوم قطـع الأواصـــــر

وكيف ترجي وحدة عربيـــــــــــــــــــــة

ونحن ودين الله حرب البواتر

يعز علينا أن تهان عروبـــــــــــــــة

ولا نتحاشى ديننا من مواتـــــر

لعمرك ما لقانون الاضـلالـــــــــــــة

وهل يبنين المجد عمي الصائـــر

أقومية أم عصبـة أم شـريعـــــــــــة

بواطنكم معلولة كالظواهـــــر

فالشاعر ـ هنا ـ ينا هض تلك القوميات والعصبيات ،وقطع الصلات بين الامة الاسلامية . وينعى على بعض البلاد الاسلامية مجاراتها للدول الكافرة وتقليدها ،ويرجع ذلك الى ضعف الشخصية الاسلامية ،وفقدانها لهيبتها .

xxx xxx xxx

ولا نستطيع في هذا المجال استقصاء ماحفل به الشعر السعودى في هذه المرحلة من التصدى لتلك الدعوات المأفونه ، وتحذير المسلمين أفرادا وجماعات من الوقوع فى شراكها .

وفي هذه الدراسة ،سنعمد الى تفصيل القول فى ما اضطلع به الشعر السعودى المعاصر من أعباء هذه الدعوة ، والحفاظ ، والحفاظ على القيم الاسلامية ، وضرورة الاستمساك بالعروة الوثقى ، التى لا نجاة الا بالتشبث بها . كما سنعرض مايتسع له المجال من أعمال سائر الشعراء الذين اتجهوا بشعرهم الى تلك الآفاق الرَّحبة ، والى الينابيع الصافية من أصول عقيدتهم المطهرة .

الفصل الأول

مفهوم الشعر الإسلامي

٢) الشعر الديني في الآداب الانسانية :

احتل الشعر الديني ،أو الاتجاه الديني في الشعر — على مرّ العصور مكانة مرموقة بين فنون الشعر المختلفة ،واتجاهاته المتعددة ،بدءًا بالآداب اليونانية القديمة ،ومرورا بما تلاها من آداب خاصة في مجال الشعر حتى عصرنا الحاضر.

ولعل هناك أسبابا جوهرية ، كفلت لهذا النوع من الشعر الشيوع والبقاء وعلوّ المكانة . ومن هذه الاسباب :

اولا : نزعة الأمم والشعوب الفطرية الى التدين ،باعتبار الدين أمرا ضروريا وهاما لتنظيم حياة الناس ومعايشهم ، وتنظيم علاقاتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ببعضهم ،وأن عدم الانتماء لدين ما مدعاة للفوضى والهمجية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والخلقية،ومن هنا كان الاهتمام بالجانب الروحي وتصوير المعتقدات والاشياء المقدسة في الأعمال الأدبية - وخاصة الشعر منها - أمرا حتميا ولازما ،باعتبار الجانب الروحي أساسا للحياة ،ولأن وحدة الاعتقاد عامل كبير في وحدة الأمة وتماسكها وسعيها الى ماتتطلع اليه من حضارة وسيادة

ثانيا : توافر عنصر الصدق الشعورى في الشعر الديني ،فالبيت أو الابيات التى يطلقها الشاعر معبرا بها عن كامن معتقده وعن صفاء روحه ونقاء سريرته وعن احساسه العميق بشىء ماتتوحد فيه المشاعر ،وتدين له العقول والقلوب ، والحديث عن المقدسات التى تهوى اليها نفس الشاعر ، كل ما يصدر عن الشعراء في هذا وذاك ،على اختلاف معتقداتهم ،وتباين مقدساتهم من شعر يمس جانب الروح

والمعتقد نلمس فيه بوضوح الصدق الشعوري فالشاعر لا يحتاج هنا الى أن يجهد نفسه معايشتها ،وفي محاولة التأثر بها ونقلها الينا ،ثم محاوله التأثير علينا وحطنا على مشاركة في التجربه لنقةً أو لما .

وهذا الشعرالديني سائر المتلقن انشاده ومتعته موصوله لصلة بما تؤمن به الجامعه أياً كان هذا الايمان وأيا كانت النحلة التى تنتحلها الجماعة فان هذا الشعر لا يقف عند حدود الاذان ولكنه نيفذ منها الى القلوب والارواح فتجد فيه اللذة والسلوى .

ولذلك نهض الشعر الملحمي والشعر المسرحي عند الامة اليونانية في تاريخها القديم على أساس معتقداتها ،وان كانت هذه المعتقدات خرافيه ،واساطير لا يرضى عنها الفكر الاسلامي السليم .

وربما كانت المسرحيات الشعرية الدينية موجودة قبل اليونانيين في آداب سبقوهم واليونانيون عملوا على تطويرها .

وربما كانت المسرحيات الشعرية الدينية ، موجودة قبل اليونانيين ،في آداب من سبقوهم واليونانيون عملوا على تطويرها .

ومن هنا غلب الظن على أستاذنا الدكتور بدوى طبانة ، أن المسرحية اليونانية كانت مدينة لتمثيليات مقدسة ، كان يقوم بها رجال الدين الممثلون فى مصر القديمة يقول أستاذنا في هذا الصدد : (ولعل التسلية المسرحية كانت موجودة قبل ذلك بمئات السنين ،وغالب الظن أن اسخيلوس وقدامى كتاب المسرح اليونانيين ،كانوا مدينين بدين كبير في موضوع مسرحياتهم وشكلها للمثلين من رجال الدين الذين ، كانوا يمثلون المسرحيات المقدسة في مصر القديمة ،فنحن نعلم أنه كانت هناك تمثيليات دينية تمثل في (أبيدوس)(١) فى الألف الثانية أو الثالثة قبل الميلاد تخليدا لذكرى موت (أوزيريس)(٢) (٣)

وكانت أغلب مسرحيات (اسخيلوس)-وهو من أكبر شعراء المأساة اليونانية القديمة- معتمدة على أساطير ومعتقدات قومه الدينيه ، (ولذلك كانت تدور كلها حول موضوعات دينيه تعتمد على الاساطير ،ولذلك ظهر فيها بوضوح ،ايمانه المطلق بالالهة (٤)

وقد اشتهر الغناء الديني عند العرب في الجاهليه ،وكان يحتل مكانة رفيعة .

---

١) (أبيدوس) بلدة غرب الأقصر ،أوهي الأقصر بمصر .

٢) (أوزيريس) الة الخير .

٣) (النقد الأدبي عند اليونان) د /بدوى طبانة . ص ٨١ ، ط الثانية المطبعة الفنية الحديثة

٤) المرجع السابق ص ٨٢ .

بين أنواع الغناء عندهم ،فقد كان لهم في جاهليتهم مناسك وشعائر دينية كانوا يقدسون الكعبة ،ويحجون اليها .

كما كانت لهم أصنام وأوثان في أماكن أخرى يقدسونها ويسجدون لها،ومن المؤكد أنه كان وراء كل صنم أو وثن أسطورة أوخرافه يؤمن بها أولئك الوثنيون .

كما كان للعرب في الجاهلية طواف وتلبيات مختلفة ،يتكون بعضها من جمل قصيرة ذات أجراء موسيقية تصل موسيقاها أحيانا الى درجة الوزن الشعرى في الأبحر المجزوءة (١)

وفي رسالة الغفران يذكر أبو العلاء المعرى أنواعا للتلبية عندعرب الجاهلية فمنها ماجاء مسجوعا بلاوزن . كما في قولهم :-

لبيك ربنا لبيك والخير كله بيديك

ومنها ماجاء على وزن مفهوك الرجز والمنسرح . فمن الرجز قولهم .

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك

الا شريك هو لك تملكه وما ملك

أبو بنات بفدك (٢)

ومن المنسرح قولهم :-

---

١) انظر (القيان والغناء في العصر الجاهلي) د/ناصر الدين الاسد ص ١٤٤ ، ١٤٥) ط الثانية

٢) (فدك) قرية بالحجاز أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم عام ٧هـ

لبيك ربهمدان — من شاحط ومن دان

جئناك نبغي الاحسان — بكل حرف مذعان (١)

نطوى اليك الغطيان — نأمل فضل الغفران

ومنها ماجاء على وزن مشطور السريع والرجز .. ومن مشطور الرجز تلبية تميم :

لبيك لولا أن بكرا دونكا — يشكرك الناس ويكفرونكا

مازال مناعثج يأتونكا (٢)

ومن مشطور السريع تلبية همدان :-

لبيك مع كل قبيل لبوك — همدان أبناء الملوك تدعوك

قد تركوا أصنامهم وانتابوك — فاسمع دعاء في جميع الأملوك (٣)

وقولهم :

لبيك عن سعد وعن بنيها — وعن نساء خلفها تعنيها

سارت الى الرحمة تجتنيها (٤)

ففي الغناء الديني ، الذى كانوا ينشدونه أفرادا وجماعات ، وفي التلبيات الانفه الذكر دليل على وجود النزعة الدينية ، أو الاتجاه الديني فى الشعر عند الجاهليين فاذا عبرنا - تاريخيا - الى العصر الاسلامى ، لنتبين مكانة الشعر الاسلامي

---

١) الحرف) الناقة الضامرة الصلبة ، شبهت بحرف الجبل أو حرف السيف .

٢) العثج) ، والعثج : والثعج : الجماعة من الناس فى السفر .

٣) الأملوك : اسم جمع بمني الملوك ، وقيل : الاملوك قوم من العرب من حمير .

٤) انظر بحث التلبية فى (رسالة الغفران) للمعرى . ص ٥٢٤ - ٥٣٧ الطبعة الخامسة بتحقيق وشرح د / عائشة عبد الرحمن . طبعة دار المعارف بمصر .

فى تاريخ المسلمين ، فاننا سنقف أمام حشد شعرى ، ينبض بروح الاسلام ويتحدث بلسانه ، يتبنى أفكاره ومعانيه ، وينهج أسلوبه فى الحديث عن الحياة وشؤونها المختلفة ، عن الرسالة والرسول ، عن الدعوة التى جاءت لتخرج الناس من الظلمات الى النور ، عن آمال المسلمين وآلامهم ، عن كل صغيرة وكبيرة فى حياة المسلمين اليومية الجديدة .

ففي هذه الفترة كان شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم - كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم من الشعراء المسلمين ، قد قصروا شعرهم على الدفاع عن الدين الجديد ، وبيان أهداف ومزايا الدعوة الاسلامية ، والمنافحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما وصف الشعراء الاسلاميون معارك الاسلام الفاصلة ، ورثوا الشهداء المسلمين وأشادوا بالفتوح الاسلامية ، كما كان شعرهم عاملا قويا فى بث روح الحماس فى نفوس المجاهدين ، وتأليبهم على المشركين .

ولما كان ظهور الاسلام حدثا عظيما في حياة المسلمين ، كان له الأثر الواضح في تغيير منحى التفكير والتعبير عندهم ، كما هو الحال في سائر وجوه الحياة الأخرى .

ولذلك كان من الشعر ما برزت فيه الروح الاسلامية .

وكان الى جانب الشعر الاسلامي الذى يدعو الى الدين الجديد ، ويشيد بقيمه ومثله العليا ، ويتصدى لاعداء الدعوة الاسلامية ، أغراض شعريه أخرى كالغزل والمديح والفخر . وقد أصاب هذه الاغراض شيء من التأثر بالقيم الجديدة التى أفاءها الاسلام على نفوس الشعراء .

فالغزل : مال الى أن يكون عفيفا بعيدا عن الجسد ، وكشف العورات والتصريح بأسماء النساء .... الخ .

والمديح : لم يعد كاذبا ، بل ابتعد الشعراء عن المبالغة القرطة وعدلوا عن نعت الممدوح بالاسراف فى الطعام والشراب وكثرة القتل والنهب ... الخ ..

والفخر : لم يعد بالأحساب والانساب والقدره على السلب والنهب والقهر .

بل صار بسابقة القبيلة في الاسلام وما قدمته من دمائها وأموالها لمعارك الاسلام .

داخل الشعر الاسلامي يحتل مكانة رفيعة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر خلفائه الراشدين . فهو الذى سمعه فى مسجده وأقر شعراءه على النظم كذلك سمعه وأقره بعده خلفاؤه الرشدون .

وفي عصر بني أمية ،بالاضافة الى الشعراء الذين نحوا هذا المنحي الاسلامي برزت ظاهرة الزهد بوضوح وكان لها شعراء وقفوا شعرهم على هذا الفرض . فكانت قصائد هم الزاهدة تفيض بمعاني الخوف من الله والتحسب لليوم الآخر والطمع فيما أعده الله للمتقين فى الجنه والدعوة الى مكارم الاخلاق ونبذ القبيح منها وقد اشتهر من شعراء الزهد فى هذا العصر . (عروة بن أذينة) فقية المدينة و(عبد الله بن عبد الاعلى) مسكين الدرامي) وأبو الاسود الدؤلى)وسابق البربرى (١) هؤلاء الشعراء قصروا شعرهم على الزهد ولكن لم يكن الزهد مقصورا عليهم بل طرقه شعراء آخرون ". (ولعل من الطريف أننا نجد بعض الرجاز مثل أبي النجم العجلي والعجاج ،يبدأون أراخيرهم بالحمد لله والثناء عليه . وكثيرا ماتتحول الارجوزة عند ثانيها الى موعظة خالصة .

وتلقانا عند بعض الشعراء أدعية وابتهالات

---

(١) انظر (تاريخ الادب العربي العصر الاسلامي) د /شوقي ضيف (ص) ٢٧٢-٢٧٥) الطبعة الثالثة دار المعارف .

لله ، مثل قول ذى الرّمة يناجي ربه قبل موته :-

يارب قد أشرفت نفسي وقد علمت علما يقينا .. لقد أحصيت آثارى

يامخرج الروح من جسمي اذا احتضرت

وفارج الكرب .. زحزحني عن النار (١)

ومن نماذج الزهد فى هذا العصر قول أبي الأسود الدؤلي يذم الشباب (٢)

غدا منك فى الدنيا الشباب فأسرعا وكان كجار بان يوما .. فودعا

فقلت له : فاذهب ذميما .. فليتني قتلتك علما .. قبل أن تتصدعا ..

جنيت عليّ الذنب ثم خذلتني عليه فبئس الخلتان هما معا ..

وكنت سرابا ماضحا اذ اتركتني رهينة ما أجني من الشر أجمعا (٣)

وقول مسكين الدارمي (٤)

فان يبل الشباب فكل شيء سمعت به سوى الرحمن بال

ألا ان الشباب ثياب لبس وما الأموال الا كالظلال

وقوله أيضا (٥)

غيرأني امرؤ أعمم حلما يكره الجهل والصبا أمثالي

ويلام الكبير ان هو يوما راجع الجهل بعد شيب القذال

---

١) المرجع السابق ص (٣٧١) وديوان ذى الرمة ص١٨٧٤ - ١٨٧٥) ج/٣

تحقيق د/عبد القدوس أبو صالح . ط دمشق ١٣٩٣هـ

٢) ديوان أبي الاسود الدؤلي . ص(٨٧) ط الثانية تحقيق محمد حسن آل ياسين

٣) ماضحا : منتشرا . (٤) ديوان مسكين الدارمي . ص (٥٩) ط الاولى تحقيق عبد الله الجبورى / خليل العطية (٥) المرجع نفسه ص (٥٧)

ويجب ألا ننسى - هنا - أن الشعر السياسي ، الذى ازدهر في عصر بني أمية ، كان فى حقيقته شعرا دينيا ، لأنه كان المعبّر عن آراء الاحزاب السياسية ، وهي في حقيقتها أحزاب دينية . كلها تنتسب الى الدين وأن مبادئها هي مبادىء الدين كما يقرر أصحابها وتعاليمه ، وأن الاحزاب الأخرى ، أحزاب خارجة عن الدين ، يقال ذلك فى شعر الانصار وفي شعر الخوارج وفي أشعار الشيعة . اذ كانت كل فئة من هذه الفئات تدعى أنها صاحبة الحق في ولاية أمر المسلمين ، وأن مبادئها هي أقرب المبادىء الى روح الدين . وأنها الجديرة بالاحترام ، وانقياد المسلمين لها . ولم يكن حزب من هذه الأحزاب يدعو بغير هذه الدعوة ، أو يقيم فلسفته على اسباب أخرى غير الدين .

وفى العصر العباسي : استمرت موجة الزهد ، وكان من أبرز شعرائه أبو العتاهية ، وأبنه .

وكانت دواوين فحول الشعراء فى العصر العباسي ، من أمثال (ابن المعتز

و (الصنوبرى) و (ابن الرومي) ،لا تخلو من ابيات فى الزهد

يقول ابن الرومي ،من قصيدة يرسم فيها صورة للعابد الزاهد : (١)

بات يدعو الواحد الصمدا فى ظلام الليل منفردا
فى حشاه من مخافته حرقات .. تلذع الكبدا
كلما مرّ الوعيد به سح دمع العين فاطردا
قائل : يامنتهى أملى نجني .. مما أخاف .. غدا
وخطيئاتي التي سلفت لست أحصى بعضها عددا
ويح عينى ساء ما نظرت ويح قلبي ساء ما اعتقدا

= وأكثر شعر أبي العتاهية انما هو فى الزهد ، وكبح جماح النفس وشهواتها . ومن ذلك قوله : (٢)

قطّعت منك حبائل الآمال وحططت عن ظهر المطيّ رحالى
ويئست أن أبقى لشئ نلت مما فيك يادنيا .. وأن يبقى لي
فوجدت برد اليأس بين جوانحي وأرحت من حلي ومن ترحالى
ولئن يئست لرب برقة خلب برقت لذى طمع ـ وبرقة آل
ماكان أشام اذ رجاؤك قاتلي وبنات وعدك يعتلجن ببالي

---

١) انظر ديوان ابن الرومي ص (٧٧٦ = ٧٧٧) تحقيق د / حسين نصار ج / ٢) ط دار الكتب ١٩٧٤ م

٢) ديوان ابى العتاهية ص (٣٢٥) ط . دار صادر ودار بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٤٠ م

فالآن يادنيا عرفتك فاذهبي ... يادار كل تشتت وزول

ويقول - أيضا - في هذا الباب : (١)

ألا انما الدنيا متاع غرور ... ودار صعود مرة وحدور

كأني بيوم ماأخذت تأهبا ... له في رواحي - عاجلا - وبكوري

كفى عبرة أن الحوادث لم تزل ... تصيّر أهل الملك أهل قبور

خليليَّ كم من ميت قد حضرته ... ولكنني لم انتفع بحضوري

ومن لم يزده السن ماعاش عبرة ... فذاك الذى لا يستنير بنور

أصبت من الايام لين أعنة ... فأجريتها ركضا ولين ظهور

حتى أبونواس الذى عرف بخمرياته وخلاعته ومجونه لم يخل شعره من دعوة الى الرجوع الى الله فهو يقول (٢)

سبحان علام الغيوب ... عجبا لتصريف الخطوب

تغدو على قطف النفوس ... وتجتني ثمر القلوب

حتى متى يانفس تغترين ... بالأمل الكذوب

يانفس توبي قبل أن ... لا تستطيعي أن تتوبي

واستغفرى لذنوبك الرحمن ... غفار الذنوب

ان الحوادث كالرياح ... عليك دائمة الهبوب

---

١) ديوان أبي العتاهية . ص (١٩٦) ط دار صادر عن دار بيروت ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م

٢) ديوان أبي نواس ص (٦١٦) تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ط دار الكتاب العربي .

ففى النماذج السابقة صورة واضحة ،ودعوة صريحة الى الزهد في متاع الدنيا الزائل ،وزخارفها الفانية . والرجوع الى الله ،والتوبة اليه من فرط ماجنتة النفس الأمارة بالسوء . وهى نماذج تبين لنا الى أى مدى تغلغلت نزعة الزهد فى نفوس الشعراء فى هذا العصر . الذى يمتلىء بالمتناقضات ،والمغريات .

وفى عصر الحروب الصليبية كثرت المدائح النبوية ،وكثر قائلوها .وقد وقع الى هذه المدائح حب أولئك الشعراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمجيدهم لرسالته التى أخرجت البشرية من الظلمات الى النور .

وقد كان مديح الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا العصر وكذلك الزهد مختلطا بنزعة صوفية شديدة . ولكنه على أية حال مظهر من مظاهر الشعر الاسلامى فى هذه الفترة ـ على قدر تصور هؤلاء الشعراء لعظمة الدين الاسلامي .

وقد ظل الزهد يجتذب طائفة كبيرة من الشعراء ،في الفترات التي تلت الحروب الصليبية . وحفظ لنا تاريخ الآدب العربي أسماء كثير من الشعراء والزهاد وممن سموا بشعراء الفقهاء ،ممن كانت أشعارهم ذات اتجاه اسلامي محض وكذلك ظل الشعر الاسلامي بعامة .

والشعراء الذين نحواهذا المنحى ،يحتلان مكانة طيبة في تاريخ الاد ب والأمم . ويحظيان بالتقدير والاحترام لدى عامة الناس وخاصتهم .

حتى لقد ذهب فريق كبير من علماء الأدب ومؤرخيه الى أن المشاعر الدينية كانت من أبرز العوامل التى دفعت الى فن الشعر وذلك نتيجة لما وجدوه من العلاقة الكبرى بين العقائد الدينية وبين الشعر الذى كان في نشأته الأولى معبرا عن هذه العقائد .

وكان شعر الزهد يشبه أن يكون رد فعل لانغماس الناس فى شهوات الدنيا وحرصهم على لذتها العاجلة وصراعهم على الدنيا الفانية .

وقد وضح جليا ماللاتجاه الاسلامي فى العصر الحديث من تأثير في نفوس شعرائنا ،وماللنزعة الاسلامية فى الشعر ـ من جذور عميقة فى مخزونهم الفكرى ورصيدهم التعبيرى . وهذا مايفسر لنا ذلك الكم الوفير من القصائد التى لهجت بها السنة الشعراء المحدثين في الدعوة الى التضامن من الاسلامي ، ومحاربة المبادى والتيارات الهدامة للقيم الاسلامية وجمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم .

وتنبيه الشعوب الاسلامية الى ما يبيته لها أعداؤها بالاضافة الى القصائد التى تتردد على أسماعنا فى المناسبات الاسلامية كوصف الحج ، والابتهاج بشهر رمضان والاعياد الاسلامية وغيرذلك .

كذلك نادى شعراؤنا المحدثون والمعاصرون - ومازالوا ينادون - بتحرير المقدسات الاسلامية فى فلسطين المحتلة من أيدى اليهود الغاصبين كما نادوا من قبل بتحرير أوطان المسلمين من الاستعمار الذى فرض ارادته على تلك الشعوب ردحا من الزمن .

xxxxxxxxx xxxxxxxxxxx

وقد أثبتت حادثة الحرم المكى الشريف ، العمق البعيد الذى تغلغلت اليه النزعة الاسلامية فى نفوس شعرائنا ، وبرهنت على أن الشعر الاسلامى مازال يحتل - كما احتل من قبل - مكانة مرموقة فى تاريخنا الأدبي عبر العصور المتباينة ، ومن القصائد المطولة التى قيلت فى حادثة الحرم الشريف التى وقعت فى أول محرم من عام ١٤٠٠ هـ قصيده عبد الله بن خميس . والتى شجبت ذلك الاعتداء الآثم ، وصورت هول الخطب الذى تجرأ أصحابه على أقدس بقعة وآمن مكان على وجه الأرض ، على البيت الحرام الذى حرم الله فيه القتال . فروعوا الآمنين الراكعين الساجدين . حيث يقول فيها : (١)

---

(١) انظر (المجلة العربية) ع (١١) (٣) ربيع أول ١٤٠٠ هـ

سفها على البيت الحرام يغـار ... ويعيث فى جنباته الأشرار

أو عند بيت الله ثأر يبتغى ... حتى يرد (في حماة الثار ؟

حذرت حماة الجاهلية حسبة ... وتجانبت عن سوحه الاوزار

فى مأمن من أن ينغو صيده ... أو يختلى أوتعضد الاشجار

وله بأفئدة الورى قدسية ... وعليه من عرف الاله يغار

تستنزل العبرات فى أكنانه ... ويقال من ظلم النفوس عثار

واليه يعنو كل طرف خاشع ... ويحج فرضا لا زما ويزار

أتبيحه - رغم الجلال - عصابة ... ويقوم فيه لبغيها أوكار

xxxxxxxxxx ... xxxxxxxxxx

وهذا محمد الغقي يتساءل بحرقة وحسرة عن صحة ذلك الحادث الجلل ، الذى لا يكاد يصدقه مسلم غيور على دينه ومقدساته ، لكونه اعتداء على أطهر بقاع الارض فيقول من قصيدة طويلة (١)

يامسجدى الاقدس ياقبلتي ... يامطلع النور ومهد الهدى

ماذا الذى يحدث ياأمتي ... مما غدا الصبح له أسودا

---

(١) نظر صحيفة المدينة المنورة عدد (٤٧٦٢) ص (١٦) ٨ محرم ١٤٠٠هـ

أوشكت أن أحسب من دهشتي
من هوله الروض فدا فدفدا

لا ليس ما اسمع من كربتي
هذى - محاها الله الا الصدى

ياسجدى الآن يابقعة
أمنها الله بوحي السماء

من الذى دنسها حرمة
من الذى يسفك فيها الدماء

من الذى اعتز بها لعنة
ابليس يخشاها ويأبى البلاء ؟

لا بارك الله لها عصبة
من جبنها تفتك بالابرياء

هذان النموذجان صورة صادقة ،تجسد عمق النزعة الاسلامية في نفوس الشعراء السعوديين ،واستجابة شاعريتهم وتفاعلها مع الاحداث التي يعيشونها . ممايؤكد ماأشرنا اليه من تأصل هذه النزعه لدى الشعراء السعوديين المعاصرين .

ب: مفهوم الشعرالاسلامي :

قد يتبادر الى ذهن السامع ـ حينما نقول ـ شعر اسلامي ـ ،أن المراد بذلك الشعر مجموعة القصائد التي يرد فيها ذكر اسم الله تعالى أو يتردد فيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،أو تكون مقصورة على الحديث عن الصلاة والصيام والحج والزكاة وغير ذلك من أركان الاسلام فحسب .

ولكن المفهوم الصحيح للشعر الاسلامى الذى ينبغى أن يحل محل ذلك المفهوم المحدد هو : أن المراد بالشعر الاسلامى : ذلك الشعر الذى تنهض دعائمه على أسس اسلامية ويقبس معانيه ومضموناته من روح الاسلام ويشيع فضائله ويوقظ الوعى فى نفوس المسلمين ،وينبه الى الاخطار المحدقة بهم ،ويشيد بالقيم الاسلامية ويبين آثارها البعيده في بناء مجتمع اسلامي سليم ،يدين بالوحدانية لله ويعتصم بحبله ويحتكم فى كل أمر الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أن هذا المفهوم الواسع للشعر لا يمنعنا من القول : بأن شعائر الاسلام المختلفة كالصلاة والصيام والحج قد استأثرت بنصيب وافر .

من الشعر الاسلامى عبر العصور المختلفة لحياتنا الأدبيـــة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxx xxxxxxxxxxxxxx

ويتجلى أثر هذه المعاني ورسوخها فى أعماق النفوس فى مثل هذه الأبيات التى يقولها شاعر الجنوب محمد بن على السنوسى فى دعوة الداعي الى الله والى أذان الفجر الذى يتردد صداه فى الأجواء . يذكر المسلمين ويستنهضهم ليجيبوا داعى الله في ظلمات الليل . انه يصف هذا الاذان وآثاره فى أحاسيسه ومشاعره فى هذه الابيات الرائقة المعجبة (١)

ارتفاع الأذان فوق المــآذن   فى انبلاج الصباح والليل ساكن
دعوة تحمل الحياة الى الكــون   وسكانه قرى ومـــدائن
ونداء من السماء الى الارض   الى ظاهر عليها وباطـــن
ولقاء بين الملائك والايمــان   والمؤمنيـن من غير آذن
وانطلاق الى الفلاح الى الخير   الى الحق والهدى والمحاسـن
كلما ردد المؤذن لفظــا   شعشع النور وانجلى كل غاين
نغمات كأنها نســمات   رقرقتها خمائل وجنـائن

---

(١) انظر ديوان محمد السنوسى (الينابيع) ص (٢٣) ط شركة المدينة

تتندى بها النفوس وترتاح ارتياح الزلى بقطر الهوائن .

لقد أجاد السنوسي فى نقل صورة حية لأذان الفجر ،ووقعه على القلوب والاسماع فى أخريات الليل ،وما يقترن به من حركة الكون والاحياء بدءًا بإجابة داعى الله لتأدية حقه على العباد ومن ثم انطلاق الحياة ايذانا ببدء يوم جديد .
وعلى هذا المفهوم الرحب يعبر شاعر من شعرائنا هو محمد حسن الفقى عما تتركه تلك المعاني ورسوخها فى اعماق النفوس في مثل هذه الابيات التي ناجى بها مكة المكرمة يقول : (١)

مكتي أنت لا جلال على الأرض ... يداني جلالها أو يفوق
ماتبالين بالرشاقة والسحر ... فمعناك ساحر ورشيق
سجدت عنده المعاني فما ثم جليل ... سواه أو مرموق .
ومشى الخلد فى ركابك مختالا ... يمد الجديد منه العتيق
أنت عندى معشوقة .. ليس يخزى العشق منها .. ولا يضل العشيق

---

(١) أنظر ديوان الفقي (قدر ورجل) ص ١٦٣) ط الاولى .

١ ماأباهي بالحسن فيك .. على كثرة مافيك من مغان تشوق

٢ أنت قدس فليس للهيكل الفاني بقاء كمثله وسموق

٣ كل حسن يبلى وحسنك يامكة رغم البلى الفتيّ العريق .

٤ درج المصطفى عليك فأغلاك .. وأغلاك بعده الصديق

ان الابيات صورة معبرة عن تعلق الشاعر بحب مكة وهيامه بها وحبذا هو من حب لقد تضاءل في عينيي الشاعر كل مرأى جميل أمام مرأى مكة وخبا كل نور قياسا بنورها . ومهما قيل من وصف ونعوت فيها تبقى مكة فوق ذلك كله .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx xxxxxxxxxxxxxx

وهذا الشعور نحو البلد الحرام ونحو مشاعر الحج ومناسكه هو ما نقرأه واضحا في قول طاهر زمخشرى واصفا تعلقه ببقاع بلده المقدسة (١)

أهيم بروحي على الرابية ... وعند المطاف وفي المروتين

وأهفو الى ذكر غالية ... لدى البيت والخيف والا خشبين

فيهدر دمعي بآماقيه ... ويجرى لظاه على الوجنتين

---

(١) انظر ديوان طاهر زمخشرى (أغاريد الصحراء) ص ٦٤-٦٥) ط ١٣٧٨هـ

ويصرخ شوقي بأعماقيه فأرسل من مقلتي دمعتين
أهيم وعبر المدى معبد يعلق في بابه النيرين
فان طاف فى جوفه مسهد وألقى على سجفه نظرتين
تراءى له شفق مجهد يوارى سنا الفجر في بردتين
أهيم وفي خاطرى التائه رؤى بلد شرق الجانبين
يطوف خيالى بأنحائه ليقطع فيه ولو خطوتين
أمرغ خدى ببطحائه وألمس منه الثرى باليدين

لقد أفرغ الزمخشرى لواعج حبه وكوا من خواطره ونشر صفحات من ذكرياته الجميلة ،عن البيت الحرام ومشاعر الاسلام التي ملأ روحه صفاء ونقاء فهامت نفسه ولهج بها لسانه .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx xxxxxxxxxxxxx

ونقرأ الابيات التالية لمحمد العواد التي يحث فيها على الرجوع الى الله والتحلي بفضائل الاسلام فيقول + (١)

عليك بتقوى الله واترك محارمه وثق أن باغي الاثم يجنى مآثمه

---

(١) انظر (شعراء العصر الحديث فى جزيرة العرب) عبدالكريم الحقيل ج ١ ص (٢٢١) ط الأولى .

ولا تذ ممن المرء تغتبه قاليا وان كان ذا فضل فقدر مكارمه
ولا تسع بين الناس بالنم مشعلا لهيب لظى نار تكن لك لاهمة
ولا تظلم الانسان واعلم بأنه الى ربه المظلوم يشكو ظالمه
يظل جميع الليل سهران شاكيا يناجيه ملهوفا وعينك نائمة
وكن صادقا فى القول دوما تغزبما يسو وان تكذب غنفسك نادمة
ولا تتكبر تلق ذلا وخسة وكن للورى خفض الجناح ملازمه

ا

انها دعوة صريحة الى التمسك بآداب الاسلام وقيمه الرفيعة ،والبعد عن كل خصلة ذميمة تورث صاحبها الندم ،وسوء العاقبة .

xxxxxxxxxxxxxxxxx xxxxxxxxxxxxxxx

وهناك بدعة جديدة دعاليها فريق من رجال السياسة ويسمونها القومية العربية . غافلين عن تلك الحقيقة وهي أن أقوى الروابط فى بناء الامة هي العقيدة التى تدين بها الامة الاسلامية لانها هي التى تجمع الشمل وتوحد الصف لا تلك الصلة العنصرية التى تتنكر للوشيجة الروحية التى لا بديل عنها في بناء صرح الامة واستعادة أمجادها التى أصابها البلى نتيجة لتلك الدعوات الضالة .

وفى الابيات التالية نرى الشاعر عبدالرحمن العشماوى ينحي باللوم والتقريع على مايسمونه القومية ،ويرى أنه لا بديل لوحدة تقوم على عقيدة التوحيد وقواعد الايمان كما رسمها الاسلام الحنيف يقول (١)

تنمو غصون الوحدة الكبرى على جذع هزيل
جذع هو القومية العمياء عن درب الرعيل
انا لست أقطف ياصديقى زهرة النسب الأصيل
لكنها قومية بلغت حدود المستحيل

هل ألفت اشتاتكم ياقوم من قبل الرسول
قد يختفي في روعة العنوان تضليل الفصول

فالشاعر في هذه الأبيات يدلي بصريح الرأى فى هذه القضية . وهي أن الدعوة الى القومية عن أن تحقق هدفا من الأهداف التى تخدم هذه الأمة فى حاضرها وفى مستقبلها .

---

(١) أنظر (ديوان العشماوى (الى أمتي) ص (٩٣) ط ١٩٧٨م .

وهذا عبد الله بن ادريس ،يصور لنا ـ في الأبيات التالية ـ تباعد المسلمين وتفرق صفوفهم ،وتخاذلهم عن الجهاد من أجل القدس الشريف فيقول (١)

والمسلمون وان تكاثرعدهم قد خدروا بالخوف كالأفيون

متباعدون عن الجهاد كأنهم خلقوا لنوم أو لعرق سعين

ياألف مليون تناثر عقدهم لوواحدا في الالف من بليون

شقوا الى القدس الشريفة دربهم

لخلاصها من كافر ممهون

لتغير التاريخ حالا بل جثى

متضرعا في نجوة وسكون

ولعاد للاسلام وارف ظله

بمناعة وعدالة ويقين

ولصرتمو للكون سادة مجده

من غيرما عسف ولا توهين

هذه النماذج القليلة التي فيما تقدم ،وأمثالها كثير في الشعر السعودي المعاصر ترسم صورة زاهية لأثر الاسلام في نفوس معتنقيه من أبناء هذه البلاد.وان تكن تلك المشاعر عزيزة غالية على نفوس المسلمين أجمعين . وهي في الوقت نفسه صورة لمفهوم الأدب الاسلامي بمعناه الواسع الذي أشرنا اليه .

---

(١) ديوان عبد الله بن ادريس (في زورقي) ص ٩٢-٩٣) ط ١٤٠٤هـ

ج : فنون الشعر السعودى المعاصر ومنزلة الشعر الاسلامي بينها

استقرت الحياة وأمن الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم . فانصرف الشعراء - بعد أن توحدت أجزاء المملكة ،وحكم فيها بكتاب الله وسنة رسوله الى الانتاج فى فنون الشعر وأغراضه المختلفة كالمديح والرثاء والغزل والوصف . عدا الهجاء فاننا نجد دواوين الشعراء السعوديين تكاد تخلو منه ولعل ذلك راجع لأسباب أكثرها دينى .

ولنتعرض لهذه الفنون بصورة موجزة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxx xxxxxxxxxxxxxx

أولا : الغزل :

طرق الشعراء السعوديون فن الغزل باعتباره الفن الذى ينفذ الى وجدان كل مسلم ،والى وجدان الشعراء على وجه الخصوص ،لانهم أكثر الناس احساسا وأرهفهم مشاعر .

وقلما يخلو ديوان شاعر سعودى معاصر من التعبير عن عاطفة الحب التى لا يخلو منها انسان ،فهي عاطفة مشتركة فى الانسانية كلها .

وربما كان فن النسيب فى طليعة الفنون

التى شارك فيها شعـــراء الانسانية في كل جيل ،وفي كل زمـــان وهذا التعلق بالحب والنسيب هو ماعبرعنه ابن قتيبة (ت ٢٧٦) فى قوله (ان الشاعر يصل شعره بالنسيب ،فيشكو شدة الوجد وألـم الفراق ،وفرط الصبابة والشوق ،ليميل نحوه القلوب ،ويصرف اليه الوجوه وليستدعى به اصفاء الســامع اليه . لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب. لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغــزل والف النساء ،فليس أحد يخلو من أن يكون متعلقا منه بسبب وضاربا منه بســهم (١)

ولا يفوتنا أن نشـير الى هيام الناس بشعر الغزل ،وحرص الشعـراء عليه حتي اولئك الشعراء الذين لم يعرف عنهم الأحياة الجد والاستقامة عرفوا ميل النفوس بطبيعتها الى هذا الفن الجميل ،فعمدوا الى ملء قصائدهم بالتشبيب وذكر المرأة فى مطالعها . حتى أصبحـت هذه الظاهرة تقليدا أدبيا .. جرى عليه شعراء العربيه في العصور السابقة

---

(١) الشعر والشعراء .. جـ١ (ص٢) وانظر (دراسات في نقد الأدب العربي) للدكتور بدوى طبانه (ص (٢١٨) من الطبعه السادسه بيروت ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

ومن نماذج الغزل ، قول غازى القصيبي (١)

عانقي حلمك الشهي المندى ودعيني .. أضيع العمر سهدا

وأنعمي بالفراش ينبض بالدفء (٣) وليمزق ضلوعي الليل بردا

وافرحي بالمساء يقطر أحلاما وضياء .. وأمنيات .. وورد ا

اعبثي بالقلوب ماشئت لهوا بقلوب الورى جمالك ينــدى

وقول طاهر زمخشرى (٢)

يا منى كل خفقة في فؤاد عاشقيه الجوى .. ولاقى المنونا

أنت لي وردة يفوح شذاها عاطرا يملأ الحياة .. فتونا

أنت لي غنوة اذا رجعتها خفقاتي .. ينساب لحنى حنونا

أنت لى بسمة تنير سبيلي وسناها الطروب يذكي الشجونا

أنت لي نجمة اذا الليل دجى غمرت بالضياء حولي السكونا

أنت لي روضة تمد ظلالا وارفات .. طويت فيها السنينا

ثانيا المديح :-

كان أغلب مديح الشعراء مقصورا على ولاة الأمور وذلك لجهودهم المبذولة من أجل توحيد أجزاء المملكة والعمل على دعم أمنها واستقرارها .

---

١) ديوان غازى القصيبي (أبيات غزل) ص ٢٠ ، ٢٢) ط الاولي ١٣٩٦ هـ

٢) ديوان طاهر زمخشرى (أغاريد الصحراء) ص (٦٩) ط ١٣٧٨ هـ مطبعة مصر

واقامة دولة حضـارية تأخذ باسباب التقدم والرقي مع المحافظة على الموروث من القيم والاخلاقيات الاسلامية ،ورعاية العادات والتقاليد المتأصلة لدى أبناءالشعب السعودى،النابعة من صميم الدين الاسلامى وتحكيم كتاب الله وسـنة رسوله صلى الله عليه وسلم في مختلف أوجـه الحياة .

من هنا : رأى الشعراء اولئك الولاة اهـلا للمديح والاشادة ،وأن أعمالهم وانجازاتهم في مختلف جوانب الحياة تستحق من الشعراء التقدير والتخليـد لان كل مجهود يبذل من أجل تطوير هذه البلاد ما وراءه رجال مخلصون . بذلوا — ومازالوا يبذلون لخير الوطن والمواطن يدفعهم الى ذلك رغبة ملحة فى انهاض الامة الاسـلامية والارتقاء بها في سلم المجد ومراقي الفلاح حتي تحتل منزلتها الأولى بين شعوب الارض .

ويعد محمد بن عثيمين ومحمد بن بليهد واحمد الغزاوى أكثر الشعراء

السعوديين مديحا لولاة الأمور في هذه البلاد .

ومن نماذج المديح قول محمد بن عثيمين (١) يمدح الملك عبدالعزيز رحمه الله

هو الملك السامي الذى سطواته   تبيح حمى من كان في خده صعر (٢)

بجيش يغيب الشمس عثير خيله   ويحمده بعد اللقا الذئب والنسر (٣)

كأن اشتعال البيض في جنباته   سنا البرق .. والرعد الهماهم والزجر (٤)

وصادق عزم ان طما ليل فتنة   تبلج منه في حنادسها فجر

ركوب لما يخشى من الخطب عالم   بأن المعالى دونها الخطر الوعر

اذا ذكرت يوماً مغازيه لم يكن   ليفضحها أحد .. ولم يخزها بدر

مغازٍ لها في الغرب والشرق رجفة   وفي أفق العليا .. هى الأنجم الزهر

مشاهد فيها عزز الدين واعتلى   وأدحر فيها الجور .. وانمحق الكفر

وقول ابن بليهد يمدح الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه : (٥)

وكف اذا ألقى به المال لم يزل   هتوناً ببذل المال .. والمال ينفد

اذا نشرت في أى أرض فعاله   تداعى له بالشكر بر وأبلد

أقول اذا صدت عن الحق أعين   هناك بيان لو تكلم أسود (٦)

فبورك من واد به بعث الندى   وبورك من فعل .. له نتودد

---

(١) ديوان محمد بن عثيمين (العقد الثمين) ص (١٤٥ - ١٤٦) ط الثانية ١٣٨٦

(٢) الصعر : الميل تكبر (٣) العثير : الغبار. (٤) الهماهم : جمع همهمة وهى الصوت (٥) ديوان محمد بن بليهد (ابتسامات الأيام) ص (٦٧-٦٨)

مليك تناخ العيس عند فنائه ... على الأين .. باريها من البيد فدفد (١)
ترى عنده رسل الملوك مقيمة ... حواها بدار العز قصر مشيـــــد

تطوف بـه الركبان عند ارتحالها ... يزودها ما تشاء ـ المـــــزود

وان يسألوا : في أى قرن مسيره ... فمنشاه بين الفيصلين موطـــد (٢)

وقول الغزاوى في الملك فيصل طيب الله ثره : (٣)

وحرا وجمع والبطاح ومكـــة ... والخيـف والتنعيم والاعـــلام

لهجت بفيصل انـه الملك الذى ... يزهو الرشيد بعصره وهشـــام

ولنعم هذا الملتقى بذوى التقى ... في ظل من هو للهداة سنـــام

هو من يشار اليه غير مكابـــر ... والماهل المتواضع المقـــدام

الصادق العزمات في تصميمه ... والقائد المستبصـر القـــوام

وابن الذى هو سره بل بـــره ... عبد العزيز .. وحقـه الاعظـــام

واذا العيون رنت اليه فانها ... لتقر .. وهو لكل عين هـــام

والشعر فيه وان آفاض محلقاً ... فهو المقصر .. بل هو التمتـــام

فليحى للاسلام ـ امنع معقل ... ماعاد عيد .. واستهل غمـــام

---

(١) الأين : الاعياء والتعب . والفدفد : الارض المرتفعه ذات الحصى .
(٢) المراد بالفيصلين : جده فيصل بن تركى ، وابنه فيصل بن عبد العزيز .
(٣) انظر مجلة (المنهل) ص (١٩ - ٢٠) عدد محرم وصفر سنة ١٣٩٣هـ .

ثالثاً : الرثـاء .

الشاعر السعودى - كغيره من الشعراء - أحب وعاشر ، وارتبط بأسرته وأقاربه ارتباطاً وثيقاً ، وأشجاه الأسى وفجعته المنون هذه العوامل وغيرها ، كفيلة بأن تعتصر القلوب ، وتستدر الدموع ، حين يفجع الشاعر بموت أحد أقاربه ، أو يموت صديق عزيز ،أو خل وفي ، أو يموت علم من أعلام الفكر أو الأدب أو السياسة .

ولذلك : وجدنا حشداً هائلاً من القصائد ، التى تحترق عباراتها وتبكى معانيها ، وتذرف كلماتها وحروفها دموعاً ساخنة وآهات حرى مشبوبة العاطفة ، صادقة المشاعر .

ولا شك أن شعر الرثاء ، أكثر فنون الشعر وأصدقها فى التعبير عن عاطفة الشاعر . وفي فن الرثاء تنمحى آثار الرغبة والرهبة ، أمام ميت لا ينفع ولا يضر . ولذلك سئل بعض العرب عن جودة المراثى في أشعارهم فقال : لأننا نقول وأكبادنا تحترق ، ولذلك كثر فن الرثاء في الشعر العربي طوال حياته من الجاهليه الي الزمن الذى نعيش فيه . يبعث عليه الوفاء للمرثى ، والعاطفة الصادقة التى تطلقه معبراً عن مشاعر الحزن والأسى ، في الفجيعة بقريب أو صديق أو نسيب أو علم من الأعلام ، الذين تركت أعمالهم في قلوب الشعراء أعمق الاثر ..

وفي هذا العصر بقيت لهذا الفن روعته . وفي رأينا أن هذا الفن ، يعبر تعبيراً صادقاً عن الحسرة واللوعة ، ما دمنا نشيع في كل يوم قريباً أو نسيباً أو صديقاً حميماً ، أو رجلاً من ذوى المروءة والافعال المجيدة .

ومن نماذج الرثاء قول محمد سراج خراز يرثى والده : (١)

فأبصرت بالدار الكئيبة سرحاً ... لرزء أقام الأهل فيها وأقعدا
عويل وأكباد تذوب وأعين ... رنت لك تبغى للفراق التزودا
فأهويت والعينان بالدمع غصتا ... أقبل منك الرّأس والرجل واليدا
وأنت .. كأن لم تضطرب فيك قبل ذا ... حياة .. ولم ترزق بدنياك مولدا
طواك الردى منا على حين غفلة ... وقد كاد يطوينا على اثرك الردى
أبي .. وهو لفظ لا يزال محبباً ... لنفسى ، ولم يبرح له أعذب الصدى

---

(١) ديوان محمد سراج خراز (غناء وشجن) ص (١١٨ - ١١٩) ط الأولى . ١٣٩٧هـ

شكوت خطوبا قبل فقدك جمة xxxx تمنيت فيها أن أموت فألحدا

فما ذا عسى أن أصنع اليوم بعد ما xxx تخذت مع الموتى لنفسك مرقدا

لقد كنت لي عونا على كل حادث xxx فها أنذا ألقى الحوادث مفردا

ولكن لي في الله أكبر مأمل xxxx وحسبي به - ان نابني الخطب - مسعدا

وقول البهكلي يرثي أحد أصدقائه : - (١)

أيها الراحل الحبيب وعيناك (م) يغشيهما النوى والذبول

لم عجلت بالسير ولم نعهدك (م) طول المدى - وأنت عجول

ما عهدناك ان تطاول سعد منك فينا ... تقصه أو تحول

أتبرمت من حياة شجاها يملأ الحلق .. والليالي تصول ؟

أم تباعدت حينما خلت دهرا تحتويه من النفاق فصول ؟

فتزهدت في البقاء واسرجلت (م) حصانا .. وضمك المجهول

ايه يا أيها النبيل وقد غبت (م) وأزرى بمقتداك الرحيل

قد رآن حواك ربع محيل وترحلت عنه وهو محيل

كم ذرفت الدموع ؟ تسقيه كيما ترتوى منك أنجد وسهول

كنت تضني لينتشي .. وتعاني لتغني مرابع .. وحقول

ايه .. يا أيها الحبيب وسافرت (م) وفي ناظريك حلم .. جميل (٢)

---

(١) ديوان أحمد بهكلي (طيفان على نقطة الصفر) ص (٨٧- ٩٠) ط الأولى ١٤٠٠هـ

(٢) الحلم : كان انشاء حدائق غناء ، لأن المرثي كان رئيس بلدية

لم تحققــة هاهنا .. فتنعم بمشيل هناك .. جل المشيــل

xxxxxxx xxxxxxxxx

رابعا : الوصــــف .

وقد يكون هذا الفن أقل خطا من الفنون السابقة ،في شعرالشعراء السعوديين المعاصرين وان كان هذا القليل من شعرالوصف جيدا فقد وصف الشاعر ، السعودى - كغيره - الطبيعة الجميلة ،بمائهـا وسمائها ،بأشجارهـا وازهارها ،بأوديتـها وجبالـها ،ببحارها ورمالها كما وصف المحافل والمؤتمرات ،والمشروعات المختلفة الصناعيــة والزراعية والثقافيــة والاجتماعيــة .... الخ ...

وفي هذا الوصف ،تلتقي -أحيانا - الصورة الجميلة والجديدة بالخيال المجنح كماهي عادة الشعراء المحدثين ،الذين لا يكتفون بوصــف الاشياء كماهــي . ولكنهم يبالغون في معانيهــم . ولعل السببفي ذلك هو : أن القدماء قد استنفدوا أكثر هذه المعاني ،فلم يبق للمحدثين الا الغــلو فيها .

ومن الشعراء السعوديين الذين عنوا بفن الوصـف محمد السنوســـي

( ) المشيل : المراد بهالجنة . والشاعر يدعو للمتوفي بأن يدخله الله ، ليتحقق حلمه .. الذى لم يستطيع تحقيقه في الدنيا .

وحسن القرشي ، وعبد الله بن خميس .

ومن نماذج الوصف قول السنوسي يصف عينه حينما أجريت فيها عملية جراحية (١)

وهي عين لا تعرف النظر الشزر (م) ولم تكحل بغير الفتون
فترفق بها ففي نونها المكنون (٣) أسرار عالم .. مكنون
وهي ماء فكيف تستخرج الماء (م) من الماء .. بالشبا المسنون
كيف تجرى السكين فيها .. وفيها رقة .. لا تطيق همس الجفون
وهي من لفظة تذوب حياء من عتاب الهوى ولوم الخدين

وقول القرشي يصف فراشه احترقت (٢)

قولي .. اتستشفين بالحرق أم ذاك مس من ضنى العشق
أم جن هذا الضوء وا أسفا فقضى عليك .. بغيرما رفق
لح الحنين بنفسك الحيرى وزهاك ومض الآل كالبرق
فجرعت كأسا أترعت ألما ووردت أشأم منهل رنق
حتى عراها اليأس فانتحرت وهوت .. حطام الطيش والحمق

XXXXXXXXXXX XXXXXXXXXXXX

ويقول عبد الله بن خميس بمناسبة افتتاح سد وادي جيزان .

---

١) ديوان محمد السنوسي (نفحات الجنوب (ص (٥٥ - ٥٧) ط الاولى ؟

٢) ديوان حسن القرشي (المجلد الاول ص (٣٦٧/٣٦٨) ط الثانية

١٩٧٩ م

يصف قوة المياة التي يحويها السد وأثرها فيقول (١)

واذا طغي ماء السراة وأجلبت ... تلقي جلامدها بمنحدراتها
الغيث غمرا مزيدا في لجة ... تتعانق الاشباح في غمراتها
تتنفس الصعداء هل من مخرج ... وتراقص الأمواج من آهاتها
والمارد العملاق يقسم لا مضت ... من قبل ما أحصي لها قطراتها
ماساقها الرحمن الا رحمة ... للارض .. في سكانها .. ونباتها
ستجوس هذا الريف صوح نبته ... وتريش من جازانه فلواتها
تنساب طوع المشتهي في غيظه ... تتفجر القنوات .. من قنواتها
واذا علوت على الربي متأملا ... أبصرت ما أبصرت من جناتها
تنسيك بوانا وناضر شعبه ... وخمائل الفيحا وشوقياتها

xxxxxxxxxxxxxxx xxxxxxxxxxx

خامسا : الحماسة :

لم يكن الشعراء السعوديون بمعزل عما عاشته وتعيشة الاوطان العربية والاسلامية من أحداث . فقد كانت وطأة الاستعمار على البلاد الاسلامية أولا ،ثم حروب الاستقلال ،التى روتها دماء أبناء الشعوب من أجل الحرية والكرامة ،

---

(١) ديوان عبدالله بن خميس (على ربي اليمامة) ص (١٦٦ ، ١٦٧) ط ١٣٩٧ هـ

ثم الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، والعبث بمقدسات الأمة الاسلامية فيها . هذه الاحداث ،كانت جرحا داميا في قلب كل شاعر سعودى ،كما كانت كذلك في قلب كل شاعر مسلم .

ومن هنا .. تفاعل الشاعر السعودى مع هذه الاحداث وراح يسجل بقصائده حركات التحررفى الوطن الاسلامي ،ويدعوالى شحذ الهمم ، وطرد المستعمر الغاصب ، ويرسم بشعره ملامح -اليوم المنتظر ،الذى ترفرف راية المسلمين فيه على كل شبر من أرضهم المسلوبة .

ومن نماذج الشعر الحماسي قول ابراهيم الدامغ . (١)

سنخوضها حرب الجلاء ونطرق المستعمرين

فدم العروبة في قلوب الثائرين الصاعدين

لهب سيلتهم الطغاة ..

ويحرق المتجحين

ونقبل الترب الزكي

ونحضن الشوق السجين

ونشيد في ارض القداسة أغنيات الفاتحين

ونردد اللحن الطليق على روابي الخالدين

---

١) ديوان ابراهيم الدامغ (شرارالثار (ص (١٥٢،١٥٣)

سنعود ياأماة .. رغم الضاربين .. التائهين

سنعود بالآمال .. تكسوها زهور الياسمين

والراية البيضاء تخفق .. فوق هام العائدين

وشعارها الرفاف بين جوانح المتعانقين

قسم الاباة .. وعز من قسم - على حق ودين

وقول سعد البواردى (١)

قسما .. وملء فمي جراحي سأقد من ليلي صباحي

قسما سأمتشق المخاطر راكبا عاتي الرياح

وطني وأهلي .. أينهم ضاعوا .. كحقي المستباح

يتم .. وتشريد .. وأكواخ (٣) تصيح الى النواح

أيان أغدو .. أو أروح (٣) لهم غدوي .. أو رواحي

كأس المنية في فمي أشهى صباباتي .. وراحي

لن تورق الاشجار ما لم ترتوى - بدمي بطاحي

بدمي أضمخها الورود (٣) به .. ألونها الاقاحي

أنا لن أهاب .. فههنا قدري .. ومن قدري سلاحي

أطوى حياتي قاضيا نحبي .. ولا أطوى جناحي

---

١) ديوان سعد البواردى (أغنيات لبلادى)ص ٩٩- ١٠٠) ط الاولى

١٤٠١هـ

منزلة الشعر الاسلامي بين الفنون السابقة .

اما الشعر الاسلامي وهو موضوع بحثنا . فانه يحتل منزلة رفيعة بين فنون الشعر السابقة ،التى عالجها الشعراء السعوديون المحدثون . فالنزعة الدينية المتأصلة لدى الشعراء ،وعامة الشعب ممن يقرأون ويسمعون ومراعاة عادات وتقاليد أبناء هذا البلد ،ووجود أطهر بقاع الأرض - الحرمين الشريفين - في هذه البلاد .. كل هذه العوامل ،أدت - في نظرى - الى سيطرة النزعة الإسلامية على الشعر السعودى الحديث ،وكثرة المحفوظ من هذا الشعر[١] ،وتمتعه بالمنزلة الرفيعة بين فنون الشعر المختلفة .

ومن هنا يمكننا القول : ان جل الشعراء السعوديين الذين لهم انتاج شعرى قد أسهموا في هذا الاتجاه الاسلامي على تفاوت بينهم في القلة والكثرة والضعف والإجادة والتجديد والتقليد .

فالغزاوى مثلا .. قصر أكثر انتاجه الشعرى على هذا الاتجاه وبالتحديد في وصف المناسبات الاسلامية الكبرى كالحج والاعياد .

ومحمد هاشم رشيد ،وزاهر الالمعى ومحمد حسن فقي ومحمد السنوسى وحسن القرشي ومحمد الشبل وطاهر زمخشرى ومحمد سراج خراز وعبد الله بن ادريس وعبد الرحمن العشماوى وأحمد البهكلي وعبد الله بن خميس .. وغيرهم

تزخر دواوينهم بالقصائد الاسلامية في مختلف الموضوعات ٠
كذكر الأماكن المقدسة ،والدعوة الى التضامن الاسلامي
ومناجاة الشاعر للخالق عز وجل ،والابتهال اليه ووصف
واقع الأمة الاسلامية ودعوة أبنائها الى التمسك بتعاليم
دينهم وعقيدتهم ،وادارك ماينفثه الأعداء من سموم بغية النيل
من مبادئهم وأخلاقهم وتفريق صفوفهم ٠
ففي ديوان محمد هاشم رشيد (في ظلال السماء) مثلا نجد خمس عشرة
قصيدة ومقطوعة اسلامية (١) وفي ديوان حسن القرشي
(الأمس الضائع) ست قصائد اسلامية مطولة حتي لقد بلغت قصيدة
(من وحي النبوة) اثنين وثمانين بيتا (٢)
أما طاهر زمخشري : فانه يفتتح ديوانه (أغاريد الصحراء بأربع

---

١) انظر ديوان (محمد رشيد (في ظلال السماء) (ط ١٣٩٧هـ
٢) انظر ديوان حسن القرشي (الامس الضائع)ط الثانية الصفحات(٩٣-١١٤)

قصائد اسلامية متوالية هي . . (الله أكبر) و(رباه) و(موطن القداسات) و(النفس المؤمنة).

ومحمد السنوسي يبدأ ديوانه (الينابيع) بمطولتين اسلاميتين .

الاولى : (الرسالة والرسول) وقد بلغ عدد أبياتها ستة وتسعين بيتا (٢)

والثانية (ثاني اثنين) وقد بلغت خمسين بيتا (٣)

والمشماوى ملأ ديوانه (الى أمتي) و (صراع مع النفس) بالقصائد التى تغلغلها النزعة الاسلامية .

وفي ديوان محمد الفقي (قدر ورجل) قصائد اسلامية ذات نفس طويل اذ أن قصيدة (من وحي النبوة) وحدها (بلغت مائة وتسعة أبيات كلها رصين قوى (٤)

ولعل في ايراد هذه الاحصائية الموجزة ، مايجلو بعض جوانب الصورة ويلقي الضوء على البعد العميق الذى تغلغلت اليه النزعة الاسلامية في نفوس الشعراء السعوديين المحدثين ومن هنا يمكن أن نتصور الى أى مدى أمكن للنزعة الاسلامية

---

١) انظر ديوان طاهر زمخشرى (أغاريد الصحراء) ط ١٣٧٨هـ الصفحات ٩ / ٢٠

٢) انظر ديوان محمد السنوسي (الينابيع) ط شركة المدينة للطباعة الصفحات ١٣/٣

٣) نفس المرجع ، الصفحات (١٩/١٤)

٤) انظر ديوان محمد الفقي (قدر ورجل) ط الاولى الصفحات (١٦٢/١٥٣)

ان تكون قاسما مشتركا بين الشعراء السعوديين معينا ثرا يرتوى منه كل ناهل من شداة الأدب والشعر ورباطا وثيقا يحفظ شعراء هذه البلاد ، من الانجراف في تيارات مغرضة ، والسير في متاهات ضالة والدعوة والطبيل لشعارات فاسدة بعيدة كل البعد عن صفاء عقيدتهم وجوهر دينهم ، حاول الأعداء أن يكون لها مكان في بلادنا وأن يكون لها حراس من أبناء البلاد الاسلامية بحيث تؤدى الفرض منها كاملا وهو تقويض بناء هذه الأمة العتيق وهو العقيدة الاسلامية .

وفي الوقت الذى وجدت تلك الدعوات والشعارات آذانا صاغية في بعض اقطار المسلمين وخاصة من الادباء والشعراء فان هذه البلاد بفضل الله تعالى ثم بجهود ولاة الامور - خلت من هذه الاباطيل وظلت البقعة التي تهوى اليها افئدة المسلمين من كل مكان وفي كل زمان .

وقد كان لتلك النزعة الاسلامية أثر لا يخفى على الشعراء لذلك .

يمكننا أن نقول بعد استعراضنا لفنون الشعر السعودى المعاصر إنّ النزعة الاسلامية تكاد تسيطر على معظم الفنون الشعرية وتتدخل فيها وتوجهها بمعنى أن منزلة الشعر الاسلامي ملموسة مدركة حتي في شعر الوصف والغزل والمديح ... الخ ..

ويمكننا تدعيم هذه المقولة ببعض النماذج في اغراض الشعر السعودى المختلفه لندرك تأثير النزعة الاسلامية فيها .

ففي الوصف :

نقرأ الابيات التاليه لمحمد هاشم رشيد يقول من قصيدة يصف فيها حمام الحرم وصفا ذا سمه اسلامية ظاهرة (١)

على الرمل .. والفجر يطوى الرجي — رفيق الخطى كالشذا كالحلم
جلست اسبح فى نشوة — وحولى الوجود انتشى وأبتسم
وكان الحمام باسرابه — يسبح مثلى بأحلى نغم
طليق الجناح بدنيا المنى — يرفرف بين الذرى والقمم
فقلت وقلبي حبيس الضلوع — تهاوى ـ صريع الاسى والألم
حنانيك يا قلب لا تبتئس — فنحن هنا من حمام الحرم

فالشاعر يصف حمام الحرم . ونحن نجد ـ في ثنايا الوصف مايدل على

---

١) ديوان الشاعر فى ظلال السماء ص ١١٤ - ١١٥ ط ١٣٩٧هـ

سيطرة النزعة الاسلامية على الشاعر ، برغم أن الغرض الأصلي للمقطوعة هو وصف .

ويمكننا تبين ذلك من خلال الحال التي وصفها الشاعر نفسه فقد جلس يسبح لا يعمل عملاً آخر ، واستشف أن الحمام الموصوف يسبح كذلك لله وحث قلبه على مجانبة الابتئاس وأن يكون كحمام الحرم فى النشوة والتسبيح لله ولا شك أن النزعة الدينية مسيطرة على الشاعر برغم أن الغرض هو الوصف .

وكذلك قول محمد سراج خراز في وصف البحر (١)

أيها البحركم أراك شبيهـا	بصراع يموت فيه الذليل
أنت في الناس آية ليس تمحى	وعلى قدرة الاله الدليل
فيك مايبهر العقول جمـال	وجلال وقوة لا تحول
وكأن الامواج يابحر جيش	زاحف والسفين فيك رعيل
وكأن السماء فوقك بحـر	آخر غير أنه لا يهول
ولكم فيك من عجائب شتى	ماتبدى منهن الاالقليل

---

(١) ديوان الشاعر غناء وشجن (ص) ٦٩- ٧٠)

سبح الله قلب رائيك اجلالا (٢) وكان التكبير والتهليل

ان الابيات السابقة وصف للبحر ليس لأنه شبيه بصراع قوى يموت فيه الجبان فحسب بل لأنه أيضا آية دائمة ،قائمة بالشهادة على قدرة الخالق عز وجل وليس لأنه ينطوى على عجائب شتى بل لأنه أيضا مدعاة لان يسبح من رآه الخالق المبدع ويكبر ويهلل لعظمة هذا المخلوق وكونه دليلا على عظمة الخالق ويمكننا بعد ذ القول : ان ربط الشاعر لوصف البحر بكونه آية دالة على قدرة الله وعظمته وبكونه مدعاة للتسبيح للخالق جل وعلا وللتكبير والتهليل هذا الربط وامثاله : يشعرنا بمكانة وتأصل النزعة الاسلامية في الشعر السعودى وسيطرتها على سائر الاغراض .

ومن الوصف الذى حذا هذا الحذو قول غازى القصيبي من قصيدة الليل في بلدتنا والتى أرجع فيها مسحة الجمال الى صنع خالق الاكوان عزوجل- (١)

في كل شئ فتنة أومضت فهامت الروح وهام البصر .

البحر حولي وخيوط السنا تهمي على أمواجه كالمطر

يرنو الى البدر وفي سمعه منه حكايا ما وعاها البشر

---

(١) ديوان الشاعر (ابيات غزل (ص ٤١ / ٤٣) ط الاولى ١٣٩٦ هـ

والشاطئ الحالم مستغـــرق　　في صمتـــه لولا حفيف الشجـــر
الليل في بلدتنا لوحـــــة　　زخرفها الله بأحلي الصـــــور

فالقصيبي لم ينس - في زحمة الافكار - وهو يصف جمال الليل في بلدته أن كل تلك المرائي الجميلة البحر ، وخيوط السنا المنسابه على أمواجه كالمطر والبدر الذى يرنو اليه البحر ، والشاطئ الصامت يقطع صمته حفيف الاشجار .. الخ ، لم ينس الشاعر أن كل هذا من صنع الله عز وجل وابداعه في خلق الكون ، كما يقرر ذلك فى الشطر الثاني من البيت الاخير (زخرفها الله بأحلى الصور)

وفي الغزل :-

نقرأ الأبيات التاليه من قصيدة لزاهر الألمعي يصف فيها عشق المسلم الملتزم حتى فى التعبير عن عاطفة حبه ووجده فيقول (١)

طلعت .. فلاح اليمن في طلعاتهـا　　وبدا جمال الورد فى وجناتهـــا
وسرى النسيم على مشارق ثغرهـــا　　تتضـوع الأرجاء من نسماتهـــا
ورنت بألحاظ الجفون نواعســـا　　تتراقص الاطياف في ومضاتهـــا
وتبسمت عن ثغر حسن باســـم　　فشقائق الاكمام من بسماتهـــا

---

١) ديوان الشاعر (على درب الجهاد (ص ٢٩ / ٣٢ / ط الاولى ١٤٠٠ هـ

ونظرت - عف النفس سحر جمالها ومصارع العشاق ، في لمحاتها

ومفاتن السحر الحلال تشدني شوقا - وما مست يدي حرماتها

لولا ارتياعي من مغبات الهوى لقطفت زهر الورد من جنباتها

ولسرت أمتاح الرياض وأجتلي منها رضاب الشهد من زهراتها

لكن أطيافي وان جنحت بها فتن الجمال تعف عن زلاتها

وتتوق أشواقي الى سنن الهدى فمشاعر الالهام في رحباتها

فالشاعر يتغني بجمال من عنى بالأبيات ، وأنه جمال آسر ، مكمنه الوجنات والثغر والجفون والنظرات وان هذا الجمال الساحر قد أجبره على النظر اليها ، ولكنه يستدرك نظرا ليقظة الهاجس العقدي فيقول (عف النفس) ولم يطلق النظرة ، لما يشوبها - عادة - حين تكون الى المرأة من تحرك العواطف وصراعها لأن النفس جبلت على حب المرأة ثم ان الشاعر يعترف بأن مفاتن المتغزل فيها قد شدته واسرته ولكنه لم يكن ليجسر على مس الحرمات لان عقيدته تأبى ذلك .

ثم يقرر الألمعي أن هناك سياجا متينا يحمي عواطفه وأشواقه ، من أن تلهث وراء سراب الجمال الخادع ويدعوها الى ان تعف عن الخطأ والزلل .

وذلك حين يقول :-

لكن اطيافي ـ وان جنحت بها فتن الجمال تعف عن زلاتهـــا

وتتوق أشواقي الى سنن الهدى فمشاعر الالهام فى رحباتهـــا

فحفظ النفس عن الاندفاع الى المتع ،وابتعادها عن الزلل وتطلعهـا

الى سنن الهدى هو الاجدر بها .

وكذا اقول السنوسى من قصيدة (شد الحزام) (١)

رسمت على الشفتين .. بسمة جذابة كشعاع نجمـة

ورنت رنو الظبي أبصر في يد القناص سهمـه

تتزاحم الألحاظ حول لحاظها .. والحسن زحمـة

شد الحزام تقولها .. وأقول . لست أجيد حزمه

أنا خصم كل يد سواك .. تشده وتفض ختمـه

مدت أناملها تزيح خصائلا كالليل ظلمـة

فبدا ضياء الفجر فوق جبينها نورا ونسمـة

قلبي يحب وانمـــا

في حبه خلق وحشمـــة

---

(١) ديوان محمد السنوسى (الينابيع) ص ٩٣ ط شركة المدينة للطباعة والنشر جده .

ويهيم بالغيد الحسان (م) ولا يبيح لهن حرمة .

فالابيات السابقة غزل متوهج المشاعر والعاطفه وجهه السنوسي لضيفه الطائرة .
ورغم انسياب الشاعر وراء عواطفه ومشاعره التي تحمل الشاعر عادة على ذكر مفاتن المتغزل فيه - كما فعل السنوسي - الا أنه في نهاية الأبيات ، أفصح عن مدى سيطرة النزعة الاسلامية عليه برغم أن الغرض الاساسي للأبيات هو الغزل وبرغم أن السنوسي شاعر غزل ، فهو يعترف بأنه يحب لكن طابع حبه الخلق والحشمة اللذان يمنعانه من التبذل ، وأنه يهيم بالغيد الحسان ، ولكنه لايجرؤ على اباحة حرماتهن . والابتعاد عن التبذل - في الحب - وعدم اباحة حرمات الآخرين ، سمه من سمات الشاعر المسلم المدرك لحقيقة اسلامه .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

وفي الرثاء :-

نقرأ الابيات التالية ، من قصيده لمحمد بن بليهد يرثي بها عبد الله آل بليهد ويبد وفيها تسليم المؤمن بالقضاء والقدر . يقول (١)

مابال عينك منها الدمع ينهمر ؟ كأنه جدول أو مدجن مطر
يرقى .. ويبعثه الخطب الثقيل وفي جوانب الخدّ من تأثيره أثر

---

(١) ديوان محمد بن بليهد (ابتسامات الايام) ص (٢٦١-٢٦٢)

جاء البريد وفي أقصى حقائبه ... من بعد ما ألقيت أثقاله ـ خبـــــر
تذوب منه قلوب الناس أجمعها ... مما أناخ بها .. لو أنها حجـــــر
نبكي بدمعة محزون ألم بـــه ... طول السقام .. فهل برء فينتظـــــر
فما لنا غير ثوب الصبر نلبســـه ... والصبر للناس محمود اذا اصبـــــروا
فمن رزتـه سهام الموت في احد ... اذن له برسول الله معتبــــــر
قد مات سيد تيم عن خلا فتـــه ... بعد الرسول .. ومات المرتضى عمـــر
فان بكت مضر والمسلمون لهم ... تعيش ـ ما بقيت ـ في حزنها مضـــر
فكل حي وان مد البقاء لـــه ... الى الحياة .. فقد يخنى به الكبـــر
فما تعرج عن حي منيتــــه ... اذا انقضى الأجل المحتوم والعمـــر

ان هول الفاجعة ،التي أخبرها البريد الى الشاعر استدر الدموع الحزينـــه من الشاعر ولكن ذلك لم يفقده السيطرة على عواطفه ،ولم ينسه أن ما حدث كان قضاء الله وقدره في خلقه ،فقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمـــر وكل من جاء أجله،ويبدو تأثير الاتجاه الاسلامي في الشاعر في معظم الابيات فهو

متيـــقن أن غاية كل حى هى المـــوت :-

فماتعرج عن حى منيتـــــــــــــه اذا انقضى الأجل المحتوم والعمـــــر

وكذا قول أحمد بهكلى من قصيدة يرثي بها على بن يحى عباس ، وفيها يواجهنـــا بحقائق راسخه فى عقلية الانسان المؤمن فيقول (١)

أنت باق وماسواك يـــــــــزول ياالهى فأنت أنت الاصيـــــــل

لك ربى الدعاء فى كل حـــــــين أنت من زلتى الملاذ الجلـــــيل

ماأعز القريب منك واعـــــــلى قدره .. والبعيد عنك ذلـــــيل

ربرحماك .. ماقضيت سوى العدل (م) وماشئت .. نافذ مقـــــــبول

أمرك الامر .. لايرد فمامـــــــن بشر عن خطى القضاء يحـــــول

المصير الاخيرأو حـــــــدكل لغناء فلا يغر الغفـــــــو ل

والمغانى التى يخلفها الظاعــــن تغنى عراسها والطـــــلول

أيها الراحل الحبيب وعيـــــنــاك يغشيهما النوى والذبـــــول

لم عجلت بالسيرولم نعهـــــدك (م) طول المدى .. و انت عجـــــول

فقد بدأ الشاعر بذكر حقائق ثابته في ذهن كل مسلم كبقاء الله عزوجل الازلي وزوال ماسواه والتوجه إليه بالدعاء ... الخ ..

---

(١) ديوان الشاعر (طيفان على نقطة الصفر) ص (٨٦، ٨٧) ط الأولى ١٤٠٠هـ

ثم يقرر أن قضاء الله تعالى هو العدل ، وهو محل القبول . وذلك لأنه مصير كل حي .

والبهكلي يسوق كل هذه الحقائق ، وهو يرثي أحد أحبائه ، وذلك لتأصل الشعور الاسلامي عنده ، مما جعل المسحة الدينيه تسيطر على الابيات من أول عبارة (أنت باق ، وماسواك يزول يا الهي ..) مع أن الغرض هو الرثاء .

وفي المديح :

نقرأ الابيات التالية من قصيدة لابن عثيمين يمدح فيها الملك عبد العزيز فيذكر كثيرا من محامده ، ويوضح جهده في إقامة الحق والعدل في هذه البلاد فيقول (١)

منال العلى الا عليك محرم ... وكل مديح في سواك يذمم

ولا مجد الا قد حويت أجله ... ولا فضل الا أنت فيه المقدم

ومن يعتقد غير الذي جا ئنصه ... لكم في كتاب الله لا شك يأثم

الستم أقمتم ميل نهج محمد ... وقد كاد يعفو أو يبيد ويهرم

سيأتي قتيل الطف في الحشر شاهداً ... بهذا وحجر والمقام وزمزم

غداة كسوتم كعبة الله واعتلى ... بابطحها (بأبطحها) الدين القويم المعظم

---

١) ديوان محمد بن عثيمين (العقد الثمين) ص ١٥٢ (١٥٣ ،) ط الثانية ١٣٨٦ هـ

٢) القتيل : هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما والطف : أرض بظاهر الكوفة في طريق البرية .

ولم يبق فيها قبة أو ذريعـــة الى الشرك الا وهي تمحى وتهـــدم
معال متى تذكر تصاغرعندهـــا معالى ملوك أخروا أو تقدمـــوا
فلا مجد الا خشيـــة الله والتقـــي ولا فخر الا الشرع فيه المقـــدم
ليهنك ياعبد العزيز بن فيصـــل مغانم تدعى وهي في الأجر مغـــنم
اذا شق أمر المسلمين مضـــلل فأنت له الموت الزؤام المحـــتم

فالشاعر لم يمدح الملك عبد العزيز برفعة حسبه ونسبه ،ولا بسعة جاهه وسلطانه ولا بكثرة ماقتل وأسر . بل مدحه بخدمته للإسلام والمسلمين فهو أحيا أحكام الشريعة الاسلامية بتطبيقها على الشعب بعد أن طمست بعض معالمها فيـــه ورعى شؤون بيت الله الحرام ،والاماكن المقدسة كذلك نالت كثيرا منـــن خدمته ثم يقصر ابن عثيمين المجد على خشية الله ويجعل الفخر الحقيقي باقامة الشرع و جعل من الملك قوة في وجه كل مضلل خارج عن أمر المسلمين وهذا مديح تتحكم فيه النزعه الاسلاميه التي اثرت في كل أغراض الشعر السعودى.

ويقول محمد الشبل مخاطبا دارة الملك عبد العزيز ومشيدا بآل سعود وحكمهـــم (١)

هاتي حديثا بالمفاخر ناطـــقا أحلى من النغمات والأنغـــام

---

(١) ديوان الشاعر (ندا السحر) ص ٤٠،(٤) ط ١٣٩٩هـ

وألذ من سحر الصبابة والصبا   وأرق من قيثارة الانسام
يحكي لنا أمر الجزيره بعد ما   كانت ضحية فرقة وخصام
ويعيد فى صور البطولة هو كبا   من آل مقرن خافق الاعلام
يمشى على أرض الجزيرة سيدا   متقلدا بشريعة وحسام
ويشيد بالتوحيد مالم يستطع   تشييدة من كان من حكام
وصفي أبر الحاكمين بشعبهم   من كل شهم مخلص مقدام
من هب يمتشق الحسام مناضلا   من أجل أمن دائم وسلام
من هب في وجه الضلال محاربا   للبغي والطغيان والاثام

فموكب آل مقرن ، وهم الحكام السعوديون لم يسد في هذه الجزيرة بالسيف فقط بل ان الشريعة الاسلامية كانت رائدة الاول وقد قدمها الشاعر على السيف ثم ان توحيد المملكة كان على أمر الدين ولذلك دانت أجزاؤها لعبد العزيز ومن جاء بعده من أبنائه الذين كان وقوفهم فى وجه الضلال ، ومحاربة البغى والطغيان ، أعظم مفخرة لهم .

وتبدو سيطرة النزعه الاسلامية على على هذا المديح مما يدل على مكانة الشعر الاسلامي بين فنون الشعر السعودى الحديث .

الفصل الثاني

موضوعات الشعر الإسلامي

الشعر الاسلامى معين لاينضب ، تعددت مصادره ، فتعـــددت ـ بناء على ذلك ـ مـــــوارده.

وبقدر مااتسع مفهوم الشعر الاسلامى ، اتسعت موضوعاته ، فجـــاءت معـــبرة عن مختلف جوانب الحيـــاه الانسانية.

واذا كان الاسلام عقيدة وعبادة ومنهج حياة متكاملا، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا ، فان النتاج الشعرى الذى دار فى فلك الاسلام كان أيضا ـ يمس جوانب الحياة الانسانية المختلفة.

× × ×

والمتتبع للشعر الاسلامى الحديث ـ فى وطننا الاسلامى الكبير بعامة ، وفـــى المملكة العربية السعودية بخاصة ـ يجـد أنه عالج جوانب كثيرة ، وموضوعات متعددة ، تشكل جزءا كبيرا من اهتمامنا ، وتمس مشاعرنا وأحاسيسنا ووجداننا . وقد عبرت بأساليب مختلفة عن آمالنا وآلامنا، وصورت فى مختلف المراحل أفراحنا وأتراحنا ، وهى قبل ذلك كله ، نبرة صادقة وصوت لايعرف المجاملة ، يصدر عن عاطفة مؤمنة فيمس شغاف القلوب التى اختمرت بالعقيدة الاسلامية الصافية.

والشاعر السعود ى الحديث ـ بحكم وجوده فى بلد يحتضن أطهر بقاع الارض وأعظمها قدسية فى نفوس المسلمين ، وبحكم نزعته الاسلامية المتأصلة وجد المجال أمامه رحبا ، ليقول فى موضوعات متعـــددة ذات طابع اسلامـى ممـــيز.

× × ×

ويمكن اجمـــال أهم الموضوعت التى عالجهـــا الشعـراء السعوديـــون المحدثون

فى هذا لاتجاه الاسلامى فيما يلى :—

أولا : (مايتصل بالعقيدة الاسلامية)

العقيدة الاسلامية جوهر ، وسلامة أقوال الانسان وأفعاله ، وخلوصها من كل شوائب الشرك والالحاد ، والزيغ والضلال . وصدوره فى كل مايأتى ومايذر عن عقيدة خالصة بالتوحيد لله وايمان مطلق بقضائه وقدره .. كل ذلك يعنى سلامة ذلك الجوهر الثمين ، وهو العقيدة الاسلامية ، وقد عم الجهل بأصول العقيدة ، وقل الدعاة الى الحق فى العصور المظلمة التى غلبت عليها الحياه المادية، فتعلقت النفوس بالدنيا ، وانصرفت عن الحق ، وانغمست فى مهاوى الفساد ، فبعدت بذلك عن جوهر العقيدة وصفائها الى ضروب من الضلالات وتعلقت بأوهام لاتمت الى أصول الاسلام بسبب من الاسباب . ولكن الله جلت قدرته ، ماكان ليذر المسلمين على ماهم عليه من الجهل ، فكان يلهم بين فترة وأخرى بعض عباده ليوقظوا المسلمين من غفلتهم ، ويعيدوهم الى حضيرة الاسلام ، وينبهوهم الى الاخطار المحدقة بهم فى ضعف الاعتقاد ، والتعلق بخرافات تضر ولاتنفع .

وقد كانت دعوات هذه القلة القليلة من العلماء الصادقين فى اعتقادهم تجد طريقها الى قلوب الشعراء الذين يستلهمون تلك المبادئ الرشيدة التى آمن بها ، ودعا اليها العلماء العارفون ، مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومستمسكين بالعروة الوثقى ، ومتأدبين بآداب القرآن . ومن الشعراء السعوديين الذين تأثروا بدعوات أولئك العلماء

الصادقين فى اعتقادهم الشاعر محمد سراج خراز الذى يناجى الله سبحانه وتعالى بأبيات توضح صفاء العقيدة وتغلغلها بين جوانحه فيقول :(١)

أيا عالما كنه هذا الوجـــود   وقد أخطأته سهام الرمـــاه
ويامن أحاط بأســرار مـــا   وراء الـوجود ومـا قد عـــداه
وياخالق المرء من نطفـــة   ويا باعثا فيه بعـــد الحياه
ويا مرسل النور يمحـــو الدجـــى   وتضفى على الكون زاهى سنـــاه
ويا من أشـــاد فأعلى السمـــاء   وليس لها من عمـــاد نـــراه
فان تعف عنا فكم طوقـــت   صنائع عفوك جيـــد العصـــاه
وان تنتقم فبما قد جنـــت   يدانا .. فكن راحمـــا بالجنـــاه

ففى هذه الابيات تعبير عن عقيدة التوحيد ، التىتعمقت فى مشاعره ، واختلجت بين جوانحه ، ثم فاضت شعرا عذبا صادقا فى مضمونه وفى تعبيره . كما توضح الابيات الايمان المطلق بقضاء الله وقدره والرضا بما قسم من الرزق ، وما وفق اليه من صالح الاعمال فلله المثل الاعلى ، وبيده ملكوت كل شئ ، فهو القادر على أن يعفو عن عصاة المؤمنين ، وهذا من جميل صنعه بهم ، أو أن ينتقم منهم ، فذلك حصاد عملهم وجزاء صنيعهم .

× × ×

ومن هذا قول محمد بن عثيمين من قصيدة يصف فيها الموت وما يصاحبه من أهوال

انظر ديوان محمد سراج خراز (غناء وشجن) ص(٣٧، ٣٩) ط الاولى .

، وما يليه من حساب وعقاب فيقول : (١)

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... ولو بينهم قد طاب عيش ومشرب

ومن بعد ذا حشر ونشر وموقف ... ويوم به يكسى المذلة مذنب

اذا فر كل من أبيه وأمه ... كذا الام لم تنظر اليه ولا الأب

فهى صريحة فى الايمان بالموت والبعث والنشور ، واليوم الاخر ، وما فيه من حساب وعقاب ، وما يصاحبه من أهوال . وفيها استلهام لكثير من المعانى القرآنية ، التى تتصل بالموت الذى هو نهاية كل حى من مثل قوله تعالى " انك ميت وانهم ميتون " ثم البعث والحساب والثواب والعقاب فى مثل قوله تعالى " ولا تزر وازرة وزر أخرى " وفى مثل قوله جل شأنه " يوم لاينفع مال ولابنون الا من أتى الله بقلب سليم " .

× × ×

ويحاول محمد هاشم رشيد أن يرسم لنا صورة واضحة للحظة من لحظات الخشوع والتأمل فى صنيع الله جلت قدرته مما ينبىء عن التفاعل الشديد بين عواطفه وبين آيات الله سبحانه وتعالى فيقول من قصيدة ((صلاه)) (٢)

أحس من حولى وفى أضلعى ... على امتداد الافق الاوسع

بالنور يسرى خاشعا فى الدجى ... مبتهلا للخالق المبدع

---

(١) ديوان محمد بن عشيمين " العقد الثمين " ص (٤٩٧) ط الثانية
(٢) ديوان محمد هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص . (١٢٨ - ١٢٩) ط ١٣٩٧هـ

وبالشذا يهفو كتسبيحـــة … نشوى لغير الله لم نرفـــع

أحس بالكون يصلى علـــى … شطان بحر بالسنى امـــترع

وأننى فى قلبه نبضـــة … تصدح بالنجـــوى وبالادمـــع

سبحان مـــن صلت له أضلعى … وكل مافى الكون صلـــى معـــى

× × ×

وفى أبيات لمحمد السنوسى يتضـــح مـــدى الايمان المطلـــق بقضـــاء اللـــه وقدره . فالانسان قد يخامره الشك وينتابه الجـــزع حينما يسمـــع بفقد عزيز أو حميم ولكن العقيدة القوية تقـــوده الى الحقيقـــة المره ، والمصير المحتوم ، فيسلم أمـــره لله تعالى ، ويتذرع بالصبر الذى يمليه عليه الايمان بالله وقدره ، فيقول [١] :

فلما تبينت الحقيقة لم أجـــد … ملاذا سوى ماسنـــه الله والشرع

الى الله انا راجعون .. وكلنـــا … سيذهب لافرد سيبقى ولا جمـــع

أبا حسن ما العمر الا مسافـــة … من المهد حتى اللحد غايتها القطع

× × ×

وتزداد الصورة وضوحـــا ، عن طريق النماذج الصريحـــة فى توحيد اللـــه عز وجل ، لنقـــرأ المقطوعة التالية للشاعر فؤاد شاكر يقول [٢] :

---

(١) انظر ديوان محمد السنوسى (الينابيع) ص ٦٣ . ط شركة المدينة للطباعة النشر/جدة
(٢) انظر ديوان فؤاد شاكر " وحى الفؤاد) ص (١٩٠ ط الثالثة)

يارب انك أنت الواحـــــد الاحـــــد
يارب انك أنت المفرد والصمـد

مالى سواك ومالى من ألوذ بـــــــه
وليس غـيرك ياربى لى السـند

أنت الرحيم وأنت الله منفـــــــردا
سبحانك الله لاأهل ولا ولـــــد

جلت صفاتك عن مدح وعن صفـــــة
فلا تحيط بك ذات ولا أقـــد

شهادة الحق بالتوحيد نشهدهــــــا
ملء اليقين وبالايمان نعتقـــد

وهبتنا الجوهر اللا لاء مرتكـــــزا
فى العقل فهو الهدى والنوروالرشد

به رأيناك ايمانا فلازيـــــــــغ
ومنه أقبلت الايات تضطـــــرد

به ملئنا يقينا لا يســـــــاوره
شك .. تعاليت لاشك ولافنـد

أنت الضياء وانت النور منبجســـا
يرى ضيا ءك حتى من به رمـد

تعسا لمن ضل فى الدنيا وخامـــره
فيك الضلال أو التشكيك والجحـد

فيما خلقت .. وفيما أنت تخلقـــه
من البراهين مالم يحصــه عدد

فالواحدية ، والاحديـــة ، والفـــردية ، والصمديـــة ، ونفـى الاهـــل والولد .. وغير ذلك من صفات الله تعالى التى تقوم عليها عقيدة التوحيد.

× × ×

ثانيـــا : (محاربة المبادى الهدامة للقيم الاسلامية)

فى عصرنا الحديث ابتليت أمتنا الاسلامية فى قيمها ومبادئها وأخلاقياتها ، وظهرت مبادىء ومذاهب ضالة ، هى فى مجموعها حرب موجهة الى ديننا

الحنيف ومعتنقيه ، والى قيمه السامية وأخلاقياته. فالمذاهب المختلفة من رأسمالية واشتراكية ، والدعوات الضالة من قومية وعنصريـــة وطبقية ، والتى برزت فى العصر الحديث ، كانت خطرا على القيم والمبادئ الاسلامية ، وقد تشبث بهذه المبادئ الوافدة جماعة من أبناء هذه الامة ، الذين خدعهم السراب.

وكان من الطبيعى أن يتصدى الشعراء المؤمنون المخلصون لعقيدتهم المستمسكون بحبال العروة الوثقى ، لهذه الغزوات الطارئة ، فصاغوا كثيرا من الشعر العذب الصادق ، الذى يدفع هذه الدعوات المدمرة ، والغزوات المخربة ، التى تنأى بالمسلمين عن روح عقيدتهم وصفاء دينهم ، الذى يشكل كيانهم ، وينظم حياتهم وتعاملهم .

ولم يكن الشعراء السعوديون بمعزل عن كل هذه المبادئ ، فهم حريصون على انقاذ أمتهم من هذه التيارات العاتية ، وتحذيرهم من مغبتها - فقد أحسوا بخطرها ، من واقع التجربة التى عاشها اخوانهم فى بعض الاقطار الاسلامية ، والتى منيـت بالتفسخ ، والانحلال ، لذيوع هذه النزاعات الضالة فى بلادهم . لذلك نجد فى أشعارهم قصائد ترى فيها أثر الغيرة على العقيدة والحماسة فى التصدى لتلك الدعـــوات المجتلبة ، التى تجافى روح الاسلام ، وتعلن الحرب على تلك المبادئ ، التى حاول معتنقوها مس القيم الاسلامية ، أو التشكيـــك فيها ، أو النيل منها .

ومن العجيب : أن جماعة - من الذين ينتسبون للاسلام يتبنون هذه الاراء

فيؤلفون

الفاسده ، ويدافعون عنها بدعوى التحديد ، فيالغون الكتب ، ويدبجون المقالات

، التى ينخدع بها الجاهلون .

× × ×

وهذا شاعر من شعراء المملكة هو محمد حسن فقى ، يهوله مايقرأ وما يسمع من تلك الاصوات المنكرة ، فيتساءل — فى حسرة وحيرة — عن مصير الاسلام ودياره ، فى زحمة العقائد الزائغة الحاقدة ، وما يعج به مجتمعه من دعوات ومبادئ هدامة ، قوامها الزيغ والإلحاد ومنطلقها الحقد والسخط على الاسلام وقيمه ومبادئه ، وكيف أن هذه الاصوات الناعبة تجد آذانا صاغية من أبناء أمته فيقول (١) :

أترى الربوع الحاليات بسندس — من أرضنا — تغدو ربوع يباب ؟

أو يصبح الاسلام بعد توطن — فينا — وتمكين .. من الاغراب ؟

صوق النبى فهذه أعلامه تهوى بأيدى ساخطين غضاب

قد أعرضوا عنه الى مستردل مما يلفق أحمق الكتاب

هذه العقائد كلها محمومة من حقد موتور .. وزيف محابى

عكفوا على أهوائهم فرقا بهم ماتنحنى الا لشر رقاب

مامجدهم الا سعار خلاعة أو وحيهم الا خمار شراب

ان الحمائم قد يعاف هديلها من لبس نطربه سوى التنعاب

---

(١) ديوان محمد الفقى " قدر ورجل " ص (١٦٠) ط الاولى عام ١٣٨٦هـ

× × ×

ويثور الشاعر عبد الله بن خميس على قضية التميز العنصرى بين شعوب الاسلام ، ولايعترف بما يسمونة " القومية العربيـــة " التى تقوم على أساس عنصـــرى ، اذ أن هذه الدعوة الى القومية ، منافية لروح الاسلام . وهى فى الوقت نفســه عامل على تمزيق وحدة الامة الاسلامية ، وتفريق صفوفها . والاسلام دين وحدة ، ألف بين معتنقيه ، وجعلهم أمة واحدة ، ومجتمعا متماسكا ، شعاره لااله الا الله محمد رسول الله ، ولم يفرق الاسلام بين عربى وغير عربـــى ، فى الحقوق والواجبات والتكاليف والثواب والعقاب ، فكلهم لادم وآدم من تــراب ، يسعون الى غاية واحدة ، وهى الحفاظ على دينهم ، والعمل على عزة المسلمين ووحدتهم فى كل زمان ومكان والله سبحانه وتعالى يقول : " ان هذه أمتكم أمـة واحدة وأنا ربكم فاعبدون " [1] . ويقول : "وان هذه أمتكم أمــة واحدة وأنا ربكم فاتقون " [2] .

فالاسلام براء من تلك الدعوة العنصرية ، والعصبية الجاهلية ، اللهم الا عصبية الدين ، التى توحد بينهم ، وتجمع شملهم ، ولذلك شبه رســول الله صلى الله عليه وسلم جماعة المسلمين بالجسد الواحد ، اذا اعتل منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهـــــر .

يقول عبد الله بن خميس من قصيدة " الصومال الشقيق " [3] :

---

(١) سورة " الانبياء " الاية (٩٢) .
(٢) سورة " المؤمنون " الاية (٥٢)
(٣) ديوان عبد الله بن خميس " على ربى اليمامة" ص(٢٨ ، ٢٩) مطابع الفرزدق

كمثلك من فى سدة الوحى قد هاموا وقاموا على سلساله العذب ..أوحاموا
معين أباح الواردين سلافـــــه اذا اشتجرت (حام) على الورد أو (سام)
فسيان فيه يعربى وأعجمـــــى وسيان فيه (الهند) و (الصين) و (الشام)
دماء غذتها فطرة وعقيــــدة فمنها سيوف فى الثغور وأقـــلام
أقاموا على بحبوبة العدل دولـــة ترف لها – فى منتهى الارض – أعلام
وجاءوا بما لايستطاع تغننـــا على حين كان الناس فى الجهل قدهاموا
هو الحق يعلى المصلحون بنـــاءه وينقره – رغم الصلابة – هـــدام
ألم يجفها (عدنان) فى عقردارها – ضلالا وعدوانا – وينصرها (حام)

وقد أحس كثير من الشعراء بما يهدد وحدة الامة الاسلامية ، مجارة لهذه الدعوات المخربة ومن هوءلاء عبد الرحمن العشماوى ، الذى يعاتب أمته على اخلادها الى الراحة والتنعم بالمال وينحى باللائمة على جماعة المسلمين الذين دب فيهم الوهن ، وابتعدوا عن اداب الاسلام التى استمسك بها الاولون ، ففتحو المدائن والامصار ، وملاوا الارض نورا وعدلا بعد أن كانت ظلاما وجورا ، ويوءكد النفور من دعوى القومية التى استشرت فى العالم الاسلامى فى السنوات الاخيرة فيقول (١) :

يارعى الله أمتى كيف يجلـــو همها المال والفراش الوثـــر
كيف تسمو وبينها قومــــى وعريق فى فسقه مخمـــور
قل لمن غره النعـــيم وولـــى فى ضلال ان الزمان يــــدور

---

(١) ديوان عبد الرحمن العشماوى " الى أمتى " ص (٧١) منشورات دار ثقيف

كيف تنجو سفينة فى احتدام المـــــــوج ربانها ضــــــلال وزور
ميزو بين زائـــف وصحـــيح   أفكل الـذى يلين حريـــر

× × ×

وهذا شاعر آخر هو محمد الشبل ، يبدى جزعه من هذه النعـــرات الجاهلية التى حذر منها الاسلام ، وشرح سوء مغبتها فيقول (١) :

خطى التاريخ ماَستبقيت عهـــدا   ولا أغمدت فى الدنيا حسامـــا
ولم يصمى من الاجيال يومـــا   كجيل صادر القيم العظامـــا
وقوض كل مايعليه ديـــن   وحارب كل من صلى وصـــام
وشوه للحقيقة كل وجـــه   فضل عن الحقيقة أو تعـــامى
فما خلق العزيمة مثل ديـــن   اذا وهنت تعهدها ضرامـــا
وما قتل العزيمة كانحـــلال   يجـــر وراءه الموت الزؤامـــا

× × ×

واذا تتبعنا الشعر السعودى فى الاتجاه الاسلامى وجدنا كثيرامن القصائد التى تتسم بالثورة على القوميةودعاتها وماسببته من فرقة وشتات بين أبناء الامة الاسلامية.

---

(١)ديوان محمد الشبل " نداء السحر" ص (٦٦ — ٦٨) .

ثالثـــا : ((المقدسات الاسلامية فى هذا الشعر))

الى بيت الله الحرام وكعبته المشرفة فى مكة المكرمة ، تتطلع أنظار وأفئدة ألف مليون مسلم خمس مرات فى اليوم • وفى كل عام تشهد مكة المكرمة ، والمشاعـــر المقدسة • فى منى وعرفات ومزدلفة ـ تجمعا اسلاميـــا ، يعد أكبر تجمع فى حياة المسلمين ، وكذلك تشهد المدينة المنورة ـ مثوى رسول الله صلى الله عليـه وسلم ـ ومقر مسجده الشريف ـ هذه الجموع الصاخبة ، غادين ورائحين ، يتشرفون بالسلام على رسول الله صلى الله عليـه وسلم وصاحبيـــه ، وقد تجردوا من مظاهـــر الدنيا وأخلصوا قلوبهم لله ، وجاءوا من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معدودات من كل عام ، ثم يعودون الى أوطانهم وقد ازدادوا هياما بتلك البقاع الطاهرة ، والاماكن المقدسة •

فالمسجد الحرام أول بيت وضع لعبادة الله فى الارض وهو حرم الله الامن ، جعله الله مثابة للناس وأمنا • يقول عز من قائل : " ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين " (١) وقال تعالى : " واذ جعلنـــا البيت مثابـــة للنـــاس وأمنا ... " (٢) وقد ورد ذكر بعض المشاعر المقدسة فى القرآن الكريم ، تنويها بقدسيتها يقول الله تعالى : " فاذا أفضتم من عرفـات فاذكروا الله عنـد المشعـــر الحرام واذكروه كما هداكم ... الاية " (٣) وقد نوه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فى أكثر من موضع ـ بفضل مكة والمدينة ، والمسجد الحرام ومسجده صلى الله عليه وسلم •

---

(١) سورة آل عمـــــران " الاية (٩٦)
(٢) سورة " البقرة " الايـــــة (١٢٥)
(٣) سورة " البقرة " الايـــــة (١٩٨)

ومقدسات هذا شأنها ، طبيعى أن تحتل مكانة عظيمة فى قلوب أهلها وأفئدتهم ، فيهيمون بحبها ، ويعتزون بذكرها ، ويثورون لادنى حدث ، من شأنه المساس بقدسية هذه البقاع ، أو ترويع الامنين فيها .

ومن هنا .. وجدنا أن الشعراء الاسلاميين — منذ ظهور الاسلام وحتى الان — يتغنون بهذه المقدسات ، ويبرزون جوانب قدسيتها ، وجلالها فى أشعارهم .

والشعراء السعوديون — بحكم وجود أعظم هذه المقدسات فى بلادهم — كانوا أشد التصاقا بها ، وأكثر تحدثا عن عظمتها وتاريخها ، فتغنوا بمكة والمدينة ، وهاموا بالكعبة ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

× × ×

ولنستمع الى الشاعر / حسن عبد الله القريشى .. حين يأسره صباح مكة الجميل ومساؤها ، فتمر بمخيّلته مواطن القداسات فيها ، الكعبة وجموع الطائفين بها ، وجبل النور مولد الوحى السماوى . انها سفر كبير يحوى العظمة والخلود ، يتيه فيه الزمن ، ويكل البصر . يقول من قصيدة (مكة)(١) :

تفتق عن راحتيها الصباح	وشعشع فى شفتيها القمر
وأزهت بها الشمس فوق البطاح	وجن بها الليل حلو الصور
بها كعبة الله طافت بها	قلوب تحن وازهت عصر
هيا جبل النور كم ذا شهدت	من المعجزات وكم ذا ظهر ؟

---

(١) انظر ديوان حسن القريشى" نداء الدماء " ص ٤٧ — ٤٨ . ط الثانية

تحدث ففى الغار شع اليقـــين ... وقد تنطق الذكريـــات الحجـــر

أيا قمة فوق هام الخلــــود ... سمت بسناها الشذى العطـــــر

اذا ما ارتقيت اليك انطـــوى ... بحسى الزمان .. وكل البصـــر

× × ×

والشاعر طاهر زمخشري ـ وهو على البعد ـ تهيم روحه المؤمنة فى موطن القداسات ، وتسرى بين المطاف والمروتين ، والخيف والاخشبين[1] وتشع فى روحه اشراقة هذا البلد الطاهر . فيتمنى أن يتوسد بطحاءه الطيبة ، ويلمس ترابه الندى بعبق القدسية والطهر ، ويلقى عصا الترحال بأفيائه الوارفة الظلال . فيقول من قصيدة (الى المروتين)[2] :

أهيم بروحى على الرابيـــــة ... وعند المطاف وفى المروتـــين

وأرنو الى ذكر غاليـــــــة ... لدى البيت والخيف والاخشـــبين

فيهدر ومعى بآمـــــاقيــــة ... ويجرى لظاه على الوجنتــــين

أهيم وفى خاطرى التائـــــه ... رؤى بلد مشـــرق الجانبـــين

يطوف خيالى بأنحائـــــــه ... ليقطع فيه ولـــو خطوتـــين

أمـرغ خـدى ببطحائــــــه ... وألمس منه الـــثرى باليديـــن

وألقى الرحال بأفيائـــــــه ... وأطبع فى أرضـــه قبلتـــين

× × ×

(١) الخيف : مسجد بمنى قرب الجمرات ، والأخشبان : جبلان بمنى أيضا .

(٢) انظر ديوان طاهر زمخشرى " أغاريد الصحراء " ص ٦٤ ـ ٦٥ ط ١٣٧٨هـ

ويسمو الشاعر / محمد حسن الفقى ... بجلال مكة فوق كل جلال ، وبمعناها فوق كل معنى . ولايخفى الفقى حبه ، وحب الملايين غيره – من المسلمين – لمكة المكرمة . ويقرر أن عشق مكة هو أسمى عشق ، وعشيقها هو أهدى عشيق . فيقول فى قصيدة (مكــــة)(١) :

مكتى أنت لاجـــلال على الارض يدانى جلالها أو يفـــــوق

ماتبالين بالرشاقة والسحـــــر فمعناك ساحـــر ورشيـــــق

سجدت عنده المعانــــــى .. فما ثم جليل سواه أو مرمــــوق

ومشى الخلد فى ركابك مختـــــالا يمد الجـــديد منه العتيــــق

أنت عندى معشوقة ليس يخزى العشـــق منها ولا يضل العشيــــق

ماأباهى بالحسن فيك على كثرة ما فيــــك من مغان تشـــــوق

رب صخـــــر فى بطن واديك يامكـــــة يهفو اليه غصن وريـــــق

لست وحدى متيمـــا .. فالملايين فريـــق يمضى فيأتى فريـق

تتوالى عليك منهم صبابات .. فيصغى لها الفؤاد الرقيـــــق

لقد عبر الفقى عن عشقه الابدى لمكة ، ذلك العشق الذى يشاركه فيه الملايين . لاسمى معشوق ، تعلقت به قلوب المسلمين ، وهفت اليه أرواحهم .

× × ×

ويعيد ضياء الدين رجب الى الاذهان قصة تلك البقاع المقدسة وكيف شاء الله أن تحتضن

---

(١) انظر ديوان محمد الفقى " قدر ورجل " ص ١٦٣ – ١٦٤ ط الاولى

وحى السماء ، وتتحول الى مواطن مقدسة ، وفيرة الخير والسكان فيقول [١] :

اذكرى يابطاح كيف أقام الله مجدا مخلدا فى بطاحـــك
صافحته السماء فانتشرت فيه نجوما تألقت فى وشاحـــك
ثم ألقت على الاديم من الفجر شعاعا مقطرا فى صباحـــك
واديا أسفع الرؤى غير ذى زرع ‥ مجيل ضممته بجناحـــك
فتندى كأنما اعتصر الفجر سلافا من البدور الضواحـــك
وتندت حصباؤه من عقيـــق خاضبا لونه زكى جراحك
خضخض السحب فاستهلت تعاطيـــه نضارا مصفقا فى قداحـــك
نهلته الحياة أحلى من الشهد ‥ وروت به كريم صفاحـــك
وهى نشوى به … بمعناك ‥ بالماء نقيا سلساله من قراحـــك
وهفا بالحمام لاعج شـــوق عـــبقرى هديله من صداحـــك
شاديا بالامان فى الحرم الآمن ‥ من بعد شدوه بنواحـــك

وأخيرا ‥ تأتى حادثة الحرم المكى الشريف فى غرة محرم من عام ألـــف وأربعمائة هجرية ، فتدمى قلب كل شاعر مسلم بعامة ، وقلب كل شاعر سعودى بخاصـــة ، فتطالعنا الصحف اليومية ، والمجلات الدورية بعشرات القصائد ، التى تشجب مثل هذا الاعتداء الاثيم ، على أقدس بقاع الدنيا ، على بيت الله الحرام ، فى بلد الله الحرام .

ومن النماذج الجيدة التى قيلت فى هذا الحادث قول عبد الله بن خميس [٢] :

---

(١) انظر ديوان ضياء الدين رجب ص (٣٩٨) دار الاصفهانى
(٢) انظر المجلة العربية ـ عدد (١١) السنة الثالثة . ربيع الاول ١٤٠٠ هـ

سفها على البيت الحرام يغـــــار ‏ ويعيث فى جنباته الاشـــــرار

أو عند بيت الله ثأر يبتغـــــى ‏ حتى يردد فى حمـــاه الثأر

حذرت حماه الجاهلية حسبـــــة ‏ وتجانبت عن سوحـه الاوزار

فى مأمن من أن ينفر صيـــــده ‏ أو يختلى .. أو تعضـد الاشجار

وله بأفئدة الورى قدسيـــــة ‏ وعليه — من عرف الاله — يغـار

تستنزل العبرات فى أكنافـــــه ‏ ويقال — من ظلم النفوس — عثار

واليه يهفو كل طرف خاشـــــع ‏ ويحـج — فرضـا لازما — ويزار

أتبيحه — رغـم الجلال — عصـابة ‏ ويقوم فيه — لبغيها — أوكـار

راعوه فى جنح الظلام بصيحـــة ‏ فزعت لها الصلوات والاذكـار

وتعطل التسبيح فى جنباتـــــه ‏ واستأثرت صرخاته والنـــار

وقول محمد الفقى (١) :

يامسجدى الاقدس ياقبلـــــتى ‏ يامطلع النور ومهـــد الهدى

ماذا الذى يحدث فى أمـــــتى ‏ مما غدا الصبح له أســـودا

أوشكت — أن أحسب من دهـــشتى ‏ من هوله الروض غـــدا فدفدا

لا .. ليس ما أسمع من كربـــــتى ‏ هذى — محاها الله — الا الصدى

× × × ×

يامسجدى الامن .. يابقعـــــة ‏ أمنهـــا الله بوحى السمـــاء

من الذى دنسها حرمـــــة ‏ من الذى يسفك فيها الدمـــاء ؟

---

(١) انظر صحيفة (المدينة المنورة) العدد ٤٧٦٢ ص ١٦ — الثلاثاء ٨ محرم ١٤٠٠هـ

من الذى اعتز بها لعنـــــــــة　　ابليس يخشاها .. ويأبى البلاء
لابارك الله لها عصبـــــــة..　　من جبنها تفتك بالابريـــــاء
جاءت بليل دامس ترتـــــــدى　　ملابس الطهر .. وتخفى الكفور
ليس بها الراجى .. ولا المهتـــدى　　ولا بها الخائف عقبى الفجور
لكن بها الجارم والمعتــــــــدى　　وناكث العهد وغاوى الثبــــور

× × ×

كما حن الشعراء الى المشاعر المقدسة ، فامتلا بها شعرهم . فقد ذكروا حراء وجبل النور وعرفات ومزدلفة ومنى . وسجلوا خواطرهم نحوها ، وما تثيره فى نفوسهم من ارتباط وثيق بينها وبين الدعوة الاسلامية الخا لدة التى نشأت وترعرعت فى هذه البقاع الطاهرة.

فهذا الشاعر ابراهيم فودة ، يروى قصة النور فى غار حراء ، حيث ولد الهدى ونزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انبعث فجر الاسلام ، وانبثقت رسالته فى أرجاء الدنيا فكان العالم الجديد ، والامة البكر فيقول (١) :

اسمعوا اسمعوا فهذا حـــراء　　يتهادى مهللا يتكـــــــــلم
ان فيه النبى يستقبل الوحــى　　وجبريل بالهدى يـــــــترنم
وعلى الارض للسماء لقـــاء　　هو للارض فى السماوات سـلم
غطة ثم غطة يلتقى الروحـان فيهـــا　　والنور بالنــور مفعـــم
وحراء فى قمة الارض تيـاه علاء ، وتحـت أحمــــد أسلـم

---

(١) انظر مجلة " المنهل " ص (٢٤٨) عددربيع الاول والثانى سنة ١٣٩٤ هـ

وسرى النور سابحا فى الدياجى يولج الليل فى النهار ويقحـم
وحراء منارة يسطع الاشعاع منهـا .. والشمس والغـار تـــوأم
واستنار الوجود وانجابت الظلمة.. والليل بالضيـاء تـــبرم
ومشى موكب الرسالة ينداح نشيــدا.. الى الحياة الاقــوم
اسمعوه مرددا قصـة النور .. تغشى قلب النـبى الملهـم
اسمعوه يقول ـ فى غير زهو ـ كيف يزهو من كان للعلم منجم
هاهناكان للسماء التقـاء برسول به الرسالات تخـتم

× × ×

ويتغنى محمد السنوسى بطيبة الطيبة ومـا خصـها الله به من منازل الوحى ، وايوائها للطيبين الطاهرين ، من المهاجرين والانصار وانها منطلق الهدى والحق ، اللذين سريا الى مختلف الاعصار والامصار ، ثم يعرج على بعض معالم المدينة ويحييها فيقول :(١)

هذه طيبة فحيى الرســولا بوركت منزلا .. وطابت نزيـلا
هذه طيبة التى خصها اللـه بما خصها به تغضيــلا
منزل الوحى والملائك والانصار والطيبين جيـلا فجيـلا
وملاذ المهاجرين الى اللــه شبابا وصبيـة وكهـولا
هب منها الهـداة وانطلق الايمان والمـؤمنون صفـا طويـلا
ومشى فى ظلالها موكب الحـق .. الى العالمـين يهـدى السبيلا

---

(١) ديوان محمد السنوسى " الاغاريد " ص (٦) مطابع الاصفهانى

حيهـا حيها وحيى روابيهـا ٠٠ وحيى العقيق والعاقـــولا

xxx

انها صورة من صور تمجيد تلك المدينة التى اقترن اسمها باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيها أقام الهادى البشير ، ومن حراتها انطلقت كلمة الحق يرددها جند الله حتى دانت لهم الارض ٠

× × ×

ويرى محمد هاشم رشيد فى ((جبل أحد)) رمزا حيا للامجاد الاسلامية وللخير والعطاء فيعود به ذلك الرمز الى موقعة أحد التى شهدها الجبل ، الى الشهداء الابرار الذين خضبت دماؤهم الزكية صخوره وثووا فى سفحه الى الابد فيقول : (١)

يارمـــز مجد من بلادى انتشـــر

ياجبلا يورق فيـــه الحجـــر

ويصدح الشـــوك به والزهـــر

هنا على السفح المديـــد المديـــد

ينام فى ظلك أزكـــى شهيـــد

وحوله كل همـــام مجيـــد

xxx

(١) ديوان محمد هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص ٠ (١٠٤ - ١٠٧) ط ١٣٩٧هـ

وعن مدينة القدس المحتلة ، ومسجدها الاقصى ، أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين . كانت – ومازالت – ألسنة الشعراء السعوديين تلهج بالحنين اليها ، وينتابها الاسى والالم . مما تعانيه القدس المحتلة ، ومسجدها الاقصى من تدنيس وعبث ، وما يلاقيه أبناؤها المسلمون من ترويع وبطش على أيدى اليهود المستعمرين .

فالشعراء السعوديون المحدثون ، لاتكاد تمر مناسبة اسلامية ، دون أن ينبهوا الى عبث اليهود باحدى بقاع المسلمين المقدسة ، ودون أن يطالبوا المسلمين بتوحيد الصف ، وجمع الكلمة ، وتوحيد القوى ، لتخليص القدس والمسجد الاقصى ، مسرى النبى صلى الله عليه وسلم من أيدى اليهود . لذلك لايخلو ديوان شاعر سعودى من ذكر المسجد الاقصى والقدس الشريف .

نقرأ – مثلا – الابيات التالية للشاعر زاهر الالمعى ، والتى يوضح فيهـا غضبة المسلمين للقدس الشريف ، وأن له عهدا فى أعناق أبناء أمته يجب الوفاء به ، ويتلهف عليه من جـور السياسات ، ويتألم لما يحدث فيه من استباحـة أعراض المحصنات ، واراقة دماء الاطفال الابرياء ، والشيوخ الضعفاء ، وكيف يعلو لواء اليهـود فوق ربوعه الطاهرة ، فيقول : (١)

ضجت رحاب القدس وانتفض الـثرى	وتفجر البركان من أم القـرى
ومضى ينادى أمة قوامـة	لتدك صـرح الغاصبين وتقهـرا
ياثالث الحرمين ان العهـد فـى	أعناقنا .. قد صـار عهدا أكـبرا

---

(١) ديوان زاهر الالمعى " على درب الجهاد " ص (١٩٩ – ٢٠٠) ط الاولى ١٤٠٠هـ

لهفى عليك .. وللسياسة مكرهـــــــا　　أتباع فى سوق الطغـــاة وتشـــــترى
ويباح عرض المحصنات ، ويقتل الاشياخ ، والطفـل البــــرىء تجـــــبّرا
ويشيد أبناء اليهـــود ببغيهـــــم　　فوق الربوع الطاهرات معسكـــــرا
ودم الثكالى واليتامـــى مهـــــرق　　يجرى علـــى أشلائهـــم متحـــــدرا
أتداس أقداس الجدود تعنتـــــا　　ومساجد التقوى تهان وتــــــــزدرى؟
والمسجد الاقصى يخضب بالدمـــا　　والكون ــ كل الكون ــ أعمـــى لايـــرى

xxx

ويخاطب الشاعر ابراهيم الدامغ . القدس الشريف ــ أيضا ــ ، فيعده باليوم الاتى الذى ستلتئم فيه الجراح النازفـة ، حين تعود الارض الى أهلها ، وتطهر فلسطين المحتلة من أرجاس المستعمرين ، وتخفق راية الحق والسلام على تلك الربوع فيقول : (١)

يامنبع الاشراق .. فى قدسى الابى المعتـــــــــق
هدهد جراحك وانتظـــر ــ لابد ــ يومـــا ــ نلتـــقى
لابد أن تشفـــى جراحات الغداء المخــــــــفق
ويزيح أذناب القـــــــرود .. ظلامهم عن مفـرقـــى
ويعود لى وطنـــــى .. فأحمل فوق رأسى موثقـــــى
علم يظل شعاره يسمـــــو الابى ويتقـــــــــــى

× × ×

ويتساءل الشاعر محمد الشبل ــ فى أسلوب استنكارى ــ عما وصلت اليه أمته الاسلامية

---

(١) ديوان ابراهيم الدافع " شرارة الثأر " س (١٥٥) نشر دار العلوم بالرياض

من الغفلة عن القدس الشريف ، وماتعانيه على يد العدو الصهيونى ، وكيف تتوالى الخطوب على أمته ، فتريق دماءها على كل أرض ، وتحت كل سماء ، فيقول : (١)

أعيدان يا أمتى المسلمة — يمران فى ليلة مظلمة ؟
أعيدان ياوصمة فى الجبين — يمران والقدس مستسلمة؟
يمران .. والجرح لما يزل — يريق على كل أرض دمه
وليل الهوان الطويل الطويل — يمزق فى أفقنا أنجمه
وفى كل باب تدق الخطوب — بكف من النار مستلئمة
وفى كل شبر تسح الدموع — حياة من الويل مسترحمة

× × ×

ودواوين حسن القرشى مليئة بالقصائد والمقطعات ، التى تفيض ألما وحزنا على المسجد الاقصى ، وتندد باليهود الذين دنسوا قدسيته ، وتهيب بالامة الاسلامية الى تخليصه وتحريره .

ففى الابيات التالية يحث المسلمين على الثأر للمسجد الاقصى بالقدس . ويذكرهم بأمجادهم فى فلسطين ، التى يهيمن عليها اليهود فيقول : (٢)

اخوة الثأر على الارباض دجن — وعلى القدس عدو مطمئن
سرق النصر وفى أفواهنا — من مجانى نصرنا سلوى ومن
وتمطى .. فاذا الدنيا له — مهرجان واذا الامال تدنو

---

(١) ديوان محمد الشبل " نداء السحر " ص (٥٨) ط مطابع الفرزدق بالرياض
(٢) ديوان حسن القرشى المجلد الثانى ص (٥١١ - ٥١٢) ط الثانية ١٩٧٩م

سلب الارض وفى الارض لنـــــــــــا   أي تاريخ له الاجيــــال تدنـــــو
وتحدانا " يهوذا " بعدمـــــــــا ـ   عطل الاجواء .. لانســر يطــــن
وانكفأنا .. فى حشانا جمـــــــرة   وعلى آفاقنا حزن وغـــــــــبن
ولاسرائيل فى داراتنـــــــــــــا   زأرة ينفثهـــا غل وضغـــــــن
يافلسطين تحيات الحمــــــــــى   لك تهفو .. والنجاوى كم تحـــن
لاتخالينا نسينــــا أربعـــــــــا   منمآقينـــا لها يخضل جـــــفن

× × ×

وفى المقطوعة التالية ـ له ـ يصف حزن القدس والمسجد الاقصى به ، مما يلاقيه على أيدى اليهود ، ويؤنب المسلمين على غفلتهم واغضائهم عما يجرى فى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فيقول : (١)

تردت روابى القدس ثوب حـــــداد   ولفعن من أرزائها بســـــــواد
وبيت الهدى والطهــر عاد صبـــاءة   يدنسها مستهتر ومعـــــــاد
أنغضى على الضيم الملح وأهلنـــا   وجيرتنا الادنون رهـــن كيـــاد ؟
أتلك حياة أم ممات مجـــــــلل   غطاء حياة .. روعت بصفـــــاد؟
الهى هيىء للاباء قيادنــــــــا   فقد أصبح الاحيــــاء شبه جمـــاد

× × ×

وينقل الشاعر عبد الله بن خميس صوت الاقصى ـ أولى القبلتين ـ الى المسلمين ، ويسمعهم نداءة ، حين يتبرم من رزئه الاليم الذى لقيه على يد اليهود ، ويتلفت الى العالم

---

(١) ديوان حسن القرشى ـ المجلد الثانى ـ ص (٥٢٨ ـ ٥٢٩) ط الثانية ١٩٧٩م

الاسلامى عله يجيب نداءه ويسمع صوته فيهب لتحريره ، يقول الشاعر: (١)

فنن بأولى القبلتين تنـــــادى	قد طال ــ فى الضيم الممض ــ رقادى
ووتيرتى نامت ٠٠ وزاد تأوهــى	ويهود ــ يالمصيبتى ــ عــــوادى
وأعيش فى أمل طويل ليلـــه	لامسعف ٠٠ أو منجد ٠٠ أو فـــادى
وتلفتى نحو الجزيرة لايـــنى	ياموئل الامجـــاد حل قيـــادى
رحمى بهاتين الربى موصولـــة	فالقوم أهلى ٠٠ والبلاد بـــلادى
وسيوفهم درعى ، وسنة أهلهـا	شرعى ٠٠ وصيحة حربهم انشـــادى

ويرى الشاعر / محمد سعيد العامودى ، أن جميع الحلول المزيفة التى توضع من أجل قضية المسلمين الاولى ، احتلال اليهود للقدس الشريف ، وتدنيس مقدساته ــ لن تكون ناجحة ، لانهـــا ليست مبنية على الحق والعدل ، وأن الحل هو النضال من أجل استعادة الحقوق ، وعدم الاستكانة والذل فيقول : (٢)

أى حل يروم للحق وجهـــين	يصون السلام أو يرعـــــاه ؟
أى حل يوائم العدل ٠٠ والعـــدل	جميع الحلول لاتهـــــــواه
انه المستحيل ٠٠ ان يولد الحـــل	اذا كان وأده منتهـــــــاه
هم يريدونه اقتحاما على الحـــق	يوارونـــــــه ٠٠ ويأبى اللــــه
لن يكون الحق الذى قد أضعنـــاه	مضاعـــا ٠٠ ان نحن أنقذنـــاه

---

(١) ديوان عبد الله خميس " على ربى اليمامة " ص (٨٤ ــ ٨٥) ط ١٣٩٧هـ ٠

(٢) ديوان محمد سعيد العامودى " من رباعياتى " ص (٥٧ ــ ٥٨) ط الاولى ١٤٠١هـ

بالنضال الرهيب بالعزم بالاصـــــرار لايستبد فيـــــا سواه
أى رزء بعد الفضيحـــــة فى القـــدس و باقى أوطاننا تخشاه؟
ان من يقبل الهوان ويرضى الــــــذل والامتهان ما أشقـــــاه

رابعا/ الدعوة الى التضامن الاسلامى :

شهد العالم الاسلامى فى العصر الحديث تفرقا فى الكلمة ، وتباعدا بين الاقطار .. فى زحمة الاحداث ، التى مرت عليه من غزو فكرى واستعمارى . وقد هزت العوامل كيان الامة الاسلامية وأدت ـ مجتمعة فى بعض الاقطار ، ومتفرقة فى أقطار أخرى ـ الى نبذ عرى التضامن والاخاء الاسلامى ، والى ضياع الكلمة الموحدة ، والرأى المشترك ، فى ظل مبادىء وقيم واتجاهات مختلفـــة ، عنت ـ عن قصد ـ اضعاف شأن المسلمين ، وسلب أوطانهم ، واستنزاف مواردها الطبيعية والبشرية . فى ظل غياب اسلامى ، عن كل ماتهدف اليه تلك العوامل الدخيلة الطامعة .

وفى هذه الفترة ... لم تخل الاقطار الاسلامية من أصوات مخلصة ، كانت ترتفع هنا وهناك ، تنادى بالتضامن الاسلامى ، وجمع الكلمة ، وتوحيد الصف . ليقينها أن سبيل خلاص الامة الاسلامية واستردادها لمقدساتها وأوطانها ، ورقيها بشعوبها . فى عودتها الى الوحدة والتضامن الاسلامى ، الذى صنع قوتها من قبل . وهو كفيل باستعادة تلك القوة الان .

وكانت أصوات الشعراء أقوى تلك الاصوات ، وأكثرها تأثيرا فى النفوس ، وكان للشعراء السعوديين باع طويل فى هذا الموضوع . بحكم موقع المملكة ، ومكانتها فى نفوس المسلمين ، وشهود أراضيها الطاهرة لاكبر متجمع اسلامى سنوى ، بالاضافة الى انبثاق الدعوة

المخلصة الى التضامن الاسلامى ، التى حمل لواءها المغفور له جلالة الملك فيصل طيب الله ثراه . فكانت تلك الدعوة محلا للاشادة بها . لما حققته من تقارب ملموس ، وتلاحم بين الشعوب الاسلامية .. بعد وقت طويل من الفرقة والشتات .

× × × ×

ولنستمع الى الشبل ... حينما يبارك تلك الدعوة الى التضامن الاسلامى ، التى ستجمع الشمل ، وتنير السبيل لابناء الامة . ويرحب بالتلاحم الذى يجسد قوة هذه الامة ، لانه يشدها بربـــاط العقيدة الواحدة ، والمبدأ المشترك ، والهدف النبيـــل فيقول : (١)

حقق الاسلام فيك الامـــــــــلا	فاجمع الشمل لعهد أفضـــــــــلا
وانطلق فى كل واد صيحـــــــــة	تبعث الحق وتهدى السبـــــــــلا
واستعد أشـــرف دستـــور بـــــنى	لبنى الانسان مجـــــدا وعـــــلا
ورعـــى الدنيـــا فكانت وطنـــــا	ساحر العيش .. وكانت منهـــــلا
مرحبا أسمى لقاء فى الـــــــورى	يصنع الحـــــاضر والمستقبـــــلا
ويرى العالم أنا أمـــــــــــة	لم يزل فينا الهدى متصـــــــــلا
لم تمزقنـــا قوى عاتيـــــــــة	لا .. ولم تعصف بنا أيدى البـــلى
يوم كنا أمة واحـــــــــــدة	يعبق الايمان فينا العمـــــــــلا
يوم شدت بيننا فى قـــــــوة ـ	صلة الدين الـــــربـــــط الاولا

---

(١) انظر ديوان محمد الشبل (نداء السحر) ص ٢٩ ـ ٣٠ ط ١٣٩٩ هـ

× × ×

ويتذمر محمد حسن عواد من ضياع الحق فى زحام هذه الحياة ، ويدعوا أمته الى الطريق الذى يوصل الى ذلك الحق .. وهو طريق الاتحاد والتضامن الاسلامى .. وأن الامة بهذا التضامن قادرة على مواجهة كل مايبيته لهـــا أعداؤها ، الذين لـــم تعد حقيقة أمرهم خافية على أحد فيقول :(١)

هذه الدنيا مزاحمـــــــــة واطلاب الحـــق مشكلهـــا
غير أن الحق ـ لوعلمـــــت أمتى والجهـــل يقتلهـــا ـ
قوة بالاتحاد علـــــــــى كل من أضحى يطاولهـــــا
أجنبى يرتدى ـ أبـــــدا ـ حلة التغـــرير يصقلهـــا
فى خفايا نفسه كمنـــــــت نية للســـوء .. يحملهـــا
ذويد للهدم قـد جلبـــــت سافل الاغـــراض معولهـــا

× × ×

ويدعو محمد الفقى .. بحرارة الى وحدة الامة الاسلامية ، فهى أساس تلك الوشائج القوية بيد المسلمين ، بعيدا عن العنصريـــــة والقومية . ويتساءل ـ أيضا ـ بحرارة المعانى لكل ماتعيشه أمته من تفـــــرق وتباعـــــد ـ عن ساعة العودة الى تلك الوحدة وذلك التضامن والوئام ، لكى تعود بذلك عزة الاسلام وقوته فيقول :(٢)

ياراية التوحيـــــد .. كم وحـــدت من شتى الجهـــود
ليس الوشائج فى العقائـــد .. كالوشائج فى الجـــلود

---

(١) انظر ديوان محمد العواد (نحو كيان جديد) ص ٤٩
(٢) انظر ديوان الفقى (قدر ورجل) ص ١٧٦ . ط الاولى .

فاذا خفقت .. تواثـب الاشياع تحتـك كالفهـود

هم فى ظلالك مايبالون النحوس من السعـو د

هم أخوة فى اللـه .. من قبل الضمائم والمهـود

فمتى نعود الى الوئام .. ونتقى شر الصـدود ؟

وتعود للاسـلام عزته .. كمنصـرم العهـود

× × ×

وأخيرا .. يطالب الغزاوى ـ صراحة ـ جموع الحجيج بالدعوة الى التضامن فى أوطانهم ، لانه أول سلاح لهذه الامة فيقول : (١)

أهيبوا بمن هم كالرمال وراءكـم الى الله .. واستوحـوا هداه وأصلحوا

وكونوا دعـاة للتضامـن انـه لاول مانحيـا به ونـسلـح

تنادوا به فى قـوة وتعاونوا على البـر والتقـوى .. فذلك أنفـع

---

(١) انظر مجلة المنهل ص (١٥) عدد محرم ١٣٩٢

خامســــــــا : (مناجاة الخالق عز وجـــــــل)

سنة الحياة .. أن تكون النفس البشرية طاقة هائلة ، تتقاسمها شتى الاحداث ، ومختلف النزاعات والحركات .

فالنفس الانسانية – دائما – موزعة بين الضرب فى الارض لاكتساب العيش ، ومعالجة مشكلات الحياة اليومية فى البيت والمجتمع ، وساعات أفراحها ولحظات أتراحها ، وأوقات صحتها ومرضها ، ونعيمها وشقائها .

وفى زحمة هذه الاحداث .. تقتطع النفس المؤمنة لحظات من عمرها ، تصفو فيها وتروق ، وتخرج من هذا الكون الشاسع الصاخب ، بأحداثه ومفارقاته ، بآماله وآلامـــه ونزعاته المختلفة – تخرج الى مناجاة خالقها عز وجـــل . تتفكر فى ملكوته وعظمته ، وفى آياته التى تشهد بوحدانيته وتفرده وقدرته . فتهرب من الدنيا الفانية – ببهرجها وزخرفها – كما تهرب من أدناسهـــا وخطاياهـــا ، وفسقها وجهلها وتغريطهـــا ، تهرب الى عالم رحـــب فسيح ، تسمـو فيه النفس الى أعلى مراتب الطهـــر حيث تتصل بخالق الاكوان كلها ، وتتجلى لها عظمـــة ذلك الخـالق فـى كل ماتراه حولهـا .. من سماء صافيـة ، ونجوم وهاجـــة ، من رياح وأمطار وجبـــال وأنهـــار ، من أشجار وارفـــة الظلال ، وضياء وظلام متعاقبـين .. وغير ذلك مما يقـــف شاهدا على عظمة اللـــه ، ووحدانيته . فتبثـــه شكواها ، وتعلق عليه كل آمالـها . وأمام هذا كلـه .. تفيض مشاعر النفس المؤمنة ، وتبوح بمكنون سرهـــا ، والشاعر هو أرهف الناس حســـا ، وأقدرهم على التعبير عـــن خلجات نفسه وكوامن حسه .

× × ×

فمع طاهـــــر زمخشرى .... وهو يناجـــى ربه عز وجـــل ، فيجعل من ايمانه الذى ملأ نفسه كفارة لمعاصيه ، ويقصـــد ربه عز وجل لغفران هذه المعاصى ، ليقينه أنه هو الذى يعفو ويصفح . وتزدحم فى حنايـــاه لحظات الحسرة والندم فيرسل الدموع ، علها تطفىء لهيب تلك الحسرات علـى ما اقـــترفته نفسه من الذنـــوب ، التى أورثته الندامـــة ، وبددت صفو أيامه فيقول من قصيـــدة (ربـــاه) : (١)

رباه كفارتى عن كل معصيـــــــة ... انى أتيت وملء النفـــس ايمـــان

أتيت أطرق بابا .. كل مجـــــترم ... أتـــاه .. يرجع عنـــه وهو جـــذلان

قد استضاف كريما لايمـــن بمـــا ... يعطى .. وفى مثله للعبـــد رضوان

رباه هـــذى يدى تمتـد ضارعـــة ... ومن نداك لها صفح وغـــــفران

وفى الخفايا براكين معربـــــدة ... وفى لظاهـــا على الخدين طوفـــان

جرت به عين من ناداك معـــــترفا ... بالذنـــب وهو لما قد فـــات ندمـــان

أيامه البيض فـــرت من أناملـــه ... لما عصـــاك .. فعاثت فيه أحزان

× × ×

وتتلاشى الامال فى وجه القرشى ، الا أملا واحدا ، هو اللجوء الى الله عز وجـــل ويضيق صدره ، فتنطلـــق روحـــه الى العظيم الاعظم ، وتتوق الى ذلك المعـــين الذى لاينضب ، حيث يشفى كل وارد أوامـــه ويبل صـــداه . ثم يسلم الشاعر روحه

---

(١) انظر ديوان طاهر زمخشرى " أغاريد الصحراء " ص ١٠ . ط ١٣٧٨هـ

الى الله ، لعلمه أنه غافر الذنب وقابل التوب ٠ وهو يطمـــع فى رحمـــة الله الـتى لاتقف عند حد فيقول : (١)

رباه مالى أمل يرتجـــــــــى غير ليـــاذى بك يامـــوئلــــــى
أصبح صـــدرى ضيقـــا محرجـــا واستشرفت روحى الـــى منهــــل

xxx

فمنك يارباه يشفـــى الظمـــا للشارد الصادى الى كوثـــــــر
جئتك ربـــى حائـــراًمسلمـــا روحى الى بارئهـــا الاكـــــبر

xxx

فأقبل شكاتى انـــنى مثقـــل انى غريب عشـــت بين البشـــر
مستغفـــر جئتك لا أحمـــــل الا الى ذاتــك رو حـــى الاشـــر

xxx

ومأملى الرحمة من ســـــــدة ما أ خفق القاصـــد محرابهـــا
شعارها انقاذ ذى شـــــــدة سدت عليه النـــاس أبوابهـــا

× × × ×

وحين عصفت الاحداث بالامة الاسلامية ، وتبينت حقيقة الامـــل الخادع ، عادت الى الله ، وعاد معها الشاعر / محمد هاشم رشيد ٠ فى موكب حداوءه التكبـــير والتهليل ، فى موقف من أجـــل المواقف ٠٠ فى بيت الله الحرام ٠ ثم يبـــث الشاعر خالقه حزنه وكمده ، مما آلت اليه الامـــة الاسلامية من التفرق والضياع ، علـه تعالى يجمع

---

(١) انظر ديوان حسن القرشى (نداء الدماء) ص ٥٥ — ٥٦ — ط ٠ الثانية

شملها ، كما جمعتها ساحة الحرم فيقول : (١)

رباه .. هانحن جئنا بعد أن عصفت   بنا النوى .. وتزودنـا من الامـل
وكل جارحة فينا مكـبرة   مأخوذة بجلال الموقف الجـلل
وقد وقفنا بظل البيت فى ولـه   والبيت بيتك .. فاصفح عن ذوى الزلـل
رباه .. ياخالق الاكوان نحن هنـا   نسعى كما سعت الاسلاف من قـدم
لم نختلف صورة عنهم .. وان عبثت   بنا السنون .. فعشنا فى دجى الظـلم
ولم نعد أمة كالامس واحـدة   لكننا أمم تعزى الى أمـم
لم تجتمع قط حتى فى مبادئهـا   الا اذا جمعتها ساحـة الحـرم

×× ×× ××

وأخيرا ..

تلتبس الطريق على محمد عبد القادر فقيه ، وتحول السدود الكثيرة دون وصوله الى بر الامان . ويظلم الوجود فى عينيه ، فتلتمس روحه هدى الله ، فهو الذى سيفك أسرها ، ويمنحها السكينة والاطمئنان فيقول : (٢)

يارب خـذ بيدى فقـد   كثرت على دربـى السـدود
يارب والتبـس الطريـق   على .. واحتلك الـوجود
يارب والتمسـت هـداك   النفس ... تضنيها القيـود
فاجعل هواى وما أريـد   تولها فيما تريـد
وأنزل على نفسى السكينـة   انك الـبر الـودود

×× ×× ××

---

(١) انظر ديوان محمد هاشم رشيد (فى ظلال السماء) ص ١٣٥ —١٣٧) ط ١٣٩٧هـ

(٢) انظر ديوان محمد عبد القادر فقيه (أطياف من الماضى) ص ٥٥ ط. أولى

سادســـا : (وصف واقع الامـــة الاسلامية)

لم يكن الواقع الذى آلت اليه الامة الاسلامية فى العصر الحديـــث ، من التفكك والتفرق والانهزامية ، والجرى وراء المبادئ الزائفـــة ، لم يكن هذا الواقع وصمة فى جبين أبناء الامة وأجيالها الحديثة فحسب . ولكنه كان جرحا داميا ، نزف ومايـزال ينزف ــ فى قلب كل مسلم يدرك ماكان لهذه الامة من أمجـــاد ، حين كانت معتصمة بكتاب الله ، وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحينما كانت عقيدتها راسخة قوية . تلك العقيدة التى أخرجت الى العالم كلـــه ــ من شتات أولئك الاعراب الممعنين فى أعماق الصحراء ــ أعظم دولـــة فى ارض ــ امتد سلطانها على القارات ، واكتسحت هيبتها أعرق وأكبر الامبراطوريات فى ذلك الزمن .

وقد نقل الشعراء الاسلاميون بعامة ، والسعوديون ــ منهم ــ بخاصة ، صورة صادقة ، ووصفا حيا لواقع أمتنا الاسلامية .

فهذا حسين عرب ... يترحم على أمتـــه ، ويحز فى نفسه أن يرى الحوادث الجسام تنهش جسدها ، وهى ذليلة مستصغرة ، بعيدة ــ كل البعد ــ عن دينها الذى هو عصمة أمرها ، لاهية عن سر تفوقها ، وسلامتها وهو الكتاب والسنة فيقول : (١)

رب رحماك .. فالحوادث شـــتى	داهمتنا بالافك والعـــــدوان
جمع الدين شملنا فافترقنــــــا	وهدمنا ماشاده من كيـــــان
ودهمتنا الخطوب من كل صـــوب	ومشينا على الهوى والهـــوان

---

(١) انظر (مجلة المنهل) ص ٧٧ عدد محرم وصفر ١٣٩٦هـ

الكتاب المنير فينا ٠٠ وفينـــــــا   سنة المصطفى ٠٠ هما الفرقـــدان
قد نسينا همـــا ٠٠ وكم أخطـأ النــــــــاس سبيـــــل الرشـــاد بالنسيان

×× ×× ××

ويلوم محمد عبد القادر فقيه أمته على ذلك السبات العميق الذى تغط فيه ، غارقة فى اللهو والترف ، غير آبهة بما ــ يموج به العالم ــ من حولها ــ من شتى المبادىء والافكار ، التى تستهدف أوطانها ومبادئها فيقول :(١)

يا أمة أغرقت فى نومها حقبـــــــا   أما يجود عليك الدهر بالسهـر
من حولك الكون صخاب تمور بـــه   شتى الحوادث والافكار والصـور
وأنت ٠٠ أنت ٠٠ سمادير(٢) وأخيلـــة   لنائم فى ظلال الايك بالسحـر
على المشارف ٠٠ من أوطاننا ٠٠ حلل   ووثبة لحديد الناب والظفـــر
ونحن لما نزل فى اللهو ناعمـــــة   منا الجسوم ٠٠ على الديباج والوبر

×× ×× ××

ثم يتعجب عبد الله بن خميس من واقع أمته ، وقد سلب اليهود المسجـــد الاقصى منها ، وترددت صيحات اليتامى والمشردين على مسامع هذه الامة ، التى انجبت أعظم الرجال ، ودون لها التاريخ أنصـع الصفحـــــات ، لكنها ألقت مقاليـــد المجد والرفعة الى غيرها فيقول :(٣)

سائل الاقصى فكم من عاتـــــــق(٤)   لحنها ياويلتى ياحـــــــــــربى

---

(١) انظر ديوان محمد عبد القادر فقيه "أطياف من الماضى" ص(١٠٧–١٠٨) (ط٠ أولى ٠
(٢) سمادير : (السمادير : ضعف البصر ٠٠٠ وقيل : هو شيىء يتراءى للانسان من ضعف بصره عند السكر من الشراب " ٠ لسان العرب ٠ ص ٠ ٣٨ ٠ المجلد الرابع ط ٠ دار صادر بيروت ٠
(٣) انظر ديوان عبد الله بن خميس " على ربى اليمامة " ص ٢١
(٤) العاتق : المراد بالعاتق هنا (البكر التى لم تبن عن أهلها) لسان العرب ص ٢٣٥ ٠ المجلد العاشر ط ٠ دار صادر بيروت

ألهبت من وجهها مجهشـــــــة   عجبى من ذل قومى عجـــــبى
عجبى من أمة قد أنجبـــــــت   خيرة الدنيا وفخــــر الحقب
أسلمت من مجدها ما أسلمـــــت   وتمطت فى يباب مجــــدب

×× ×× ××

ثم يصف أحمد باعطب واقع أمته الاسلامية ، وكيف أودى بها التفرق والضياع الى سلب أوطانها ومقدساتها ، ويدعوها الى الانتفاضــة التى ستعيد لها حقوقهـــا وكرامتها فيقول : (١)

دعنى أخى رهن الكــــــرى   كيلا أرى سحــب الظـلام
كيلا أرى وأد العـــــدالـــة (م)   والتحـــرر .. والســـلام
كيلا أرى علم الحيـــــاد (م)   تدوسه الدول العظـــــام
كيلا أرى بلدى السليـــــب (م)   بكف أعدائـــى يضـــــام
كيلا أرى قدسيـــــئن (م)   وأمتى أســـــرى الخيـــام
دعنى فقد ألقى أخــــــى (م)   طيف السعادة فى المنـــــام

الى أن يقول :

كم أمة ذهبت ســـــدى   لركوعهـــــا ... لمسيطــــر
ياأمتى ان أذن الثــــــأر (م)   العميق .. فكـــــبرى

---

(١) ديوان أحمد سالم باعطب " الروض الملتهب " ص (٦٥ - ٦٧) ط ١٤٠٠هـ

هدى صروح الـــــــذل (م) فى شمم الابـــاة ودمـــــرى

قومى فقد سئمت مشاعرنــــــا (م) ضجيج المنـــــــبر

لاحق يدرك حين تنتهـــــــــك الحقـــوق بمحضـــــر

×× ×× ××

ويرى العشماوى أن أمته قد تجاوزت الحد فى سباتها وغفلتهـــا عن حقوقها ، ويذكرها بأمجادها السابقة التى صنعتها قوة الايمان بالله ، ويدعوها الى التيقظ لما حولها فيقول: (١)

يا أمتى قد زاد مقدار الزكاة عن النصـــــاب

أنا نبضـــة فى قلبك الولهان .. يوءلمنى اغترابـــى

وتهزنى صرخات أيتام .. شكوا جـــور الذئـــاب

يامعقل العز الحصين .. أراك حرت عن الجـــواب

أين الالى رفعوا ذراك ؟ فطاولت أفـــق السحـــاب

قد كان طائر أنسهـــا يشدو .. ويصدح .. فى الروابى

والحق منتشر الظلال على السهول .. على الشعاب

وقوافل الايمان تطوى ـ دونهاـ بسط الرحـــــاب

ماعدت أسمع أيها العز التليد .. سوى النعـــاب

غرقت بلادى فى الجراح .. وما انطفا حر المصـــاب

يا أمتى ما النصر فى شكوى .. ولا فى قرض نـــاب

ما النصر الا همسة عظمـــى .. وسير بالصـــــواب

---

(١) ديوان عبد الرحمن العشماوى " الى أمتى " ص (٢٧)

وبوثبة الايمان نمحو ٠٠ كل سطر من خـــــراب

صدئت مسامعنا لكثرة مانقول بـــلا احتســاب

فالشعر والخطب الفصيحة دون فعل ٠٠ كالضبـاب

فتيقظى يا أمـــتى قد زاد همـــى واكتئابـــى

×× ×× ××

ويأتى زاهر الالمعى علىوصف ماضىأمته الاسلامية المجيد ، وكيف صنعت المعجزات ، ويذكر ماآلت اليه من التحزب والعداء والغفلـــة ، ويدعوها الى النهوض ، ورفع عماد الحق فيقول : (١)

ان ماضينا لعهد ناصـــــع عمر الافـــاق عدلا ورشـــادا

وحمى الاسلام من أعدائـــــه وأقام الامر فى الدنيا جهـــادا

فالام ؟ والعـدا يغزوننـــا وبنو الاسلام أحزاب تعـــادى

فانهضوا من غفلة زجت بنـــا فى الدياجى واطرحـــوا هذا الرقادا

اننا من أمة وانت لهـــــا أمم العالم مثنى وفــــراد

ان للاسلام مجدا غابـــــرا اذن الله له أن يستعـــادا

فانهضوا يا أمة الديــــن معـا وارفعوا للحق فى الارض عمـــادا

××× ××× ×××

(١) ديوان الشاعر "الالمعيات " ص (٨٠) ط الثانية ١٤٠٠هـ

سابعـــا : (وصف المناسبات الاسلاميـــة)

فى كل عام جديد .. تعود المناسبات الاسلامية الخالدة ، التى تحمل الشعراء على التحدث عنها ووصفهـــا ، باعتبارها مناسبات ملتصقـة بحياة المسلم وعقيدته . كالحج والهجرة وشهـــر رمضان وبداية السنة الهجرية فى غره محرم من كل عام .

والحج صاحب الحظ الاوفر من القصائد المنظومة فى هذه المناسبـــات ، بل ان هناك شعراء تخصصوا فى وصف هذه المناسبة الاسلاميـــة الكبرى كالغزاوى .

يقول الغزاوى من قصيدة ألقاها بمنى فى حج عام ١٣٩٢هـ (١) :

الله أكبر ماينتدى الاســـــــلام	وبه الفجاج تعج والاكـــــــام
الله أكبر ما السماء تزينـــــــت	بنجومها وتهادت الاجــــرام
الله أكبر ما الروابى اعشوشبـــت	وتفتحت بزهورها الاكمـــــام
عيد به فلق الصباح بشــــائر	وبه الهناء يفيض والالهــــام
واليك فيه نرى الحجيج مواكبـــا	تترى ، ويوفضها اليك زحـــام
وهتافها التكبير لله الـــــــذى	تعنو الوجوه - لعزه - والهـــام
أفضت اليك بهم سرائر حبهـــم	والشكر والتقديـــر والاكــــرام
وكأنما هم فيك قلب واحـــــد	أيان ما انطلقوا وحيث أقـــاموا
فانظر اليهم واغتبط بولائهـــم	وهو الغداة تحية وســـــلام

(١) انظر مجلة " المنهـــل " ص (١٩) . عدد محرم وصفر ١٣٩٣هـ.

ولو استطاعت يممتك ـ قريـــرة ـ عبر الشعاب ـ مضارب وخيـــام

وقفوا كما ازدلفوا ولاذوا بالـــذى خشعت له الارواح والاجســـام

ورمــوا شياطين الغواية بالحــصى سبعا ، بها ترفض (١) فهى رجـــام

وتطوفوا بالبيت وهو مثابــــة وسعوا وتم بذلك الاحـــرام

xxx xxx xxx

ويقول من قصيدة أخرى فى حج عام (١٣٩٥هـ) : (٢)

بحمدك رب العالمين نســـج وبالشكر نشدو .. قانتين ونصـدح
ونهتف بالتكبير لله وحـــده ونسعى اليه فى خشوع ونفـــرح

غداة أفضنا بالمشاعر بكـــرة وفزنا بغفران به نحـــن نفلح

بعيد هو الاضحـى وفيه تزاحمـت مناكبنا فى البيت والركن يمسـح

هو الله والرحمن جل جلالـــه كريم " ويعفو عن كثير " ويصفح

يباهى بمن لبوا الملائكة الالـــى بهم كل خير فى البرايا يجنح

ويشهدهم رضوانه عن عبـــاده لدى موقف فيه الجوامح تكبـح

xxx xxx xxx

وممن وصفوا الحج زاهر الالمعى اذ يقول : (٣)

الله أكبر فى المسالك والـــذرى الله أكبر من ربى أم القـــرى

---

(١) ترفض : أى تتفرق . أنظر (أساس البلاغة) للزمخشرى . مادة (رفض) ص (٣٥٤ ، ٣٥٥)
(٢) انظر مجلة " المنهل " ص (٩٢٥) عدد ذى القعدة وذى الحجة عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
(٣) ديوان الشاعر " الالمعيات " ص (٨٦ ، ٨٧) ط ثانية ١٤٠٠هـ

الله أكبر ما تلا لأمشـــــــــرق ‏ ‏ أو لاح برق فى الدجـــى أو أنورا

الله أكبر انها التقوى الــــــتى ‏ ‏ تبدو ملامحهـــا كفجر أسفـــرا

نادى من البلد الامين مــــؤذن ‏ ‏ لاداء فرض الله ممن أيســـرا

فتسابقت تلك الوفود وأقبلــــت ‏ ‏ من كل فج كالنسيم اذا ســرى

والبيت منهل وردها وشعارهـــا ‏ ‏ ـ فى حجهـا ـ التوحيد أنبل مايرى

وقفوا على عرفات وارتعشت بهـــا ‏ ‏ تلك النفوس ضراعة وتذكـــرا

كم عبرة فاضت وكم من خاشـــع ‏ ‏ وجل الفؤاد تولها وتأثـــرا

ومن الملائك من تنزل فى رباهـــا ‏ (م) ‏ ذاكرا .. ومهللا ومكـــبرا

فالغيض والنفحات فى آفاقهـــا ‏ ‏ واليمن فى جنباتها قـد أزهـرا

فأمدها المولــى بسابغ فضلــه ‏ ‏ نعما واكراما يفوق تصـــورا

xxx ‏ ‏ xxx ‏ ‏ xxx

كما تناول بعض الشعراء السعوديين وصف الهجرة النبوية كالقرشي ، فهو يقول من قصيدة طويلة : (١)

حسب المدينة تزهو فى مباهجهـا   سرى بها الوحى تنأى عنه ظلمـاء
وحفها الخير لامن ولا رهـب   واستقبلتهـا من الايمان أشـذاء
ورفرفت فى ذراها الشم رايتـه   خفاقة ملوءها عدل وانشـاء
فازت بهجرة خيرالحق وازدهـرت   بها الصحارى فعادت وهى خضـراء
ياهجرة لرسول الله خـالدة   لها اطار على التاريخ وضـاء
أريجها عم كل الارض واندثـرت   بها المظالم واستعـلى الاوداء
أصغى اليها ترانيما مقدسـة   والقلب تغعمه ذكرى وأنـداء

xxx xxx xxx

وضياء الدين رجب يصف هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكيف تتبعته قريش للقضاء عليه ، ولكنه صلى الله عليه وسلم محاط بالعناية الالهية فيقول : (٣)

ساريا هاديا بساهـرة النجـم (م) ويمشى فى ظله غير وانـى
يتحـراه مستمدا هـداه   ملاه فى السنا الاقحوانـى
ضاربا فى الرمال ساخـت بهـا (م) أقدام شان مقامـر أفعـوان
بعثته قريش عينـا على الهالى (م) فزلت بسعيه القدمـان

---

(١) ديوان الشاعر " الامس الضائع "

(٣) انظر بحوث المؤتمر الاول للادباء السعوديين " ص (٢٥٨ - ٢٥٩) .

والرسول العظيم يمضى لمرماه .. رضى الفـؤاد وثبت الجنـان
ما قلى مكة وما فـر منهـا هاربا هائما على الوديـان
كيف يخشى الاهوال من سدد اللـه خطاه فهابـه الثقـلان
انهـا هجرة اللجوء الى اللـه لدعم الكيان فوق الكيـان

xxx xxx xxx

وهذا محمد الشبل يتحدث عن العام الهجرى الجديد ، وماذا عساه يحمل الى عالمنا الاسلامى ، الذى أصابه ماأصابه من العداوات والحروب ، وساده - ماساده من مبادئ تحاول زحزحة الدين ، وطمس القيم والاخلاق الإسلامية فيقول :(١)

أما أيقظت ياليل النيامـا وقد شق الهلال بك الظلامـا
وأشرق ملء هذا الكون بـدر يزف الى رصيد الدهر عامـا
ويفتح للورى بابا جـديدا نسائله أحربا أم سلامـا ؟
فما أشقى الحياة بلا سـلام يشيع بها المحبـة والوئامـا
وما أقسى الزمان اذا تبنـت مذاهبه العداوة والخصامـا
وعاش الدين والاخلاق عبئـا على أيد تضيق به التزامـا
وتسخر من مبادئه وترضـى له الخذلان بغيا واتهامـا

(الى أن يقول :)

خطى التاريخ أى سـنى خـفى لعام جاء يبتسم ابتسامـا

---

(١) ديوان محمد البل " نداء السحر " ص (٦٥ - ٦٧) ط ١٣٩٩هـ

لعام جاء يقتنص الليالـــــــــى ... ويسبقها الى عهـــد تسامـــى

سنلهب فيه بالذكرى شعـــورا ... ونرفع فيه بالاسلام هامـــا

ونمشى تحت ظل الدين فيـــه ... الى نصر نعيش به كرامـــا

xxx xx xxx

ومن المناسبات الاسلامية التى عنى الشعراء السعوديون المحدثون بوصفهـا الصيام فى شهر رمضان المبارك .

فهذا محمد هاشم رشيد يتحدث عن شهر رمضان ، وما فيه من الرحمة والصفح ، وعن ليلة القدر التى نزل فيها الوحى فيقول : (١)

موكب الخير والهدى والســـلام ... أقبل اليوم هاتفـا بالصيـام

حاملا فى يديه أحلى الهدايـــا ... لقلوب متيمات ظـــوام

رحمة تغمر العباد وصفحـــا ... عن جميع الذنوب والآثـــام

ورضى من رفارف الخلد يهمـــى ... بلسمـا للجـروح .. والآلام

وتباشير ليلة تتلاشـــــى ... فى سناها مباهج الاعـــوام

ذات قدر ، وأى قدر ..وفيهـــا ... نزل الوحى بالهدى والســـلام

فهنيئا لنا بأكرم شهـــــر ... وهنيئـا بأسعد الايـــام

فيه موعد اللقاء المرجـــى ... فى ظلال الافضال والاكـــرام

xxx xxx xxx

---

(١) ديوان الشاعر " فى ظلال السماء " ص (٣٥ - ٣٧) . ط ١٣٩٧ هـ .

ويستقبل السنوسى صيام رمضان بطلب ملح ، فى أن ينقذ الصيام النفوس من حطام الدنيا ، الذى تهالكت عليه ، وأن يجلو نوره قتام الحياة المكفهر ، فيقول : (١)

رمضان ياشهـــر الضيـــــاء (م) الحـــر من أسر الظـــــلام
أطلق بأضواء الهـــــــدى أسر النفوس من الحطـــــام
وأنر بقدســى الصفـــــاء (م) رؤى الحياة من القتـــام
وانضح عواطفنـــا تقـــــى واغمر نوازعنـــا وئـــام
رمضان يا أمل النفـــــوس (م) الظامئات الى الســـلام
ياشهر بل يانهـــر ينهـــل (م) من عذوبته الانـــــام
طافت بك الارواح سابحـــة (م) كأسراب الحمـــــام
بيضا يجللها التقــــــى نورا ويصقلهـــا الصيـــام
رفافـــة كشذى الزهـــور (م) نقية كندى الغمـــام
شفافة الاحساس فاتنـــة (م) مهذبـــة الكـــــلام
عزت على الاهواء وارتفعـــت (م) على دنيا الرغـــام

xxx xxx xxx

كما تحدث الشعراء عن العيد ، وما يوحى به من معانــى سامية ، وما يدخله من سعادة على النفوس ، لمجيئه بعد ركنين من أركان الاسلام هما الصيام والحج ، وما يحمله

---

(١) ديوان محمد السنوسى () الاغاريد () ص (١٣ — ١٤) ، ط دار الاصفهانى — جدة

من نفحات الذكريات السارة أو المؤلمـــة . فزاهر الالمعى يمر عليه عيد ، وهو بعيد عن مسقط رأسه ، فيحمـــل العيد أشواقه الى بلدته وأهله فيقول : (١)

ياعيد بلغ أسرتى وبـــلادى ... أزكى تحياتى وشوق فـــؤادى
وأنقل لهم ياعيـــد وصف مشاعرى ... وأبن لهم عن لوعتى وودادى
أنا فى " الرياض " وحال دون أحبتى ... بيد من الواحات والاطـــواد
والقلب ملتاع بحارق لوعـــة ... والعيد عيد الانس والاسعـــاد
والانس فى عرف الهوى أن يجتبى ... خل كغصن فارع .. ميـــاد
أو يجتلى وجه الحبيب بنظـــرة ... تسرى الى الاحشـــاء والاكباد
لكن أنسى أن أكون ببلـــدة ... لحقت بها الاعياد بالاعيـــاد
بلد بها للمكرمات منـــارة ... وهاجة بمفاخـــر الامجـــاد

xxx xxx xxx

ويقول ـ أيضا ـ مبتهجا بالعيد ، وما حققه الصيام للنفوس المؤمنة : (٢)

بعيد الفطـــر ودعنا الصيامـــا ... وجددنا التراحم والوئـــامـــا
وفى شهر الصيام صفت نفـــوس ... وواصلت المبرة والقيـــاما
وكم من مؤمن حر كـــريم ... الى الطاعات شمّـــر واستقامـــا
فأدركه من الرحمـــن عفـــو ... ونال بفضل مولاه المرامـــا

---

١ ـ ديوان الشاعر " الالمعيات " ص (٨٣ ـ ٨٤) ط الثانية ١٤٠٠هـ
٢ ـ ديوان زاهر الالمعى " على درب الجهـــاد " ص (٥٧ ـ ٥٨)

وأضحى يوم عيد الفطر حـــــــرا | تبادله الملائكـــــــة السلامـــــا
ومن يعتق من النيران صـــــــــارت | له الفردوس فى الاخرى مقامـــا
ألافلتسعدوا بالعيـــــــــد طـرا | ففضل الله قد غمـــر الانامـــا

xxx xxx xxx

ويتساءل العشماوى – فى مرارة وألم – عن سرعة توالى الاعياد ، وعن أى شىء تحمله اليه ، ويتذكر – بمرورها – جراح أمته الاسلاميـــــة التى لم تلتئم بعد ، ويعـــــود – مع العيد – خطوات الى أيام الطفولة ، والفرحة بالعيد ، حين كان أصغر من أن يدرك مآسى وآلام أمته فيقول : (١)

عيد .. ماهذه الخطى العجـــــلات؟ | كيف تطوى أمامك السنـــوات ؟
عيد .. هل جئت بالجديد المهنـــا ؟ | أم أعيدت بعودك الحســـــرات؟
عدت ياعيد والجراح جــــــــــراح | لم تحقق لامتى الامنيـــــــات
عيد .. يامسعدى وقد كنـــت طفـلا | فيك ألهو .. وتنتشى البسمـــات
كنت ياعيد .. حين تأتى أغـــــنى | حيث تحلو فى فجرك الاغنيـــات
كيف أصبحت – حين جاوز عمـــرى | مسرحا تنتشى بك الذكـــــريات
ذكريات على شواطىء قلبــــــــى | قد رست سفنهــــا .. وفيها عظـــات
أنا فيها رأيت مكـــة حـــــيرى | وعليها من الاسى ظلمـــــــــات
يارفاقى وفى ضمير القوافـــــــى | حسرات ، وخاطـــرى حســـرات
فاعذرونى اذا أفاقـت شجـــونـى | يوم عيدى .. وسالت العــــبرات

---

(١) ديوان الشاعر " الى أمتى " ص (٧٦ – ٨٢) ط ١٩٧٨م .

هو عيد .. لكن حملت فـــــوادا فيه من غيرة الابى سمـــــات
كيف يشدو وان أتى العيد يزهـــو بالامانى ، وبالرضى يقتـــات
كيف يشدو ولليتامى الحيـــارى – تحت ظلم من العدا – أنات
كيف يشدو ومسجد القدس يشكـــو وبلادى أعيادها ويـــلات
ليس يأسا من رحمة الله لكـــن لوعة تستدرها الهفـــوات

××× ××× ×××

ويتحدث ابراهيم الدامغ عن العيد ، وما يلتصق به عادة ، كالنظافة ، وشيوع السعادة ، وما يتردد فيـــه من النشيد ، ثم يذكـــر أبناء أمتـــه بتجاوز معنى العيـد لتلك المظاهر الخارجية ، وان فى العيد عبرا ينبغى أن تستقـى من تكـرره ، ثم يدعـــو الى التمسك بالفضيلة والهدى ، ففيهمـــا استمرار السعادة فيقول : (١)

عد بالسلامة والهـــدى ياعيـــــد فالعود منك – لعزمنا – تجديـــد
للنور فيك مواكب معقـــــــــودة وبفيض عرفك – للنفوس – سعود
جلت صفاتك فالنهى بك مطلـــــب وعلى الطهارة – من جلالك – جيد
أن قيل فى يوم النظافـــة انـــه عيد الشباب .. فبسمة ونشيـد
الله أكبر هذه راياتهـــــــــم عصفت ركام الليل وهو شـديد
للنور فيهم بسمة مرموقـــــــة يزهو بها وجه العلا ويشيـــد
يوم له فى كل قلب فرحـــــــة ان كان بين الفرحتين جـــديد

---

(١) ديوان الشاعر "شرارة الثأر" ص (٥١ ، ٥٢) نشر دار العلوم بالرياض

مالعيد فى هذا اللقاء وفى الغـــد — الا ليوم غاب ثم يعـــود
لو كان ما بين المواسم مورقـــا — بالطيبات .. لطاب فينا العيد
لكنما يغضى المساء بحكمـــة — لن يستعيد شبابه التمجيـــد
يا أمة النور المجنح لاتـــنى — فالعار يحمل عبئـــه التقليـــد
ليس المراد بيومكم هو بهـــرج — ان المراد بقاوءه المحمـــود
ان التخلق بالفضيلة مطلـــب — وعلى المساحة يستهيم الجـــود
فترسموا تلك المواسم بالهـــدى — ابدا ليبقى العيد وهو سعيـــد

xxx xxx xxx

أما محمد عبد القادر فقيه ، فيرى أن العيد ليس مجـــرد ذكرى لمرور الاشهـــر ، وليس مجـــرد اطلاق مدفع صلاة العيـــد ، ولكنه حشـــد من المعانـى والاخـــلاق الاسلامية الرائعة ، كالصدقـــة ، ومساعدة الضعيـــف ، والبعـــد عـن مختلـــف الاطماع . فيقول : (١)

العيد من معنى الســـنى ينبـــع — لا أشهـــر تمضى ولا مدفـــع
والعيد فى طفل تشع المـــنى — فى بسمـة من ثغره ــ تلمـــع
والعيد أن تعطى ولا تـــرتجـــى — سماحة تغـنى الذى تجمـــع
والعيد أن تحنـــو على عـــاجـــز — ناءت بهأطرافه الاربـــع

---

(١) ديوان الشاعر ((أطياف من الماضى)) ص (١٠٥) طب الاولى ١٣٩٥هـ.

والعيد فى كوخ يشع السنى | الحب من أرجائه يسطع
لافى القصور الشم قد أثقلت | جدرانها الاحزان والمطمع

xxx xxx xxx

وللشاعر محمد حسن فقى فى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم مطولة رائعة ، عبارة عن مثنيات . يقول فيها : (١)

كلما هل ربيع ذكرت | أمة الاسلام فخر الاشهر
ذكرت من مجدها ما خرجت | بهداه .. من ظلام الحفر

xx xx xx

فرأت أبصارها بعد العمى | قدس الله ونعماء الثرى
بعدما كانت تظن الصنما | يجزل النفع لها والضررا

xx xx xx

وتعالى الله قد شاء لها | بالذى قدره ـ الخير العميم
فاستوى الايمان فيها وانتهى | عهد داعى اللات والعزى الاثيم

xx xx xx

فاعترى العالم فى أمصاره | ما اعتراه من ذهول وعجاب
قال : ماهذا ؟؟ ومن أخباره | جاءه الرد .. ومن أهل الكتاب

xx xx xx

---

(١) انظر (هدية المجلة العربية) عدد (٣) لسنة (١٤٠٢) ملحق يحتوى على قصيدتين للشاعر محمد حسن فقى "مكة المكرمة " و " مولد المصطفى "

قيل هـــذا النور هذا الرشـــــد ... بعد أزمان ظلام وضـــــلال

فعلى من كابروا أو جحـــــدوا ... أن يفيئوا .. أن يروا أنور الهلال

×× ×× ××

وتولى الله أمـــر الدين هـــذا ... فنما واشتـــد وأمتن وأســـدى

ورآه الناس أمنـــا وليـــاذا ... ورأوا بعد التواء الامـــر قصـــدا

((الى أن يقول :))

أيها الذكرى التى نزهو بهـــا ... بمعانيها على كل الوجـــود (١)

كم شربنا غدقا من عذبهـــا ... ووردنا بعد أن عز الـــورود

×× ×× ××

أيـــه يامولده ما أكـــرما ... ذلك اليـــوم .. وما أحلى جداه

ماعبدنا ـ من هداه ـ الصنمـــا ... بل عبدنـــا الله فى أعلـــى علاه

×× ×× ××

أفـــلا تحفـــل ذكـــرى المولد ... مولد المختـــار من هذا الانـــام ؟؟

بالندى .. يشفى الصدى .. بالسؤدد ... بالسنا بدد أسداف الظـــلام

---

(١) الاصل أن تستخدم " أيتها " مع المؤنث ، لا كما جاء فى البيت " أيها الذكرى "

xxx xxx xxx xxx

وهكـــــذا ... يسير الفقى فى مطولته ، يروى قصـــة مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ،وكيف بدل ــ به الله الظلمات نورا ــ والجور عدلا .... الخ

ممممممممممممممممممممممممممممممم

===============

ننننننننننننننننننننن

ككككككككككككككك

مممم

الفصل الثالث

مبانى الشعر الإسلامى

وبعد أن درسنا هذا الاتجـــاه الاسلامى فى الشعر السعودى الحديث فى الفصـــول السابقة ، وعرضنا للعوامل الفعالة فى هذا الاتجاه ، وما يتسع له مفهوم الشعر الاسلامى وموضوعاته التى عنى بعلاجهـــا كثير من شعراء هـــذه البلاد • ننتقل الى تناول هذا الشعر من الناحية الفنيـــة ، محاولين دراسته دراسة نقديـــة نشير فيها الى أهم خصائص هـــذا الاتجاه من الناحية الفنية ، فنتناول بناءه وقوالبه وأشكاله • وقـــد خصصنـــا هذا الفصل للحديـــث عن قوالب الشعـــر الاسلامى وأشكالـــه ، لنشـــرح مدى حفـــاظ هـــؤلاء الشعـــراء علـــى المأثـــور من هـــذه القوالب والاشكال ، ومدى محاولة بعضهم الخروج على السنن المألوف ، مجاراة لدعوات التجـــديد التى نشأت فى هذا القرن ، وانتشـــرت فى أكثر البلاد العربيـــة ، ومشيرين الى ذلك الصـــراع بين المحافظـــين ودعاة التجـــديد •

xxx xxx xxx

ولابد من الحديث فى مطلع هذا الفصـــل عن الالفـــاظ ، لانها اللبنة الاساسية فـــى كل تعبـــير ، سواء أكان هذا التعبير أدبيا أم كان غـــير أدبى • وليس من المستطاع أن يدعى أحـــد – مهما يكن حرصه على التجـــديد ، وعلى أن يعـــرف به بين الناس – أنه أتى بجـــديد فى الالفـــاظ التى يستخدمها فى تعـــبيره الشعرى ، فان هذه الالفاظ تراث مشترك بين أصحاب اللغـــة ، منذ الوضع الاول ، ومنذ اطلاق

الالفاظ على مدلولاتهـــــا .

فليس هناك تغيير فى بنيـة الكلمات ، ولا فى الاصـــوات أو الحــروف ، التى تتألف منهـــا ، انها ألفـــاظ اللغـة التى عـــبر بها أصحابهـــا منذ أقـــدم الازمنـــــة ، وجل مايستطيع الادبـاء أن يبرزوا به مقدرتهم الفنيـــة ، أن ينتقـــوا أو يتخيروا مايروقهم من هذا التراث اللغـــوى الذى يستطيعون به أن يحققوا أغراضهـــــــم ، وأن يوقفوا النـــاس علـــى مـدى معرفتهـــم باللغـــة .

ومن رأينا :

أن الاديب أو الشاعر ينبغى أن يكون على حظ كبير من الثقافة اللغويـــة ، حتى تساعده هذه الثقافة على عملية التّخير والانتقاء التى أشرنا اليها .

وقد يكون للاديب قدرة على التّجديد فى الدلالة أو فى المعانـــى التى يستخــــدم فيها الالفاظ ، وذلك عن طريق التجوز أو التوســـع فى هذه الدلالة ، اذا أقره المجتمع اللغوى على هذا التجوز أو التوســـع الذى يجب - قبل كل شئ - أن يقوم على صـلات وروابط ، بين الدلالات الوضعية والدلالات المجازيـــــة أو التوسعية ، مما يسميه البلاغيون " العلاقـــــــــــة " .

ولا نستطيع فى هـــذا المجال - الا أن نوافق علماء اللغة والباحثين فيهـــا على القول : بأن اللغـــة كائن حى ، يتأثر بجميع مايتأثر بـــه الكائن الحـــى ، ولكن

هذا التأثـــر ـ من وجهة نظرنا ـ لايعدو مـــا أسلفنـــاه من التخير والانتقـــاء اذ أن مما لاشك فيه أن الالفـــاظ تتفاوت تفاوتـــا ـ يقل وقد يكثر ـ اذ كان فيها ماهو مصطبغ بصبغة البداوة ، فيه الخشونـة المطبوعة بطابع حياة الـــبداوة وفيهـــا السمح الرقيق الذى تأثـــر بالحضارة .

ومن هنا يمكن القول بأن ألفاظ الشعراء المحدثين ، لاتعدو ألفاظ الذين سبقوهم من أصحاب اللغة . فيها مايخشن ويغلظ ، وفيها مـــا يرق ويسلس على حسب اختلافهم فى الحياة والبيئـة ، واختلاف طباعهم أو حظهم من البداوة أو الحضارة .

xxx xxx xxx

أما التراكيب ، ونعنى بها نسق الكـلام ونظم الالفـــاظ داخل العبارة ، فان من الضرورى على كل معـــبر بهذه اللغـــة ـ أن يقتـــفى أثـــر أصحابها فى طريقة نظمهم للكلام ووضع كل لفظ فى الموضع الجدير بـــه على حســـب ما يقتضيه موقعـــه مـــن الجملة ، ومعناه المقصـــود ، وضبطه الضبط الذى يدل على هذا المعنى . وذلك لان التعبير هو وسيلة نقل المعانـــى والافكـــار والتجارب التى يريـد المتكلم أو الاديب نقلها الى المتلقى ففى عملية الكلام ثلاثة أركان هـــى : المتكلم ـ والمتلقى ـ ووسيلة بينهما لنقل مايراد نقله من المعانى والافكار .

لذلك ينبغى — دائمـــا — أن يكون عند المتلــقى من المعرفــة باللغــة ودلالاتها ما عند المرسل وهو المتكلم ، فاذا لم يتوفر هــذا القدر من المشاركة فى المعرفـــــة باللغــة فانه يصبح من العســـــير استيعــاب جملة العواطـف أو المعانــى أو الافكــار التى يريــد الاديــب توصيلهــا الى المتلقــى . وذلك شئ نقولــه فى لغــة التعبــير عند الادبــاء وغير الادبــاء وعند الشعراء السعوديين وغير السعوديين من شعـــراء العربية أو غيرهم من أدباء كل لغـــة من اللغات الانسانية .

وبذلك كله .. يصبح الكلام عن التجديد فى ألفاظ اللغة وفى نسق العبـــــــارة أشبه بالدعوى التى ينقصــها الدليل ويعوزهــا البرهان .

وليس معنى ذلك أن الادباء أو الشعــراء على حظ واحد من الاقتـــدار على التأليــف المحقق للغايــة ، بل انهم يتفاوتون فى ذلك تفاوتا كبيرا على حسب تمكنهم مـــــن اللغة أولا ، وعلى حسب العوامل الاخرى التى تؤثر فى أمزجتهم اللغوية الخاصة.

ومن هنا يمكن أن نقول : ان الشعراء السعوديين يختلفون قوة وضعفا فى تخير الالفاظ ، وفى احكام تركيبها داخل الجملـــة ، وفى الاسلوب العام .

xxx xxx xxx

والصفة الغالبة على لغة هذا الشعر الاسلامى الحديث هى أن أكثرها يميل الى روح العصر ، فى انتقاء الالفاظ الرقيقة السهلة التى لايصعب منالها على عامة الادباء ، ولا يصعب فهمها على عامة المتأدبين ، بل على عامة أهل اللغة . وليس من المعقول أن نتوقع أن تتضح فى هذا الشعر معالم الغرابة والبداوة ، بعد أن طبعت سائر نواحى الحياة فى هذا العصر بالرقة ، وانتقل أكثر الشعب السعودى من حياة الشظف والخشونة التى كان يعانيها فى بداوته السابقة الى حياة رخية ناعمة .

ونلمح هذا الطابع - ونعنى به طابع الرقة - فى أكثر نتاج شعراء هذا العصر نستطيع أن نقرأ قول الغزاوى فى الحج :(١)

الله أكبر ماانتدى الاسلام ... وبه الفجاج تعج والاكام
الله أكبر ما السماء تزينت ... بنجومها وتهادت الاجرام
الله أكبر ماالروابى اعشوشبت ... وتفتحت بزهورها الاكمام
عيد به فلق الصباح بشائر ... وبه الهناء يفيض والالهام
واليك فيه نرى الحجيج مواكبا ... تترى ويو فضها اليك زحام
وهتافها التكبير لله الذى ... تعنو الوجوه لعزه والهام
أفضت اليك بهم سرائر حبهم ... والشكر والتقدير والانعام

---

(١) مجلة المنهل ص (١٩) العدد (١ ، ٢) محرم وصفر ١٣٩٣هـ .

وكأنما هم فيك قلـــب واحـــــــــد ايان ما انطلقوا وحيث أقامــوا
فانظــــر اليهم واغتبط بولائهـــــم وهو الغداة تحية وســـــــلام
ولو استطاعت يممتك قريـــــــريرة عبر الشعاب مضارب وخيـــام
وقفوا كما ازدلفـوا ولاذوا بالـــــذى خشعت له الارواح والاجســـام

xxx xxx xxx

وقول فؤاد شاكر فى مزايا شهر رمضان المبارك : (١)

جاء شهر الصيام بالبينــــــــات فاستمع فيه مصغيا للعظـــات
طهر النفس فالهدى قــد دعـــاها وهو للراشدين خــير الدعـــاة
قد حبا الله أمة الدين شهــــرا بجزيل الثواب والحسنـــــات
جمع الصوم كل معنى تقـــــى جرد النفس من هــوى الشهوات
أى شهر هذا الذى أنزل اللـــــه (م) لنا البــر فيه بالطاعـــات
جمع المسلمين فيه مســـاواة (م) من الله فى شئون الحيـــاة
فاذا الكل صائما فى خضـــوع واذا الكل طاويـا فى أنـــاة
حكمة الله قد تعالت وجلـــت فتراءت للناس بالبينـــــات

xxx xxx xxx

---

(١) ديوان فؤاد شاكر " وحى الفؤاد " ص (١٤٠) ط الثالثة

وقول محمـــد الشبل فى شهر رمضان ، وتطلع المسلمين اليه ، لكونـــه مظنة التوبة والمغفـــرة :(١)

رباه .. فى ظل المشاعر .. حول مسجـــدك العتيـــق
وطن تدفـــق من ذراه النـــور .. خلاب الـــبريـق
ونما على بطحـــائه الايمـان .. مخضـــرا وريـــق
جاءت خطى رمضان تهتـــف بالورى .. لو يستقيـــق
وتذكر الانســـان وهو يغط فـــى يوم عمـــيق
كم ذا الى الشهـــر الكريم تطلعـــت كل القلـــوب
واستمطرت من ربها الغفران بالـــدمع السكـــوب
واتت بكل مشاعر التقوى لعـــلام الـــغـــيوب
فاذا بها فى نشـــوة الامـــال تطمـــع أن يتـــوب
واذا بها فى صحـــوة الاثـــام تفزعهـــا الذنـــوب

xxx xxx xxx

قد جئت ياشهـــر الصيام .. فذكر النفـــس العليلـــة
بالمؤمنين الاولـــين تسابقـــوا نحو الفضيلـــة

---

(١) ديوان محمد الشبل " نداء السحر " ص (٦٠ – ٦٢) ط ١٣٩٩هـ

وهفت جوارحهم الى الرحمن خاشعـــة ذليـــــلة
يارب وافتح بـاب عفـــوك فى مواسمـــه الجميلـــة
وابعث لمن ضـــل السبيل هدى يضـــىء له سبيلـــه

xxxxxxxxxx

ونقرأ _ كذلك _ قول طاهر زمخشـــرى فى الضراعة الى الله عز وجـــل : (١)

بما كنت أخفى أصبح الطـــرف يجهر — وفوق خدودى دمعة تتحـــدر
ذنوب طوت آماد عمرى وســـودت — صحائف أيامى .. ففاض التحسر
فجاشت براكين اليك أزفهـــا — زوافر تدعـــو .. وهى قلب مفطر
يناديك ياربا‌ه .. أكرم واهـــب — اليه يلوز المذنب المتحـــير
دعوتك أرجو منك محـــو اساءتـــى — فأنت الذى تعطى وتعفو وتغفـــر
وانت الذى تمحو الذنـــوب جميعها — وعفوك أدنى ماينال المقصـــر
دعوتك ياربا‌ه فاقبل ضراعـــتى — وزدنى يقينا .. انك الله أكبر

xxxxx

وقول محمد سراج خراز فى الكعبة المشرفة ومكانتها المقدسة فى نفوس المسلمين (٢) :

---

(١) ديوان طاهر زمخشر " أغاريد الصحراء " ص (٩)
(٢) ديوان محمد سراج خراز (غناء وشجن) ص(٢٥–٢٦ ط الاولى ١٣٩٧هـ

رمز الخلود وكعبة الاســـــلام ..   كم فى الورى لك من جلال سام

يهوى البناء اذا تقادم عهـــــده   وأراك خالدة على الايـــــام

فى كل عام حول بابك وقفـــــة   للناس من عرب ومن أعجـــام

فاذا الحجيج توافدت أفواجهـــم   وتزاحمت فى البيت أى زحام

أبصرت ثم عــرى الاخاء وطيـــدة   وشهدت — حقا — قوة الاسلام

واذا الصلاة دنت رأيت صفوفهـم   بحرا يموج بركـــع وقيـــام

متهللين يحوطهم من ربهــــم   نور الهدى الماحى لكل ظـــلام

فى الركن والحجر المقدس فى الورى   سران قد دقا على الافهـــام

كم لامس ومقبل لكليهمـــــا   عن طاعة منه وعن اعظـــام

وهو الذى تعنو لصرح جـــــلاله   صيد الملوك ، وعلية الحكـــام

xxxxx

نقرأ ماسبق ،ونمعن النظر فى ديباجة هذا الشعر ، فنرى ألفاظا رقيقة سمحة ، ليس فيها أثر للتكلف ، ولا لتخير الالفاظ الشديدة الوقع أو الغريبة أو الحوشية . فان هذا قد برئ من كل تعمل فى محاكاة ألفاظ البداة السابقين .

بل ان فى هذا الشعر مايبالغ أصاحبـــة فى وصل لغته بلغة العصر .

xxxxx   xxxxx

ومن الاصول المعروفة ، التى يقيس بها الناقد لغة الشعر ملاءمتها للاغراض والفنون ، ومناسبتها للمعانى ، فان المعنى الفخم يحتاج الى فخامة الالفاظ وقوتها ، والمعانى الرقيقة يجب أن تودى بما يناسبها من الالفاظ العذبة السلسة الرقيقة.

ويصدق هذا على شعر عدد من الشعراء المعاصرين ، الذين جاءت ألفاظهم طيعة رقيقة فى غير تبذل ولا اسفاف ، واستدعت هذه المعانى الرقيقة مايلائمها من رقة الالفاظ وعذوبتها .

نقرأ - مثلا - قول محمد هاشم رشيد يصف لحظة من لحظات السمو الرحى ، والتأمل فى ابداع الخالق عز وجل فى الكون : (١)

أحس من حولى وفى أضلعى … على امتداد الافق الاوسع

بالنور يسرى خاشعا فى الدجى … مبتهلا للخالق المبدع

وبالشذا يهفو كتسبيحة … نشوى لغير الله لم ترفع

أحس بالكون يصلى على … شطان بحر بالسنا مترع

واننى فى قلبه نبضة … تصدح بالنجوى وبالادمع

سبحان من صلت له أضلعى … وكل مافى الكون صلى معى

xxxxx xxxxx

---

(١) ديوان محمد هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص (١٢٨ ، ١٢٩) ط ١٣٩٧هـ

فالشاعر يصور لحظة من لحظات تأمل النفس المؤمنة فى بعض آيات الله التى أبدعها فى هذا الكون ، وهى لحظة شفافية الروح وتعلقها بخالقها ، فالمعانى رقيقة استدعت ألفاظها تهمى رقة وعذوبة ، النور ، يسرى، خاشعا ، مبتهلا ، الشذا ، يهفو ، كتسبيحة ، نشوى ، السنا ، نبضة ، النجوى ، الادمع . فهى ألفاظ عذبة رقيقة تناسب المعنى الرقيق الذى أراد الشاعر التعبير عنه .

xxxxx xxxxx xxxxx

ونقرأ - أيضا - قول محمد السنوسى حين يصف آذان الفجر ، لحظة اختلاط سنا الفجر بغبشة الليل ، حين يلتقى المسلمون فى صلاتهم ، وحين يهبط ملائكة النهار ويصعد ملائكة الليل ، حيث تبدأ رحلة المؤمنين فى يوم جديد ، ملئ بالحياة والحركة يقول : (١)

ارتفاع الاذان فوق المآذن	فى انبلاج الصباح والليل ساكن
دعوة تحمل الحياة الى الكون (م)	وسكانه قرى .... ومدائن
ولقاء بين الملائك والايمان (م)	والمؤمنين من غير آذن
وانطلاق الى الفلاح .. الى الخير (م)	الى الحق والهدى والمحاسن

---

(١) ديوان محمد السنوسى " الينابيع " ص (٢٣ - ٢٤) ط شركة المدينة للطباعة والنشر

كلما ردد المؤذن لفظـــــــــا .. شعشع النور وانجلى كل غايـن
نغمات .. كأنها نسمـــــــــات رقرقتها خمائل وجنائـــــــــن
تتندى بها النفوس وترتـــــــاح ارتياح الربى بقطر الهواتـــــن
تمسح الارض من غبار الملاهـــــى ودخان الهـوى .. ولهو المفاتـــن
كل حرف من لفظه .. كل معـــــنى من معانيه .. يستـــثير الكوامن
رددته منابر وقبــــــاب تتعالى .. ورجعته ملاســـــن
فأدره يارب ملء الاحاسيـــــــس (م) وملء النهى .. وملء الشواجـن
واملا النفس من شذاه عبـــــــيرا واملاء الروح من صـــداه ملاحـــن

xxxxx xxxxx xxxxx

فالمعانى — هنا — رقيقة ، أذان الفجر ساعة ظهوراً ولخيوط النور المؤذنة بمولد يوم جديد ، والمؤمنون يهرعون الى الصلاة ، مجيبين نداء المؤذن المنبعث من قباب المساجـــد ، راغبين عن النوم وراغبـــين فى لقاء الله تعالى . هذه الرقة في المعانى قابلها الشاعر — بألفاظ رقيقة عذبة تناسبها من مثل : شعشع ، النـــور ، نفحات ، نسمات ، زقرقتهـــا ، خمائل ، جنائن ، تتنـــدى ، ترتاح ، قطـــر ، الهواتن ،الاحاسيس ، عبيرا ، الروح ، ملاحـــن .

xxxxx xxxxx xxxxx

ونقرأ قول حسن القرشى فى مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان نورا بدد ظلمات الجهـــل ، ورحمة للعالمين : (١)

زها عيده تهفو اليه ضلـــوع   وتزهر أكوان به وربـــوع
بمولد خير الخلق زفت بشـــائر   وتاهت به فى المروتـــين جموع
تعالى سناه .. فهو مستشرف العـــلا   وجل هواه الفذ .. فهو ربيـــع
مثابة آمال الورى نفحاتـــه   تفيض على الدنيا ندى وتـــروع
هى الروض بساما .. هى الصبح ناضرا   هى البدر .. تغدو الروح منه شموع
رسول الورى منى اليك تجلـــة   وفى القلب من نجوى هواك ولوع
فقد كنت مصباح البرية كلهـــا   بشير هدى فى بردتيه سطوع
تراءيت تحبو الشرق نورا ورحمـــة   وأوفضت تغزو الغرب وهو منيـــع
وعدت بنصـــر الله جمـــا مؤزرا   ودينك موفور الجلال رفيـــع
رسول الهدى هيهات يبلغ مـــادح   علاك منيفا كالزمان يضـــوع
بلغت ذرى المجد الذى ليس بالـــغ   سواك اليه مازهاك صنيـــع

xxxxx xxxxx xxxxx

ان معانى الشاعر تدور حول مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ذلك الحدث الذى تنورت به الدنيا بعد ظلمتها ، وأخصبت به الحياة بعد جدبها ،وهى معانى سلسة رقيقـــة استدعت الفاظا مثلها فى الرقة والعذوبة من مثل : زهـــا ، تهفـــو ، تزهـــر ،

---

(١) ديوان حسن القرشى " الامس الضائع " ص (١٠٧-١٠٨) ط الثانية دار المعارف بمصر

ربوع ، بشائـــــر ، سنـــــاه ، ربيـــع ، تفيض ، نـــدى ، الروض ، الصبح ناضرا ، نجـــــوى ، هواك ، ولوع ، وغيرها من الالفاظ الرقيقة العذبة الملائمة للمعانى .

xxxxx xxxxx xxxxx

ونقرأ – كذلك – قول عبد الرحمن العشماوى يجســـــد لحظة الالتجـــــاء الى الله عز وجل فى موقف يكثر فيه اللجوء اليه هربا من آثام النفس و طمعا فى العفو والغفران فى عرفات يقول الشاعــــر (١) :

لبيك يارحمن ياربـــــــــى	لبيك أنفثهـــا من القلـــب
لبيك يارحمن مغفـــــــــرة	انى فررت اليك من ذنبـــى
ووقفت فى عرفـــات ممتثـــــلا	أرنو الى احسانك الرحــــــب
لبيك ... يادنيـــا أعيديهـــا	فى مسمعى نجوى من الحـــب
عرفات هل أحصيت من وقفــــوا	وأتوك من بعـــد ومن قـــرب
أرأيت ركب المصطفى يهفــــو	لله بين الآل والصحــــــب ؟
أرأيتهم عرفات كم هرعـــــوا	لله من شعب الى شعــــب ؟؟
هل نحن ياعرفات مثلهـــــم	علما بأن الشرب كالشــــرب
فسمعتها قالت وما نطقـــــت	شتان بين الخصب والجـــدب

فقد رقت معانى العشماوى التى تدور حول خلجات النفس المؤمنة فى يوم عرفات ، وطمعها فى الغفران ، وتذكرها لمواكب المؤمنين تـــترى منذ فجـــر الاسلام الى هـــذا

---

(١) ديوان عبد الرحمن العشماوى " صراع مع النفس " ص (٩٣-٩٥) ط مطابع الفرزدق .

هذا الموقف ، وهذه المعانى ـ كما أسلفنا ـ رقيقـــة ، وقد اختار الشاعر ماينا سبها من الالفاظ الرقيقة العذبة ك : أنفثهـــا ، أرنو ، الرحب ، نجـوى ، يهفـو ، الال ، الصحــب .

ونقرأ ـ أيضا ـ قول ضيــاء الدين رجـب مصورا حبه الكبير لمكــة وهيامــه بهـــا : (١)

هبينى انى واهب لك روحـــه ... أما تلتقى عند الفـداء الجوانح

أما تستوى فى المورد الحلو أنفــس ... ظماء .. وأخرى فى النعيم سوابح

وكل له فى ذروة الحب مــنزل ... تنافس ـ فى معناه ـ غاد ورائح

فماذا تسمين الهوى وبــلاءه ... أكل شج يامى عندك صـادح

أما يتجلى الحب بالحب ليتــه ... تجلى .. لغنتك الربى والاباطح

اذن لدريت السر ـ لاذقت كربــه ... فما لذة الاسرار وهى بوائـح

خذيه من الانفاس حسبك عطــره ... وحسب الهيامى ماطوته الجوارح

خذيه من الورقاء فى الفجر آدهـــا ... ثقيل الخطى ..والليل للهم فاضح

تذوب الحواشى فى حواشيه والمدى ... بعيد وأسراب المنى تتلامـح

ونفح الخزامى منك ينضح .. لاالندى ... ولا الطل الا أكبد تتصايـح

فردى لبقيا كالثمالة روحهـــا ... تطالعك حبات الدموع السحائح

حنانيك ياذات الوشاحين انهـــا ... وشائج فى اللبات منك وشائح

وتلك الخفايا لومسست شعاعهـــا ... تهلل ملهوف وأوب نــازح

تقولين هلا طاف بالبيت طائــف ... (ومسح بالركن اليمانى ماسـح)

---

(١) ديوان ضياء الدين رجب ص (٣٥١ ـ ٣٥٢) ط دار الاصفهانى بجدة

xxxxx

فالابيات تصور مدى حب الشاعر لمكة المكرمة ، مهبط الوحى ومهـــــد الرسالة ، والحب معنى رقيق شفاف ، يعتلج فى خفايا النفس وجوانحهـــــا ، وقد استدعـــــى هذا المعنى الرقيق ألفاظا رقيقة تناسبه ، فجاء الشاعر بألفـــاظ : روحـــــه ، الجوانح ، ضماء ، الـهوى ، الســـــر ، جوائح ، الانفـــــاس ، الـهيامى ، المنى ، الثمالة ، وغير ذلك من الالفاظ الرقيقة التى تناسب المعنى .

===============

========

وهنالك طائفة من الشعراء نلمح فى شعرهم شيئا من آثار البداوة أو التأثر بلغة الفحول من قدامى الشعراء ، فى فخامة الالفاظ ، و فحولة التعبير .

وهذا راجع — من وجهة نظرنا — الى عاملين :

العامل الاول : مفهما هو : الثروة اللغوية التى حصلوها من دراساتهم للغة ومعرفتهم بالالفاظ القوية الجزلة .

والعامل الثانى: ادمانهم القراءة فى عيون الشعر العربى المأثور لفحول الشعراء فى عصور القوة زمن الجاهلية وفى صدر الاسلام وفى عهد دولة بنى أمية فانطبعت فى أذهانهم آثار هذه الفحولة فيما قرأوا وفيما حفظوا من الشعر القديم ، وانعكست آثار هذه المعرفة على صفحات شعرهم .

فأنت اذ تطالع شعر هذه الطبقة التى نتحدث عنها ، لاتكاد تجد فرقا — من حيث العناية بفخامة الالفاظ وجزالتها — بين شعر هؤلاء وبين شعر المقدمين من شعراء العربية فى عصورها الاولى .

نقرأ — مثلا — قول محمد بن عثيمين يهنئ الملك عبد العزيز بانتصاره فى أحد فتوحاته ، التى قادها للم شمل المسلمين فى هذه البلاد ، واعلاء كلمة الله فيها يقول : (١)

تهلل وجه الدين وابتسم النصر .. فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر

---

(١) ديوان محمد بن عثيمين " العقد الثمين " من (١٤٢ — ١٥٠) ط الثانية دارالعروبة بقطر

ووفى خطيب العز يامنبر العـــــلا .. ينادى ألا لله فى صنعه الشكــــر
هو الملك السامى الذى سطواتـــــه تبيج حمى من كان فى خده صعـــر
بجيش يغيب الشمس عثير خيلـــــه ويحمده بعد اللقا الذئب والنسر
كأن اشتعال البيض فى جنباتـــــه سنا البرق ، والرعد ،الهماهم والزجر
وصادق عزم ان طما ليلفتنـــــة تبلج منه فى حنادسهـــا فجـــر
ركوب لما يخشى من الخطب عـــالم بأن المعالى دونها الخطـــر الوعر
ومن كان عما قلته متجاهـــــلا ستصدقه قولى المهندة البـــتر
فقل لحسين دام فى القوس منزع ألا ترعوى من قبل أن يقصم الظهر
ترقب لها ملمومة تملا الفضـــا يسوق اليك الوحش من لغطها الذعر (١)
تظل عليها شغب الطير عكفـــا معودة أن القبيل لها جـــزر
يدبرها عزما ورأيا ومنصـــلا مدير رحاها لاكهام ولا غمـــر (٢)
امام الهدى عبدالعزيز الذى رنت اليه المعالى قبل أن تكمل العشر
أتانا به الله الكريم بلطفـــه على حين ماج الناس واستفحل الشر
وشعبت الاهواء دين محمـــد ولم يك نهيٌ – عن فساد – ولا أمر
وولى أمور الناس من لايسوسهـــم بشرع ، وخاف الفاجـــر المؤمن البر

---

(١) ملمومة : الكتيبة مضموم بعضها الى البعض ، اللغط ، الصوت والجلبة التى لاتفهم
(٢) الكهام : من السيوف الكليل ، ومن الرجال : الضعيف البطيء عن الحرب ، غمر : غيرمجرب للامـــور .

فأسفر صبح المسلمين وأشرقـــت بطلعته أنوارهم وانتفى العســـر
وأعطوا بعيد الذل عزا وبدلـــوا من الخوف أمنا والشقا بعده اليسر
متى ماتيمم دار قوم جيوشـــه اذا لم يكن عفو فعمرانها قفـــر
أليس الذى قاد المقانب شزبـــا الى كل جبار دغائله المكـــر (١)
مفيد ومتلاف اذا جاد أوسطـــا فما الاسد الضارى؟ ومالوابل الهمر؟

::::::::::::::::

اننا حين نقرأ هذه الابيات نجس مدى تأثر ابن عيثمين بفحول الشعراء فى عصور القوة اللغوية ، مما كان له أثر واضح فى اختياره للالفاظ الجزلة من مثل :

// سطواتـــه ، صعـــر ، الهماهم ، الزجـــر ، حنادسهـــا ، الخطـــر ، الوعـــر ، الـــبتر ، الوحـــش ، الذعـــر ، كهـــام ، غمـــر ، المقانب ، شزبا ، دغائلـــــه ، وغير ذلك .//

وقصيدة ابن عثيمين هذه تعارض قصيدة أبى تمام فى رثاء القائد المسلم محمد بن حميد الطوسى والتى مطلعهـــا :

كذا .. فليجل الخطب وليفدح الامـــر فليس لعين لم يفض ماؤها عـــــذر

وهى لاتختلف عنها من حيث احتفالها بالالفاظ الفخمة القويـــة ، مما يؤكـــد لنا تأثر الشاعر بمن سبقوه فى عصـــور القوة ، بالاضافة الى قدرتـــه اللغويـــة

---

(١) المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل ، سزبا : ضمرا ، دغائله :دخائله وما يخفى من الامر السىء .

التى حصلهـــا من دراسته للغة ومعرفته بالالفاظ الجزلة الفخمة .

:::::::::::::::::

ونقرأ - أيضا - الابيات التالية لابن عثيمين يمدح فيها الملك عبد العزيز بجهوده فى سبيل اعادة صورة الاسلام الناصعة ، وقيامه على خدمة بيت الله الحرام ، وكسره لشوكة كل خارج على أمر الامـــة فيقول :- (١)

منال العلا الا عليك محـــــــرم ... وكل مديح فى سواك يـــــــذمم

ولا مجد الا قد حويت أجلـــــــه ... ولا فضل الا أنت فيه المقـــــدم

ومن يعتقد غير الذى جاء نصـــــه ... لكم فى كتاب الله لاشك يأثـــم

ألستم أقمتم ميل نهج محمـــــــد ... وقد كاد يعفو أو يبيد ويهـــــرم

سيأتى قتيل الطف فى الحشر شاهـــد ا ... بهذا ، وحجر والمقام وزمـــــزم (٢)

غداة كسوتـم كعبـــة الله واعتلـــى ... بأبطحها الدين القويم المعظـــم

ولم يبق فيها قبة أو ذريعـــــــة ... الى الشرك الا وهى تمحـــى وتهدم

معال متى تذكر تصاغر عندهـــــا ... معالى ملوك أخـــروا أو تقدمـــوا

فلا مجد الا خشية الله والتقـــــى ... ولا فخر الا الشرع فيه المقـــــدم

ليهنك ياعبد العزيز بن فيصـــــل ... مغانم تدعى وهى فى الاجر مغـــنم

اذا شق أمر المسلمين مضـــــــلل ... فأنت له الموت الزوءام المحـــتم

---

(١) ديوان محمد بن عثيمين ((العقدالثمين)) من (١٥٢ - ١٥٤) ط الثانية . دار العروبة بقطر

(٢) قتيل الطف : المراد به الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، الطف : أرض بظاهر الكوفة .

دلفت له قبل الشروق بفيلـــــق ... أحم الرحى .. فيه المنايا تقسم (١)

فأسقيتهم سما ذعافا يشوبـــه ... - بأفواههم - بالموت صاب وعلقم (٢)

تظل به غرث السباع نواهـــلا ... وعقبانه منها وقوع ، وحـــوم (٣)

كما قد جرى يوم على أهل حائـــل ... وقد صرفوا عن منهج الرشـــد أو عموا

وظنـــوا بأن الدار - كالاسم - حائل ... نفور عن الازواج جـــداء مصـــرم (٤)

فأنكحها صم الرماح فأصبحـــت ... كشافا .. بعيد الحمل بالشر تتـــئم (٥)

:::::::::::::::::::::

فى هذه الابيات نلمس مالمسناه فى الابيات السابقة - لابن عثيمين - من تأثر بالشعراء الاقدمين فى فخامة الالفاظ وفحولة التعبيـــر ، وهـــذا - كما أشرنا من قبل - راجـــع الى الـــثروة اللغوية التى حصلهـــا الشاعر من دراسته للغة ومعرفته بالالفاظ الفخمة من جهة ، والى كثرة الاطلاع على الادب القديم وانطباع آثار الفحولة - فيه - فى ذهنه وانعكاسها فى شعره من ناحية ثانيـــة .

وبتأملنا للابيات السابقة لانجـــد كبير فرق بـــين ابن عثيمين وغيره من المقدمين من شعراء العربيـــة فى عصورهـــا الاولى ، من حيث العناية بفخامة الالفـــاظ وجزالتهـــا ، فأنت تجد فى أبياته كثيرا من ألفاظ شعراء الجاهلية وشعراء صدر الاســـلام ودولة

---

(١) أصم الرحى : أسود الجمع من ... (٢) الذعاف : الذى يقتل من ساعته كثرة خيله وسلاحه

(٣) غرث السباع : جياعها (٤) جداء : الناقة لاحليب فيها ، وحصرم قليلة اللبن

(٥) كشافا : القاحا للناقة وهى حامل .

بنى أميـــة ، ويبدو ذلك فى ألفاظ :

// دلفت ، المنايـــــا ، زعافــا ، صاب ، علــقم ، غرث ، عقبـــان ، حوم نفور ، جـــداء ، مصـــرم ، الرمـــــاح ، كشافــــا ، تتئم ،//

وغير ذلك من الالفاظ الجزلة الفخمة ، التى قد لانجدها عند معظم الشعراء المحدثين.

:::::::::::::::::::::

ونقرأ ـ كذلك ـ قول عبد الله بن خميس ـ وهو من شعراء الفخامـــة ـ يصـــف الجزيرة العربية ، وماضيها القاسى على أبنائها البداة الجاهليين ، وحاضرها المشرق ، الذى قلب الحياة فيها من الشظف الى النعيم ، ومن الجهل الى نور العلم ، ومن الفرقـــة والشتات الى مجتمع تربطه أقوى الاواصر ، يقول : (١)

لو أباحت بما لديها الطلـــــــــول ... أى شئ تبينــــه لو تقـــــول ؟

واكبتهـــــا من الحيــــاة ضروب ... وامتطاها من الانام شكـــــــــول

تشهد العيش حسرا من وجاهــــــــا ... شفها الوخـــد والسرى والذميـــــل (٢)

ضامرات كأنهن العراجـــــــــين ... طواها بعد التموك النحـــــــول (٣)

يسكب القوم فوقها كل لحـــــــن ... تتناغى من سحــــره .. وتميـــــل

ضاربات مابين (هجـــر) و (حجـــر) ... وبأعناقها البطاح تســـــيل

تترامى بمن عليها الموامـــــــى ... ولكم أخفقوا وحار الدليـــــل (٤)

---

(١) ديوان عبد الله بن خميس " على ربى اليمامة" ص (٥٠-٥٢) ط مطابع الفرزدق

(٢) الوخد : اتساع الخطو ، السرى : مصدر أو جمع سرية وهى السير ليلا ، الذميل : السير المتوسط. أساس البلاغة

(٣) التموك : ارتفاع السنام . أساس البلاغة

(٤) الموامى : جمع موماة ، وهى الفلاة التى لاماء بها ولا أنيس . لسان العرب

ولكم روعوا وما الـــــروع الا ... ما انطوى - عادة - عليه السبيـــل

لامن الغول والشياطين .. لكـــن ... تتنزى من الانـــام الغـــول

وطوى الغيب فى ثناياه ســـرا ... غامضا ما اهتدى له التخييـــل

ما أتاها بأنها سوف تمســـى ... ودم الجهل فوقها مطلـــول

ولها فى فم الزمــــان دوى ... متلئب تحار فيه العقـــول

نسجت بين أهلها حيث كانـــوا ... أصوات دعاء اليها الرســـول

جمعت بين (هاشم) و (صهيـب) ... لافروع تحوكها أو أصـــول

فهى ماشئت خلـــة وولاء ... وهى للمعتقين ظل ظليـــل

وهى حب لمن أراد التـــآخـــى ... وسهام للمعتدى ونصـــول (١)

:::::::::::::::::::::

ان تأثر عبد الله بنخميس بشعراء الجاهلية والاســـلام واضح فى فخامة ألفاظـــه وفحولـــة تعبيره ، فهو شاعـــر ضليع فى اللغة ، مولع بقراءة وحفظ القديم من شعـــر الفحول ، لذلك نجد فى أبياته السابقة ألفاظا فخمة جزلة مثل :

// الطلول ، العيس ، وجاهـــا ، شغهـــا ، الوخـــد ، الســـرى ، الذميـــل التموك ، الموامـــى ، الغـــول ، متلئب ، نصـــول //

---

(١) سمام : هكذا جاءت فى ديوان الشاعر ، ولعل صحتها " سهـــام "

ونحن حين نقرأ أبياته السابقـــة لانجد فرقـــا بينه وبين الشعراء السابقين فى عصر الجاهليـــة والاسلام ودولة بنى أمية ــ من حيث العناية بفخامة الالفاظ وجزالتهـــا فى بعض أبياتـــه .

وان كنا نتوقف عند قوله فى صدر البيت الاول من هذه القصيدة " لو أباحت " لان (البوح) هو المقصود هنا ، ليس (الاباحة) التى هى السماح أو الاجازة .

ان جل الشعر الاسلامى الذى انتجه الشعراء المعاصرون ، يحتفـــظ بالطابع التقليدى والسنن المأثور عن شعـــــراء العربية ، فى التزامهم بنظام الاوزان والقوافى كما حددهـا ووضح معالمها العروضييون ، من وحدة الـــوزن ووحدة القافية فى العمل الشعرى الواحد.

اقرأ قصيدة محمد الفقى فى ذكرى النبوة الخالدة التى كانت حدثا عظيما غير وجه الحيـــاة على هذه الارض ، تلك القصيدة التى بلغت عدة أبياتها مائة وتسعة أبيات من بحر الكامل " متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن " ، ومع ذلك احتفظ الفقى بقوالبه المأثورة فى خضوعه لنظام الاوزان والقوافى . فيقول الفقى : (١)

كسرت جاماتى وعفت شـــــــرابـــى	وزهدت فى لهوى وفى أصحابـــــى
وتطلعت عينى الى مستشـــــــــرف	عالى الصـــــروح مقدس الاعتـــاب
تتواثب الانوار فيـــه كأنهــــــــا	أسراب طير فوق خضــــر روابـــى
ويحفـــه ألق الجلال فتنـــــــثنى	عنه العيون غضيضة الاهـــــــداب
لم تعش أبصار الذين تطلعــــــوا	لكنها غضت من الاعجـــــــــاب
وقف الملائك خاشعـــين ببابــــه	والانبياء .. فيا له من بـــــــاب
تتقاصر الامـــال دون ولوجـــــه	ويطيش دون الفوز كل صــــــواب
الله شاء بأن يكون منـــــــارة	شماء بين مفاوز وهضـــــــاب

---

(١) ديوان محمد الفقى " قدر ورجل " ص (١٥٣ – ١٦٢) ط الاولى ١٣٨٦هـ

والله شاء بأن يكون مثابـة ... للناس بعد تفـرق وتبـاب
والله شاء بأن يكون شريعـة ... سمحاء دعوته مـدى الاحقـاب
والله شاء لمصطفـاه مكانـة ... جلت برفعتها علـى الاراب
طوبى لمزدلف اليه بقربـة ... من مجد معركة .. وهـدى كتـاب
ان الصبابـة لاتكون تباهيـا ... بالحب أو هى نزوة المتصـابى
أغضيت بين هوى وبين عقوبـة ... وصحوت بين هدى وبين ثـواب
فطفقت ألثم ـ فى الخيـال أناملا ... قلبت نعيما شقوتى وعـذابى
بوركت من طهـر تمثل للـورى ... متجسـدا متزملا بثيـاب
ما كان مثلك بينهم فتخـيروا ... أولست أنت محـير الالبـاب
خسئ الضلال فمنذ أن قام الهـدى ... فى الناس .. عاد مقطع الاسبـاب
لو أن من عاداك حكم عقلـه ... لرأى الحقيقة غير ذات حجـاب
هل بعد نسج العنكبوت دلائـل ... أم بعد جبرائيل من مرتـاب
أم بعد ما القمر استجاب لربـه ... ـ فانشق ـ تجحد عصبة الاوشـاب (١)
أنا لا أعـدد للنبى مآثـرا ... ان النبى وراء كل حسـاب
من كان من عند الاله كمالـه ... كان الكمال له من الطـلاب
الناس تجهد فى سبيل بلوغـه ... فتتيه بين متالع وشعـاب

والله يمنحه فليس بتائـــــــــه ... عنه المبرأ من ذميم العـــــاب
من كانت الاقدار ترسم خطـــــة ... ذاق الحلاوة من مريـــــر الصاب
الروح أنت نفختهـا فى معشـــــر ... لولاك كانو معشـــر الاعـــــراب
فتواثبوا للمجد بعد تخلـــــف ... وتلقفوا العمران بعـد خـــراب
وأتوا بأفعال يحار أمامهـــــا ... حذر اللبيب وسورة الضـــــراب
كسرى تزلزل عرشه من رجفـــه ... وهوت بقيصر وثبة الوثـــــاب
لو أنهم سمعوا النذير لاحجموا ... ولما أطاح بهم أســـود الغاب
من كل من نذر الحياة لغايـــة ... تسمو على الاطماع .. والاوصـــاب
لم يثنه فى الله بر قرابـــة ... أو مجد منقلب .. وفخـــر مآب
من آثر الخـــلد استهان بزائـل ... من وهم بارقة ولمع ســـــراب
ما عق والده ولامولـــــوده ... من عقــــهم بعقيـــدة الاواب

الى أن يقول :

عودوا الى الاسلام ان سبيلـــــه ... ما تلتوى فى جيئة وذهــــاب
ان أوحشت سبل وأجدب مرتـــع ... جلت عن الايحاش والاجـــــداب
هذى المناهج بالدماء تلطخـــت ... وحماتها تعتز بالاسلــــــوب
نبذوا التراحم ان من غلوائهـــم ... فى الضعف رشق أسنة وحــــراب

لم يعرف الاسلام ان روءوســـــــه ديست بلا حـــرج من الاذنـــــــاب
أو يعرف الاسلام أن أخـــــــوة كانت مثار تشاحن وسبــــــــاب

الى أن يقول فى آخر القصيدة:

ياخير مبتعث بخير رسالــــــــــة للعالمين فكنت خير مجــــــاب
انى لالتمس الشفاعة ـ ضارعـــــا لله ـ منك غداة يوم حســـــابى
لن تعوز الله الرحيم عقوبـــــتى أو يعجز الله الكريم ثوابـــــى
فامنن بها فلربمـــا نال المنـــى من راح يطرق أكــــرم الابــــواب

:::::::::::::::::::

ونقـــرأ القصيدة التالية لعبد الرحمن العشماوى ، التى أنشأها فى ذكر أمجاد الامة الاسلامية، وماضيها السعيد ، والقصيدة من بحر " الخفيف" فاعلاتن مستفعلن ، فاعلاتن "، وقد بلغت عدة أبياتها ثلاثة وسبعين بيتا ، وصار فيها الشاعر على هذا النظام الخاضع للاوزان والقوافى .

يقول العشماوى : (١)

أهو حلم فى جفن هذا الوجـــــود ؟ أمْ رُؤاه فى مداه البعيـــــــــد
ثار فى خاطرى القريض فعفـــــوا يارفاقى اذا أزلت حـــــــدودى

---

(١) ديوان عبد الرحمن العشماوى " الى أمتى " ص (٨٤-٨٩) ط ١٩٧٨هـ

وصحبت الخيال أسبح فى الماضــــى ... على متن عزنا المـــــــؤود
ياحياة رأيتها من كوى التاريـــــخ ... نشوى ، انى انطلقت فعــــودى
ياخيالا وصلتنى بسنـــا الامجــاد ... هلا أزلت عنى جمــــــــودى
هبك ياقلب قد تمزقت حزنـــــا ... فلماذا وقفت عن تأييــــــدى
حرك العزم علنى أصنـــع الامجـاد ... ابنى صروحهــا من جـــديــد
مد لى جســر ذكرياتى لعلـــــى ... أعبر الجســر نحو مجــد تليد
وازرع الورد فى طريـــق فانـــى ... أعشق السير فى ظلال الـــورود
لم تزل تنزع الحروف بقايـــــا ... ذكريات ، تهز ركن وجــــودى
فوراء الرمال ألف حــــــديث ... عن أبى مناضل .. وشهيـــد
لم تزل تنبس القصائد عنهـــــا ... خلف باب المفاخر الموصـــود
قد مضغنا كل الحكايات عنـــهم ... ونظمنا قصائد التمجيـــــد
لو نهجنا طريقهم وبذلنـــــا ... فى سبيل الاسلام بعض الجهـــود
لرأينا الزمان يركض طوعـــــا ... وضربنا بقبضـــة من حديـــد
ذاك شأن الحياة ، تخضع مهمـــا ... كان اعراضها – لكل ســـديد
سافر الشعر فى عوالم احساســـى ... فرفقا بالشاعر المهـــــدود
سافر الشعر ياحروف أفيقـــــى ... واستقرى كاللؤلؤ المنضـــود
سافــر الشعر يامراكب حــــسى ... هاج شوقى الى اللقاء فعـــودى

راحـل فى مواطنى أقتل الرعـب ... وامضى على الطريق السـديد

خاطر الشعر لوعة ، وفـؤادى ... لوعة .. والاسى أشد القيـود

هزة عاطفية لو يشـاء اللـه ... لا ستجمعت رفات جـدودى

غردى ياقصيدتى فالمآسـى ... تتهاوى على لسـان النشـيد

وانقلينى الى صروح المعالـى ... رغم هذا المدى الطويل البعيـد

لاتظنى مابيننا من سنى العمـر ... يقضى على اللقـاء السعيـد

لم أزل انتشى لشدو ابـن زيدون ... على سفح مجدنا المفقـود

لم تزل هاهنـا بقايا زهـور ... غرست حول راية التوحيـد

ايه قصـر الحمراء ، ماذا دهاهـم ... اين من زينوك بالتشـييد؟

لم تزل فى ثراك نكهة أمجـاد ... أثارت صوت الرضا فى قصيـدى

وعلى السفح طارق بن زيـاد ... أر يحيى الخطى سليل الاسـود

وخطى جنده أحاديث نصـر ... ولسان الثرى حكاية عيـد

مصـر يامصـر قد تضيع الامانـى ... فتغنى برغم كل حسـود

قبلينى ففيك نكهـة عمـرو ... وبقايا من الخباء المجـيد

وعليه اليمامتـان تبثـان نشيدا ... يزيد صفـو السعيـد

وهنا الازهـر الشريف ولكـن ... ضاع صوت الشريف خلف السـدود

أيها الشام ياوثيقـة عـز ... سجلت فى دفاتر التأبيـد

نسى القوم مجدنا والتآخـــــــى ... وبطولات خالد بن الوليـــــــــــد
نسيت أيها العزيز وقامـــــــــت ... فى بلادى وسائل التهديـــــــــد
أنا فى غربتى أكبر للماضـــــــى ... وأحدو قوافـــــل التأييـــــــد
وأرى هاهنا معالم مجـــــــــد ... عبقرى وصورة للرشيـــــــــد
حين كان الوئام صورة أوطانـــــى ... وكان الضلال رهن الركـــــود
ولبغداد عزة وابـــــــــاء ... فى ظلال الهدى ، ظلال الخلـــود

: : : : : : : : : : : : : : : : : : : :

ونقرأ — أيضـــا — قول ضياء الدين رجب من قصيدة بلغـــت واحدا وسبعين بيتا فى ذكرى مولد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم . تلك الذكرى التى كانت ومازالـــت خالدة فى جبين الدهر ، يقول :(١)

يامن رآى مجد السماء ونـــــوره ... مزنـــا تضاحك فى أسرة أحمـــــد
ورأى الكواكب والبدور تألـــــفت ... بجبينه المتشعشع المتوقـــــــد
فالرحمة الكبرى تفـــرد فى يـــد ... ونبوة الامجـــاد تسطـــع فى يد
واذا العوالم غاية ووسيـــــــلة ... موصولتان بمجده المتجـــــــدد
فروى الخلائق للخلائق مشهـــــدا ... عجبا تعلق يومه بضحـــى الغـــد
وتطاولت أفلاكها وتسامقـــــــت ... واهتز سامرها لبشـــــرى المولد

---

(١) ديوان ضياء الدين رجب ص (٣٧٤ — ٣٧٨) ط مطابع دار الاصفهانى بجـــدة

والحالمـــون على السحاب تنـــدروا ... فلقا يشع بسندس وزبرجـــــــد

وهفت ملائكة السمـــاء وشاقهـــا ... ماشاق كل مسبح ومغـــــــرد

وسرت على الاكوان فى غسق الـــدجى ... نسمات فجر عبقرى سرمـــــــد

وتعانقت أرواحهـــا وتخاصـــرت ... آمالهـــا فى رحمة وتـــــودد

واستبشرت حتى الاجنـــة أفصحت ... عنها وجوه الغانيات الخـــــرد

هدف العظائم فى العظيم رسالـــة ... هان الفداء بها وعـــز المفتـــدى

ومضى بها نور اليقين يصونهـــا ... هاد أمين لايضيق بمهتـــــدى

بالحكمة المثلى سلاح جهـــــاده ... لا باللجاج ولا بحد مهنـــــد

بالحب عاطف بينهم فى مشـــرع ... صفو يروح على الوداد ويغتـــــدى

وهب الحياة عزيزة ، وسرى بهـــا ... مسرى الجداول فى الظلال الميـــد

تصل الوشائج بالوشائج فى هـــوى ... سمح كمنغوم اللقاء مهدهـــــد

وعلى المواكب للمشاعل فرحـــة ... تجلو المباهج مشهدا فى مشهـــد

لاتستفيق من السلاف حلالــــه ... أبهى وأمتع من سلاف معربـــد

كل الروائع من مناهل كفـــــه ... وفق حكاه متهم عن منجـــد

وخصائص وسع الزمان حباؤهـــا ... حطمت سدود مقيد ومحـــــدد

ومنى الكريم كرامتيسمـــو بهـــا ... انسانها عن حيرة المسترقـــــد

ماكان دين محمد شكـــــلا ولا ... رسما تضاء له شموع المعبــــد

لكنه الانســان فى أبعـــاده ... فى مجد معناه السرى الابعـــد

فى كنزه المذخور غير مهـــدر ... فى روحه الرفاق غير مصفــد

فيما يشف له الولاء ممحضـــا ... لا فرق بين مسوده والسيـــد

فى الاصـــرات تجمعت وتألفـــت ... فى الامنيات على السرى المتوجـــد

للموطن الاسنى عقيدة وامـــق ... فى موقف جم الفخـــار مؤيـد

وحى العقيـــدة فى مهابط وحيهـا ... فى بيته المعمور حتى المسجـــد

الى أن يقول فىآخـــر القصيدة :

وليأفلن الغرب بعد شروقـــه ... ويعودن ماليس بالمتعـــود

فمحمـــد رغم الجحـــود محمـــد ... وهباته كحياته لم تنـــفد

ويؤوب عز المسلمين وانـــه ... يوم قريب ليس بالمستبعـــد

تتوحد الدنيا على أظلالـــه ... أنفا وتزهق روح غير موحـــد

وسينتهى عهد الضلالة والهـــوى ... اذ يطلع الغرس النقى ويبتـــدى

وعليك ياخير الانام تحيـــة ... هـــى من صلاة الله عطر المولد

:::::::::

وهذه القصيدة كسوابقها من القصـــائد التى احتفظت بالقوالب المأ ثـــورة الخاضعة لنظام الاوزان والقوافى ، فهى من بحـــر " الكامل " متفاعلن متفاعلن متفاعلن .

xxxxx

ونقرأ — كذلك — الجزء التالى من قصيدة لحسن عبد الله القرشى ، تلقى الضوء على جوانب من أحداث هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد بلغ عدد أبياتها خمسة وستين بيتا ، صار فيها على السنن المأثور عن شعراء العربية الاقدمين ، فى الخضوع لنظام الوزن والتقفية ، فهى من بحر " الخفيف " فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

يقول القرشى : (١)

صفق الوجد فى الفؤاد وغنى   وتجلى الحنين فى النفس لحنا

ايه ياذكريات من أين ضاءت   صور منك تترك الروح مضنى ؟

تبعث الماضى المجيد لعينى   صفحات تشع نورا وحسنا

هو ماض من البطولات قد صيغ   وشيدت به المكارم حصنا

هو ماض يفوح عطرا ويسمو   نغما أطرب المسامع فنا

غمر الكون بالجمال وبالبشر   وبالحق مستفيضا أغنا

يالدنيا تموج فيه ومعنى   خلدته الاجيال قرنا فقرنا

أى سار وملء جنبيه سر   هو روح من الاله تدنى

سكبت نوره السماء لقلب   ذاكر قد زها حنانا ويمنا

هو درع الامان والسلم للكون   تسامى نبعا ومأوى وشأنا

هو وحى منزل رف بالحكمة   والخير كم تحرش لسنا

---

(١) ديوان حسن عبد الله القرشى — المجلد الاول ص (٢٩٤ — ٣٠٣) ط الثانية دار العودة .

فيه هدى الدنيا .. وفيه سنا الاخرى ومنه الضلال يندك ركنا
هو أى ينساب فى مسرب الروح وشرع أهوى العظيم فأغنى
ان يكن أعرض المضلون عنه وتعاووا عليه عميا وسجنى
فحمى (يثرب) ترامى عليه من علٍ فجره فآمن حسنى
فترحل بالمؤمنين الى (يثرب) وانزح مهاجرا .. مطمئنا
اتخذ من جوانب الليل سترا ومن الوامق المصدق خدنا
هاهما ذان فى المغارة الغار انا لتهما المقادير كنا
أى حصن ضم المغانم والخير سميا واستجمع الفخر مغنى
لمس الطهر صخره وثراه فهو تبر يروع حسا ومعنى
هاجت الشرك هجرة المرسل الهادى وآدته .. فاستشاط وجنا
وطغى من معاشر الكفر رهط رام أن يستطيل كبرا ومنا
نهض الركب للرفيقين يبغى بهما البطش .. فهو لا يتأنى
ايه ركب الشرك البغيض تضاءل ماللقيا هما سبيلك يدنى
انما الصاحبان فى كنف الخالق هيهات دونك النجم أدنى
نكص المشركون يعروهم اليأس وكل ينشق خزيا .. وحزنا
صاح فسل منهم **هنا القوم فى** الغار فشدوا عليهم الان مثنى
هاهنا الهاربون فاستقبلوهم بالجزاء المبيد ضربا وطعنا
وتأذى الصديق من صورة البغى وقد شفه الاسى فتظنى
ورنا للرسول والطرف يهمى مشفقا أن ينال بالسوء مضنى

يالها لحظة تشيب لها الولـــــدان   ذعرا .. وتسقط الشهب حزنـــى
يالها لحظة أفاضت على التاريــخ   ذكرا فى الخافقين مرنـــــا
ورآه الرسول يستشعر الهـــــول   وفى النفس لوعة ليس تــغنى
قال ياصاح لاتحاذر ولا تحـــــزن   فربى بنا أضن وأحـــــنى
نسج العنكبوت فوق فــم الغــــار   وآوت حمائم فا طمأنـــــا
وتهادت جنود ربك تـــــرعى   موئل الوحى وهو يفـتر سنــا
وتولى الطغاة منــه فــــرارا   فى البوادى يطوون سهلا وحزنا
سور المجد كم أثرت بقلـــــبى   خطرات يهجن لى مايهجنـــا
ان فى هجرة الرسول لمعـــــنى   جل أن .. يستسر أو يستكنـــا

ان تلك النماذج السابقة ــ وغيرها كثير ــ مما أنتجه الشعراء المعاصرون من الشعر الاسلامى ظل محتفظا بالطابع التقليدى .. والسنن المأثور عن شعراء العربية فى الالتزام بنظام الوزن والقافية الواحدة فى العمل الشعرى الواحد .

xxxxx xxxxx xxxxxx

وقد نجد فى بعض هذا الشعر ــ ونعنى الشعر الاسلامى ــ الحفاظ على تفعيلات البحور وأوزانها كما هى معروفة ، ولكننا نجد الشاعر يغير فى نظام القافيـــة فيلجأ الى المزدوج ، أو المربع أو المخمس أو الى الموشـــح ، وغير ذلك من الانساق الشعريـــة التى

لاتلتزم قافية واحدة فى العمل الشعرى الواحد .

نقرأ من المزدوج(١) - مثلا - قول محمد هاشم رشيد فى ذكرى موقعة بدر الكبرى ، التى كانت فاتحة عهد الاسلام وبداية بزوغ نجم دولته التى ملأت الارض عــدلا ورحمة .. يقول : (٢)

هى خطوتان فلا تقولـــــــى ماذا نريد من الطلـــول
ماذا نريد من الرمـــــــال وأين نذهب فى السهول

× × ×

هى خطوتان ونلتقــــــــى بسنا الفخـار المشــــرق
بنسائم الفجـــر النضـــير وفرحة الحلــم النقـــى

× × ×

وعلى الصدى الرفاف نســبج فوق أجنحة السكـــــون
أطياف ماض تستظـــــــل بظله قمم القـــــــرون

× × × ×

هى ساحة الشهداء فــــــى بدر .. وأول معـــــترك
لمعت به أسيافنـــــــا لتضئ أطباق الحلـــك

× غ ×

(١) المزدوج : أن يأتى الشاعر بقصيدة على شكل مثنيات ، لكل بيتين قافية تختلف عن قافية البيتين الاخرين.

(٢) ديوان محمد هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص (١٣ - ١٥) ط ١٣٩٧ هـ

نلاحظ أن الشاعر حافظ على تفعيلات البحـــــر ووزنه ، فهو يلتزم " متفاعلن ، متفاعلن " فى كل شطر من أشطر الابيات ، أى أنه ينظم على " مجزوء الكامـــل " مع مايدخل بعض التفعيلات من الزحـــاف أو العلـــه . لكنه حـــافظ على الاوزان المعروفـــة فى هذا البحـــر ، وغير فى نظام القافيـــة ، فقد جعل لكل بيتين قافيـــة تختلف عن قافيـــة البيتين الاخرين . فهى فى البيت الاول والثانـى " اللام " وفى الثالث والرابع " القاف " وفى الخـــامس والسادس " النون " وهكـــذا مما يدخل تحت ماعرف بالمزدوج .

xxxxx xxxxx xxxxx

ونقرأ من هذا النوع — كذلك — قول محمد الفقى فى ذكرى المصطفى صلى الله عليه وسلم : (١)

كلما هل ربيـــــع ذكـــــرت	أمة الاسلام فخـــــر الاشهـــر
ذكرت من مجدهـــــا ماخرجت	بهداه .. من ظـــلام الحفـــر

× × × ×

وتعالى الله قد شـــاء لهـــــا	بالذى قدره الخـــير العمـــيم
فاستوى الايمان فيهـــا وانتهـــى	عهد داعى اللات والعزى الاثـــيم

× × × ×

فاعترى العالم فى أمصـــــاره	ما اعتراه من ذهـــول وعجـــاب

(١) ملحق المجلة العربية

قال : ماهذا ؟ ومن أحبـــــاره جاءه الرد ومن أهل الكتـــــاب

× × × ×

قيل هذا النور .. هذا الرشـــــد بعد أزمان ظـــلام وضـــــلال

فعلى من كابـــروا أو جحـــــدوا أن يفيئوا ..أن يروا نور الهلال

× × × ×

وتولى الله أمر الدين هـــــذا فنما.. واشتد .. وامتن وأسدى

ورآه الناس أمنا وليـــــاذا ورأوا بعد التواء الامـــر قصـــدا

× × × ×

أيها المبعوث بالحق لقـــــد خاب من لم يتبع الحق الصـــراح

ان من لم يعبد الله الصمـــــد باع بالخسران موفور الربـــاح

× × × ×

وهكذا يسير الشاعر فى قصيدته ، محافظا على البحر .. وهو هنـــا " الرمل " وعلى تفعيلاته " فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن " فى كل شطـــر ، ولكنه ينوع قوافيه فيجعل لكل بيتين قافية تختلف عما قبلها وعما بعدها على نظام الشعر المزدوج .

xxxxx xxxxx xxxxx

ونقرأ من المزدوج ـ كذلك ـ قول حسن القرشى يحرض أبناء الامـــة الاسلامية على الكفاح من أجل اعادة الوطن السليب ومقدساته فى فلسطين المحتلة ، التى عبث بهـــا

اليهود ، ودنسوا حرمـــة المسجد الاقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفيـــــن يقول : (١)

حى فتى يعرب عـهد الكفـــــاح واسترخص النفس لحر النضـــال
واشرع الى صدر العدو الســـــلاح منطلقا من عزمات الرجـــال

× × × ×

القدس تدعوك فلا تنـــــثنى الا وللنصـــر روءى ظافـــرة
واحشد له من صولة المؤمـــــن مايتحدى الفئة الكافـــرة

× × × ×

فانما النصـــر قريب .. قريـــــب اذا مضينا أمة واحـــــدة
وكلنا ليث حمى غضـــــوب يأنف ذل العيشة الراكـــدة

× × × ×

القدس ــ كم فوق ثراهـــا ــ دم قد طله العادى الكفور الخـــؤون
وكم شجاها البغى من مجـــرم لما يبالى غضبـــة الثائريـــن

× × × ×

(يافا) و (حيفا) ومغانى الصبـــا عادت حمى من وطنى مستبـــاح
ومشرق النور غـــدا مغربـــا أين الحفاظ المر أين الطمـــاح؟؟

---

(١) ديوان حسن عبد الله القرشى المجلد الثانى ص (٣٢٨ ــ ٣٣٠) ط الثانية دار العودة ديو

× × × ×

ويستمر الشاعر فى قصيدته الى آخرها على هذا الشكل ، الذى حافظ فيه على بحر واحد هو " السريع " وعلى تفعيلاته فى كل شطر " مستفعلن مستفعلن فاعلن " لكنه ــ كما نرى ــ يغير القافية ونظامها فى كل بيتين ، ففى حين جعل البيت الاول والثانى على قافية " اللام " جعل الثالث والرابع على " الراء " والخامس والسادس على " الدال " وهكذا جاءت القصيدة على الشكل المزدوج .

* * * *

ومن أشكال الشعر الجديدة ، التى جاءت على المربع ، أو الرباعيات (١)

نقرأ قول الشاعر عبد الرحمن العشماوى يدعو شباب الامة الاسلامية الى التمسك بعرى دينهم ، فهو دين الحق والعلم والرفعة : (٢)

باسمك اللهم أجلو   كل مايشكوه قلبى

وأزيل البؤس من نفسى   وأهوائى وكسبى

وأنادى اخوتى ، والحق   يارحمن .. دربى

كحلوا بالعزم جفن المجد   لاتأسوا لخطب

xxxxx

زحزحو بالنور ليل اليأس   عن صدر الكفاح

وانشروا الاسلام ، فالإسلام   عنوان السماح

واسمعوا الدنيا نداء الحق   حى على الفلاح

فالعلا ان عز داعى السلم ــ   فى وخز الرماح

---

(٢) ديوان عبد الرحمن العشماوى " الى أمتى " ص (٧٤ــ٧٥) ط ١٩٧٨م

(١) المربع أو الرباعيات : أن يجعل الشاعر لكل أربعة أبيات متوالية قافية تختلف عن قوافى غيرها من الرباعيات فى القصيدة الواحدة .

xxxxx

ياشباب الحــق أنـــــتم قادة النشء الجــــديد

لم يزل طرف العــــلا يرنو الى المجد التليــــد

دينكم دين المعــــالى كيف يرضى بالركــــود

فاملاءوا الدنيا بنور اللـــه من غـــير حـــدود

xxxxx

دينكم ياقادة الاســــلام ميــــدان الاخـــاء

كيف لانرضى بديــــن سنه رب السمــــاء

كيف لانرضى بشــــرع عدله عدل الوفـــاء

ديننا نفديــــه بالأرواح منـــا ... والدمـــاء

xxxxx

ونقرأ قول محمد هاشم رشيد فى وصف وقفة الحجيج فى بيت الله الحــــرام وقــد توحدت آمـالهم ومقاصدهم ، بعد أن عصفت بهم ريـــح الفرقة والاهواء فيقول :(١)

هو الهدى وهنا ساحاته ائتلفـــت فى مهرجان بأهل الله يزدهــــر

جاءوا اليه .. كما جاءوا الحياة بـــلا مظاهـــر .. ضل فى بيدائها البشر

فلا القوى هنا .. تعزيه سطوتــــه ولا الضعيف .. لغير الله يأتمـــر

---

(١) ديوان محمد هاشم رشيــد " فى ظلال السماء " ص (١٣٣ - ١٣٧) ط ١٣٩٧هـ

كلاهما اليوم قد صارا سواسيـــــــــة   وكلهم يرتجـــى القربى وينتظـــر

xxxxx

هنا الهدى وهنا ساحاته ابتهجـــت   وازينت .. فانتشى الاحباب وابتهجوا

فكيف يهتف قلبى ، وهو معتصـــر   فى صدحة بلهيب الوجد تختلـــج

وكيف يشدو بآفاق ملحنــــــة   أنغامها أكبد العشاق والمهـــــج

وكل ايماءة تسبيحــــة حفلـــت   بكل سر به الاكبـــاد تعتلـــج

xxxxx

رباه .. ها نحن جئنا بعد أن عصفت   بنا النوى.. وتزودنا من الامـــل

وكل جارحة فينا مكـــــــبرة   مأخوذة بجـــلال الموقف الجـــلل

وقد وقفنا بظل البيت فى ولـــــه   والبيت بيتك فاصفح عن ذوى الزلل

وامنن علينا بأن نحيا على ســـنن   من الشريعة .. يردى كل ذى دخل

xxxxx

ربــــاه ياخالق الاكوان نحن هنـــا   نسعى كما سعت الاسلاف من قـــدم

لم تختلف صورة عنهم وان عبـــث   بنا السنون .. فعشنا فى دجى الظلم

ولم نعد أمة ـ كالامس ـ واحـــدة   لكننا أمم تعزى الى أمـــــم

لم تجتمع ـ قط ـ حتى فى مبادئها   الا اذا جمعتها ساحة الحــــــرم

xxxxx

ونقرأ – كذلك – من هذا الشكل الجديد قول محمد الفقى يذم المعتدين على المسجد الحرام ، ويتألم من هول الحدث فيقول : (١)

يامسجدي الاقدس .. ياقبلتي — يامطلع النور ومهد الهدى
ماذا الذى يحدث فى أمتي — مما غدا الصبح له أسودا ؟
أوشكت أن أحسب من دهشتي — من هوله الروض غد فدفدا
لا ليس ما أسمع من كربتي — هذى – محاها الله – الا الصدى

xxxxx

يامسجدى الامن يابقعة — امنها الله بوحى السماء
من الذى دنسها حرمة — من الذى يسفك فيها الدماء ؟؟
من الذى اعتز بها لعنة — أبليس يخشاها ، ويأبى البلاء ؟
لابارك الله لها عصبة — من جبنها تفتك بالابرياء

xxxxx

جاءت بليل دامس ترتدى — ملابس الطهر .. وتخفى الكفور
ليس بها الراجى .. ولا المهتدى — و لا بها الخائف عقبى الفجور
لكن بها الجارم والمعتدى — وناكث العهد .. وغاوى الثبور
ياويلهم من يومهم والغد — وهذه الدنيا .. ويوم النشور

xxxxx

(١) صحيفة المدينة المنورة ع/٤٧٦٢ ص /١٦ ، الثلاثاء ٨ / محرم ١٤٠٠هـ

يابئس هذا الجرم .. ياهولـه واقعةٌ يرجف منه الخيال

رأيت فحشا من فمى قولـه فانه يجرح مثل النصال

هل يعرف الجانى الذى حولـه من قدس عظمه ذو الجلال

دانت له الدنيا وأحنت له رقابها الشم كبار الرجال

xxxxx

ففى النماذج الثلاثة السابقة للعشماوى ومحمد هاشم رشيد ومحمد الفقى ، نجد الحفاظ على تفعيلات البحور وأوزانها ، كما هو الحال المدوج . وكل ماجد فى الابيات هو تغيير القافية فى كل أربعة أبيات ، فظهرت القصائد على شكل رباعيات وكل رباعية قافية تختلف عن سواها . فعند العشماوى نجد الابيات من بحر واحد هو " مجزوء الرمل " فاعلاتن فاعلاتن " وقد التزمه الشاعر فى كل القصيدة ، وكذلك حافظ على نظام الاوزان والتفعيلات المتساوية فى كل شطر من أشطر الابيات . لكنه غير فى القوافى ، فالرباعية الاولى على حرف " الباء " والثانية على حرف " الحاء " والثالثة على حرف الدال " وهكذا ..

وما قيل عن أبيات العشماوى ، يقال عن أبيات محمد هاشم رشيد ، ومحمد الفقى فهاشم رشيد التزم بحر " البسيط " مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن . فى جميع الابيات ، كذلك التزم المساواة بين تفعيلات الاشطر كما هو الحال فى الاشكال المأثورة،

ثم انه نوع حرف القافية فى كل أربعة أبيات ، ففى الرباعية الاولى جعله " راء " وفى الثانية " جيمـــا " وفى الثالثة " لاما " وهكذا ..

كذلك الفقى الذى حافظ فى قصيدته على بحر واحد هـــو " السريـــع " مستفعلن مستفعلن فاعلن ، كما حافظ على تساوى التفعيلات فى جميع أشطر الابيات ، ونوع قوافيه فى كل رباعية من أبيات قصيدته ، ففى الاولى جعل القافية على حرف " الدال " ، وفى الثانية" الالفالممدودة " " وفى الثالثة " الراء " وفى الرابعة اللام " وهكـــــذا .. الى آخر القصيدة .

xxxxx xxxxx xxxxx

ونقرأ من المخمسات ـ فى الشعـــر الاسلامى عند الشعـــراء السعوديين (١) ـ قول حسن عبد الله القرشى يشيد بالدين الاسلامـــى وبالعرب والمسلمين فيقول (٢) :

قبس للحق قد شع وضاء ..

هو فى الارض تباشير السماء

سكبت للكون عطرا ورواء

---

(١) المخمسة تبدأ بأربعة شطور من قافية واحدة ، ثم تأتى الشـطرة الخامسة من قافيـــة أخرى تلتزم فى كل شطرة ختاميـة . انظر " الادب الاندلسى بين التأثر والتأثير " د/محمد رجب البيومى . ط ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م . ص (١٠٩)

(٢) " ديوان حسن عبد الله القرشى " المجلد الاول ص (٣٣٢ ـ ٣٣٣) ط الثانية دار العودة

ونشيد مستفزا للاخاء

فاسلمى للمجد دنيا العرب

xxxxx

نحن أبناء المعالى من قديم

صرحنا مستوطن مسرى النجوم

هازئ في الروع بالباغى الخصيم

هاتف فى نبرة الجرس الرخيم

أسلمى للمجد دنيا العرب

xxxxx

من روابينا هنا نور النبوة

ملوءه هدى وايمان وقوة

غمر الدنيا حنانا وأبـــوة

يالنور ترشف الروح سموه

فاسلمى للمجد دنيا العرب

xxxxx

فاعلاتن فاعلاتن فاعلان — رمل

دينا مستجمع عزا وجـــــــاه

وسلاما واعتصاما بالاله

ان عرا الخطب تبارينا يداه

ليس نخشى (الذر) فى أعتى قواه

فاسلمى للمجد دنيا العرب

xxxxx

فى هذه المخمسة نجد الشاعر يلتزم بحـــــرا واحدا هو " الــرمل " ويحافظ على

تفعيلاته متساوية فى كل شطرة " فاعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلن " . ثم يجعـــل لكل أربع شطرات قافية ، ويجعل للخامسة قافية أخـــرى ثم يلتزمها فى شطرة خامسة من المخمسة السابقة . فهو يجعل قافية الشطرات الاربع الاولى " الالف الممدودة " وقافيـــة الخامسة على حرف " البـــاء " أى أنها مختلفة عن سوابقها الاربـــع ، ثم يجعـــل قافيـــة المجموعة الثانية على حـــرف " الميم " فى الشطرات الاربع ، ويكـــرر فى الخامسة قافية الشطرة الخامسة من المجموعـــة الاولى وهكذا .. الى آخـــر المخمسات .

xxxxx xxxxx

ونقرأ من هذا النوع قول محمد هاشم رشيد فى المباهاة بموطن انبعاث الاسلام والسلام الى الارض فيقول :(١)

ففى أرضـــا كعبة الطائفيـــن

ومسجد طه الرسول الاميـــن

وفيهاالرياض تمـــد اليمـــين

براياتنا يستعـــز الســـلام

x x

بوحدتنا قد ضربنا المـــثل

ودستورنا خالد لم يـــزل

كما كان يرسم درب العمـــل

براياتنا يستعـز الســـلام

---

(١) ديوان محمد هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص (٩٧ — ٩٩) ط ١٣٩٧هـ

× ×

حملنا السلام لكل البشــــــر

بهدى الرسول ووحـــــى الســـور

وارث العروبة .. ارث الظفــــر

برایاتنا یستعـــز الســـــــلام

× ×

ان ماقيل عن أبيات القرشى السابقة ، يمكن أن يقال هنا عن أبيات هاشم رشيد ، فهى محافظة على البحر " المتقارب " ونظام تفعيلاته " فعولن فعولن فعولن فعولن " . ثم أنه جعل لكل أربع شطرات قافية وللشطرة الخامسة من كل مجموعة قافية ثابتة هى " الميم " فى كل مخمسة ، مع جعـــــل القافية فى الشطرات الاربع الاولى على حـــرف " النون " والثانية على حرف " اللام " والثالثة على حرف " الراء " وهكذا .

xxxxx xxxxx xxxxx

ومن الاشكال الجديدة ـ التى جاءت على نمط الموشحات (١) ـ من حيث بناؤها على مايشبه الاقفال والادوار فى الموشحة ـ مع وجود بعض الاخطاء والخروج على شروط الموشحة ، نقــرأ ـ مثلا ـ قول طاهر زمخشرى متغنيا بموطن القداسات :

منبع الاشراق صـــداح المـــــنى   يملأ الدنيـــاء ضياء ها هنـــا

والقداسات السخيـــات الهبـــات
منهل يجرى بفيض البركـــــــات

يعبر الاجيـــال من مـــاض لات   بالـهدى فاض نميرا من هنـــا

يغمر الدنيـــا جلالا وسنـــــــا

وهو ينساب دفوقـــا محسنـــــا

× × ×

مهبط الفرقان يا خير الرحـــــاب

أنت بالاشـــراق بســـام الروابـــى

الامانى البيض تهمى كالسحـــاب   بالـهدى بالحق يسرى من هنـــا

ينشر الخير حبورا وهنــــــــا

من ربى للديـــن قامت موطنـــــا

× × ×

من هنا الرايات صارت للجهـــــاد

وهى بالفرقان تدعو للرشـــــاد

حولها الابطال من كل جـــــواد   بالـهدى بالعدل نادوا من هنـــا

والصدى باق تحـدى الزمنـــــا

وتعدى كل آفاق الدنـــــا

فارشفى يانفس من نبـــع طهـــور

فاض بالاشعاع من سفـــح ثـــبير

لم يزل يروى على كر الدهـــــور — بالهدى — كل البرايا من هنـــا

xxxxx

ونقرأ من هذا النمط قول محمد هاشم رشيد فى الهيام بجبـــل " أحد " : (١)

لقيـــت كنـــز المعانى في صدرك الارجوانـــى

يارمز مجـــد من بلادى انتشـــر

ياجبلا يورق فيـــه الحجـــر

ويصدح الشوك به والزهـــر

xxxxx

ياجبلا أشعرني قربـــه
بأننى أسكن فى قلبـــه

واننى أترع من حبـــه

كأسى .. والقى الامانـــى فى صدرك الارجـــوانى

اذا التقينا وطوانى العبـــير

وعشـــت فى الحلم الكبير الكبـــير .

أحس يا " أحـــد " بقلبى يطـــير

---

(١) ديوان محمد هاشم رشيد (فى ظلال السماء) ص (١٠٤— ١٠٧) ط ١٣٩٧هـ

على ربوع المجـــــد والمكرمـــــات

على مغان الشوق والذكـــــــريات

على الربى الخضر بوادى قنـــــــاة

على سطور الزمـــــان   فى صدرك الارجـــــوانى

xxxxx

تضم يـــا " أحد " بلاد النـــبى

من شرقهـــا تمتد ..... للمغـــر ب

على شمال البلـــد الطيـــــــب

وكل معنى الحنـــــان   فى صدرك الارجـــــوانى

xxxxx

هنا على السفح المديد المــــــديد

ينام فى ظلك أزكى شهيـــــــــــد

وحوله كل همام ...... مجيـــــد

رأى طيوف الجنـــــان   فى صدرك الارجوانـــــى

xxxxx

ففى النموذجين السابقين لطاهـــر زمخشـــرى ومحمد هاشم رشيد ، نـــلاحظ مجىء المقطوعتين على هيئة الموشحة . فهما تبدآن ببيت مكون من شطرين ، على قافية معينة من بحـــر معين ، ثم تتكرر قافية البيت بعد عدة شطرات وهو مايعرف بالقفل فـــى

الموشحة ، وبعد كل بيت تأتى عدة شطرات متساوية التفعيلات ،مما يشبه الدور فى الموشحة

فمثلا الزمخشرى يبدأ القصيدة ببيت من شطرتين متساويتين فى عدد تفعيلاتهمـــــا " فاعلاتن فاعلاتن فاعلن " من بحر الرمل . وهـــو :

منبع الاشراق صـــداح المنى   يملأ الدنيا ضياء هـــا هنـــا

وهذا يشبه ــ فى الموشحة ــ المطلع أو المذهب . ثم يأتى بعد ذلك بشطرتين لهما قافية واحدة مخالفة لقافية المطلع ، وهما :

والقداسات السخيـــات السخيـــات الهبـــات

منهل يجرى بغيـــض البركـــــــــــــات

وهذا يقابل مايعرف بالدور فى الموشحـــة . ثم يكرر قافية المطلع بعد كل عدة شطرات على نمط أقفال الموشحة ، ثم ينهى القصيدة بالخرجـــة وهى آخـــر قفـــل فى الموشحة .

لكننا نجد بعض الاختلال فى نظـام الموشحة عند الزمخشرى ، فهو لايلتزم بعدد متساو من الشطرات أو الاسماط التى تسبق الاقفال مما يعرف بالادوار ، فالادوار فى الموشحـــة ينبغى أن تكون متساوية العـــدد . كذلك فهو لايلتزم بقافيـــة واحدة فى الدور الواحد ، بل ينوع القافية كقوله :

يغمـــر الدنيا جلالا وسنـــا

وهو ينساب دفوقا محسنـــا

مهبط الفرقان ياخير الرحـــاب

أنت بالاشراق بسام الروابـــــي

الاماني البيض تهمى كالسحـــــاب بالـهدى بالحق يسرى من هنـــــا

xxxx xxxx xxxx

أما محمد هاشم رشيد فانه الى جانب خروجه على الالتزام بالروى الواحد فى شطرات الادوار ، وعلى عدم الالتزام بقافية واحدة فى شطرات الدور الواحد . فانه لايلتزم ببحر واحد فى الاقفـــال والادوار ، فأقفاله من بحــــــــر " المجتث " مستفعلن فاعلاتن فى حين أن الادوار من بحر " السريع " مشطورة : مستفعلن مستفعلن فاعلن فى حين أنه ينبغى — فى الموشحة — أن تكون الاقفال والادوار من بحر واحد . يمكننا ملاحظة ذلـــــك فى قول محمد هاشم رشيد :

لقيت كنز المعانــــــى فى صدرك الاجـــوانى

فالبيت من بحر " المجتث "

يارمز حب من بلادى انتشــــر

يا جبلا يورق فيه الحجــــــــر ...الخ .

فهما من مشطور " السريع " . مستفعلن مستفعلن فاعلن .

xxxxx xxxxx xxxxx

وقد سرت الى بعض شعراء المملكة ريح التجديد ، التى هبت على بعض بيئات الادب العربى ، التى خرج بعض شعرائها على نظام الاوزان التقليدية المأثورة ، واصطنعوا مـــا

يسمونه ((الشعر الحـــــر) أو ((شعر التفعيلـــــة)) • ولقد أراد بعض شعــــراء المملكة بهذا الاتجـــاه مجاراة هذه الحركات التجديدية عند المهاجرين وغيرهم من شعراء مصـــر والشام والعراق •• كما نجد ذلك فى قصيدة محمد حسن عواد ، التى يبارك فيها كفاح الجزائر المسلمة ضد الاستعمار فيقول : (١)

فالتحيات اليها ••
والتهانى •
ويد الله عليها •
بالامانى •
والهدى فى كل سيف وسنان •
فى يد الامة والجيش المثابر •
فعلى اسم الله سيرى ياجزائر •

× × ×

هذه الامـــة
من أين أتاها •
ذلك الايمان فى كل خطاها ؟
شيخها يكرع منه وفتاها •
فمشى فى منتهاها ، مبتداها •
انه دين كفاح وحميــــة
وتباشير حياة عربيـــة
فعلى اسم الله سيرى ياجزائر

× × ×

---

(١) ديوان العواد ــ الجزء الثانى ص (١٠٦ ــ ١٠٨) ط دار العالم العربى

انه دين الهى يقول :

" قاتلوا ...."

" لاتهنـــــوا .."

" لاتعتدوا ..."

ان قوما جاهدوا قد أفلحـــــوا

ويرى التعذيب قوم مردوا .

لكم العز .

لكم قصد السبيل .

اجنحوا للسلم ان هم جنحوا

" لا تخافوهم وخافونى ..."

ولا يحرج المرضى اذا ما نصحــــوا

كلمات الله فى قرآنـــه .

لبنى الدنيـــا

وليست للعرب .

ترجموها بلغات أجنبية

وانشروها .

انها لب الادب

ففى هذا الشكل نرى أن الشاعر خرج على النظام المألوف فى شكل القصيدة العربية ، فقد تحرر الشاعر من القافية الواحدة ، وألغى بناء الابيات على شطرتين متساويتين فى

تفعيلاتـهما • واعتمد ماعرف بشعر التفعيلة الواحدة حيث نجد الابيات تتفاوت فى عدد تفعيلاتـها فتارة يتكون البيت من تفعيلة واحدة كما فى البيت الثانى " والتهانى " فاعلاتـــن ، وأخرى يتكون من تفعيلتين ، كما فى البيت الاول " فالتحيات اليـها " فاعلاتن ، فعلاتن ، فى حين نجد الابيات (٥ ، ٦ ، ٧) على ثلاث تفعيلات •

" والـهوى فى كل سيف وسنان "   فاعلاتن ، فاعلاتن ، فعلاتن

• " فى يد الامة والجيش المثابر "   فاعلاتن ، فعلاتن ، فاعلاتن

" فعلى اسم الله سيرى ياجزائر"   فعلاتن ، فاعلاتن ، فاعلاتن

وهكذا نجد أن الاعتماد فى مثل هذا الشعر على التفعيلة ، ونجد التحرر من القافية ، ونظام الشطرتين المتساويتين فى البيت •

xxxxx xxxxx xxxxx

ونقرأ كذلك من هذا اللون من الاشكال الجديدة المتحررة ، قول حسن عبد الله القرشى يرثى واقع أمته الاسلامية ، ويبكى ضياع مقدساة المسلمين فى فلسطين : (١)

رفعت كفى للسماء •

فى فورة من الاسى ، فى غاشيات من شقاء •

رباه •• يامـــــذل كل الاقويـــــاء •

يامانح العطف لكل الابرياء •

موج الظلام لفّنـــــــــا •

---

(١) ديوان حسن عبد الله القرشى ـ المجلد الثانى ص (٦٣٨ ـ ٦٤١) ط الثانية دار العودة

و " القدس " أضحى ضيعة لـ " تل أبيب " .

أهكذا رباه " بيت المقدس " ؟

مسرى رسولك الامين

يلهو به جرذان " صهيون " ولا معين .

يضيع فى الضباب والعباب

رهن حقد الظالمين ؟

رفعت كفى للسماء

اذا أظلنى المساء .

أظلنى وهو يطل فى بكاء

أطل من عيون الوالهات المطفلات

فلم تعد تلك العيون تغزل الحنان

أطفأها تجمد الدمع الخؤون

ولم يعد فيها بريق ذكريات

واصفر وجه القمر الحزين

فلا قمر .

يشعشع الضوء ، يداعب الزهر

رباه حقا ضاعت الضفاف

رفعت كفى للسماء

لمستجيب للنداء

لكننى اشفقت من معنى الدعاء

فنحن لسنا أكفياء

حتى لكى نرفع لله الدعاء

فالله لاينصر غير الاتقياء

ينصر من لايستكين

ينصر من ينصره فى الصامدين

ينصر غير منخوب الفؤاد (١)

غير ضائع اليقين

هذه القصيدة للقرشى من نوع الشعر الحر ، أو شعر التفعيلة ، اذ نلاحظ أن القرشى تحرر من القافية ، ونظام الاوزان المألوفة فى القصيدة العربية ،واعتمد على تفعيلة واحدة هى " مستفعلن " مع مايدخلها من " الخبن " وبنى الابيات عليها ، مع تغير عددها من بيت لاخر ، فهى — مثلا — فى البيت الاول تكررت مرتين :

" رفعت كفى للسماء " مستفعلن ، مستفعلن

وفى البيت الثانى تكررت أربع مرات :

" فى فورة من الاسى ، فى غاشيات من شقاء " مستفعلن ،متفعلن ، مستفعلن ، مستفعلن

وفى البيت الثالث تتكرر ثلاث مرات :

" رباه يامذل كل الاقوياء " مستفعلن ، متفعلن ، مستفعلن

وهكذا ندرك مدى تحقق تسمية هذا النوع بالشعر الحر أو شعر التفعيلة

أعلام المجـــــــددين :

قلنا من قبل ، أن التجديد فى القوالب لم يدخل أشكال الشعر الاسلامى كلها ، ولم يأت عليه كل الشعراء الذين اتجهوا هذا الاتجاه الاسلامى فى أشعارهم ، بل هناك عدد من الشعراء السعوديين المحدثين ، الذين أثروا الاتجاه الاسلامى بشعرهم ، هم الذين تقبلوا هذا النوع من الاشكال الحديثة فى الشعـــــر .

ومن أبرز الشعراء المجددين ــ فى اطار الشعر الاسلامى ــ محمد هاشم رشيد وحسن عبد الله القرشى .

وقوالب محمد هاشم رشيد تغلب عليها سمات السهولة والسلاسة فى تراكيب شعره ، والرقة فى ألفاظه ، والاشراقة فى ديباجته . يستوى فى ذلك شعره ذو الاشكال التقليدية ، وما دخل التجديد أشكاله وأطره .

xxxxx

والتجديد عند محمد هاشم رشيد جاء على نمطين :

الاول : تحرر فيه الشاعر من قيد القافية الواحدة فى القصيدة فجاءت بعض قصائده الاسلامية على شكل مقطعات ، قد تتألف من بيتين أو أكثر ، يلتزم فى كل مقطعـــــة قافية واحدة ، مع محافظة الشاعر على التزام بحر واحد فى القصيدة كلها ، ومع بناء البيت على شطرين متساويين فى عدد التفعيلات ، كالمزدوج ، والمربع اللذين ذكرناهما فى " مظاهر التجديد فى القوالب "(١) .

---

(١) انظـــــر ص (١٦٣)

ونقرأ من الشكل الذى عرف بالمربع ــ عند محمد هاشم رشيد قوله (١) :

رباه ها نحن جئنا بعد أن عصفــــت ... بنا النوى وتزودنا من الامـــل
وكل جارحة ــ فينا ــ مكـــبرة ... مأخوذة بجـــلال الموقف الجـلل
وقد وقفنا بظل البيت فى ولـــه ... والبيت بيتك فاصفح عن ذوى الزلـل
وامنن علينا بأن نحيا على سنــن ... من الشريعة يردى كل ذى دخـــل
رباه ياخالق الاكوان نحن هنـــا ... نسعى كما سعت الاسلاف من قـــدم
لم نختلف صورة عنهم وان عبثـــت ... بنا السنون .. فعشنا فى دجى الظلـم
ولم نعد أمة ــ كالامس ــ واحـــدة ... لكننا أمم تعـــزى الى أمـــم
لم تجتمع قط حتى فى مبادئهـــا ... الا اذا جمعتها ساحـــة الحـــرم
وتلك نكبتنا الكبرى فما ارتفعـــت ... راياتنا حين أمست بضـــع رايـــات
ولم تعد راية شماء واحــــدة ... تضم فى ظلهـــا أسمى الحضـــارات
وتستظل بها الدنيا .. بأجمعـــها ... على موحد أهداف وغايـــات
شعارها هدف أمسى يوحدنــــا ... فى ظل بيتك يارب السمـــاوات

فى القصيدة السابقة .. نجد محمد هاشم رشيد تحـــرر من قيد القافية الواحدة فجاءت فى المجموعة الاولى على حـــرف " اللام " وجاءت فى الثانية على حرف " الميم "

وفى الثالثة على حرف " التـــاء " . لكن الشاعر وان تحرر من قيد القافيـــــة الواحدة فى كل القصيدة ــ بقى محافظا على التزام البحر الواحد ،

---

(١) ديوان محمد هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص (١٣٥ ــ ١٣٨) ط ١٣٩٧هـ

وبناء كل بيت على شطرين متساويين فى عدد تفعيلاتهما . وهذا النوع من التجديد هو ما يمكن أن يوصف بأنه جمع بين المحافظة والتجديد ، حيث أخذ من الجديد تعدد القوافى ، ومن القديم التزام البحـــر والتشطير فى كل القصيدة .

ويمكن أن نقول هنا : أن محمد هاشم رشيد احتفظ ــ فى اختيار قوالبــــــــه ــ بسماته المميزة لاغلب شعره ، وهى السهولة فى التراكيب والرقة فى الالفاظ .

وفى الابيات السابقة يمكن أن ندلل على تراكيبه السهلة بقوله " تزودنـــــــا من الامل " " وقفنا بظل البيت فى وله " " جمعتها ساحة الحرم " تضم فى ظلهـــــا أسمى الحضارات " وغيرها . كذلك يمكن أن ندلل على ألفاظه الرقيقة بمثل " الامل ، ظل ، تستظل ، وله ، صورة "

xxxxx

الثانى : جاء على هيئة الموشحات ، من حيث اعتمادة فيه على مايشبه الاقفال والاغصان وقد كثر هذا النوع من التجديد فى الشكل عند محمد هاشم رشيد .

نقرأ له مثلا ــ من هذا الشكل قوله (١) :

بأشواقى .. بآلامـــــــى بحرقة قلبى الدامـــــى

وقفت وشافعى وجــــــــــدى

على الاعتاب أستجــــــــــدى

نداك ولم أكـــــن وحــــــدى

---

(١) ديوان محمد هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص (١١٦ –١١٧) ط ١٣٩٧هـ

ففضلك واسع طـــــام   يروى المدنف الظامـــى

xxxxx

بآهات المحببينـــــا   وتسبيح المصلينـــــــا

وقفت بذلة الخاشـــــع

وقوف المشفق الضـــارع

فأنت المانح المانــــع

وفيض نداك يروينـــا   وينعشنـــا ويحيينـــا

وما قلناه عن قوالب الشاعر في الابيات السابقة ، يمكن أن يتضح هنا . فمحمد هاشم رشيد يختار السهل السلس من التراكيب كما فى قوله :

" بأشواقى بآلامى " " بحرقة قلبى الدامى " " فضلك واسع طـــام " " يروى المدنف الظامى " " بآهات المحببينـــا " " وتسبيح المصلينــــا " " وفيض نداك يروينا " ، ألا تدرك مدى سلاسة هذه التراكيب ، وبعدها عن التعقيد ، وجودة بنائها العام .

كذلك يختار الشاعر الالفاظ الرقيقة الموحية كألفاظ " أشواقى ، وجدى ، نداك ، يروى ، المدنف ، الظامى ، المحبينا ، المصلينا ، يروينـــا ، يحيينا ، " فهى ألفاظ رقيقة ، مناسبة للمعنى والغرض ، ورغم توخى الشاعر السهولة فى التراكيب ، والرقة فى الالفاظ ، فلا تجد تركيبا ضعيفا ، أو لفظة عامية أو شائعة الاستعمال .. وهذا ما يجعلنا نقول : ان أشكال محمد هاشم رشيد الجديدة ظلت محتفظة بسمات الشاعر ، واتجاهـــه فى اختيار الرقيق السهل من القوالب .

xxxxx xxxxx xxxxx xxxxx

وحسن عبد الله القرشى يعتبر من رواد تجديد الشكل فى الشعر السعودى الحديث وقد دخل التجديد معظم أشكال شعره ، ومنه الشعر ذو الاتجاه الاسلامى ، الذى نحن بصدد دراسته .

ويمكننا تبين ذلك من خلال بعض النماذج التى سوف نعرضها. نقرأ الابيات التالية للقرشى من قصيدة يدعو فيها الى الكفاح من أجل فلسطين المحتلة ، وما فيها من مقدسات اسلامية انتهك اليهود حرماتها ، وعاثوا فيها الفساد ، ويشيد فيها بعزيمة المسلمين ، وقد جاءت على النمط الذى عرف بالمزدوج(١) يقول : (٢)

حى فتى يعرب عهد الكفـــــاح | واسترخص النفس لحر النضـــــال
واشرع الى صدر العدو الســـــلاح | منطلقا من عزمـــــات الرجـــــال

xxxxx

القدس تدعوك فلا تنـــــثنى | الا وللنصـــــر رؤى ظافـــــرة
واحشد له من صولة المـــــؤمن | مايتحدى الفئـــــة الكافـــــرة

xxxxx

فانما النصر قريب .. قريـــــب | اذا مضينا أمـــــة واحـــــدة
وكلنا ليث حمىً غضـــــوب | يأنف ذل العيشة الراكـــــدة

xxxxx

---

(١) انظـــــر ص (١٦٣)
(٢) ديوان حسن القرشى ـ المجلد الثانى ص (٣٢٨ ــ ٣٣١) ط الثانية دار العودة

القدس كم ـ فوق ثراهـــــا دم قد طله العادى الكفور الخـــوءون

وكم شجاها البغى من مجـــرم لما يبالى غضبة الثائريـــن

xxxxx

لا .. لن ينام العرب مهما بـــدت طلائع للشـــر تستكـــبر

وعصبة الباغين مهمـــا عتـــت فالله ـ من سطوتها ـ أكـــبر

xxxxx

لا تحسبوا أن رنين القيـــود غير نذير بصليـــل السيـــوف

ستعرف الدنيا بأنـــا أســـود نسترجع الحق برغـــم الحتـــوف

xxxxx

ويبدو التجديد ـ فى القوالب هنا ـ فى تحـــرر الشاعر من القافية الواحدة فقد جعل لكل بيتين قافية معينة ، فهى فى البيتين الاولين " اللام " وفى اللذين يليانهما " الـــراء " وهكذا ..

لكننا نلاحظ محافظة الشاعر على التزام البحر فى كل القصيـــدة ، وكذلك بنا كل بيت على شطرين متساويين فى عدد تفعيلاتهما .

وفى هذه القصيدة نلاحظ أن القرشى اختار تراكيب قوية جزلة ، وألفاظا فخمـــة، وجاءت هذه القوة والجزالة والفخامة مناسبة للغـــرض والمعانى . فالشاعر غاضب من الاحتلال الغاشم لفلسطين ، ومابها من مقدسات المسلمين ، ويحاول بعث الروح القتالية فى نفوس أبناء الامة الاسلامية ، لتخليص أراضيهم وتطهير مقدساتهم . فنجده ينتقى تراكيب قوية

جزله مثل " حى عهد الكفاح " " حر النضال " " صولة الموءمن " " ليث حمى غضوب " " العادى الكفور الخوءون " " لما يبالى غضبة الثائرين " " نذيـــــر بصليل السيوف " " نسترجع الحق برغم الحتوف " ، فهذه التراكيب ــ وغيرها ــ تلمس فيها القوة والجزالة كما نجده يختار من الالفاظ الفخمـــــة " الكفاح ، النضال ، أحشـــد ، صولـــه ، غضوب ، الخوءون ، شجاها ، غضبة ، عصبة ، الحتوف " • وليس معنى اختيار القرشى للقوى الجزل من التراكيب ، والفخم من الالفاظ ــ الصعوبة والاستغلاق ، فأنت لاتجد تركيبا متوعرا ، أو لفظة حوشية • بل انه اختيار مايناسب الغرض والمعنى ، مـــع احكـــــام تام للصياغة ، ومتانة فى البناء العام للقوالب •

ونقرأ ــ من الاشكال الجديدة عند القرشى ــ الجزء التالى من نشيد العروبة ، حيث يقول الشاعر : (١)

قبس للحق قد شع وضاء ••

هو فى الارض تباشير السماء

سكبت للكون عطر ورواء

ونشيدا مستفزا للاخاء

فاسلمى للمجد دنيا العرب

نحن أبناء المعالى من قديم

صرحنا مستوطن مسرى النجوم

هازىء فى الروع بالباغى الاثيم

---

(١) ديوان حسن عبد الله القرشى " المجلد الاول " ص (٣٣٢ــ ٣٣٣) ط الثانية دار العودة

هاتف فى نبرة الجرس الرخيم
اسلمى للمجد دنيا العرب

من روابينا هفا نور النبوة

ملوءه هدى وايمان وقوة

غمر الدنيا حنانا وأبوة

يالنور ترتشف الروح سموه
فاسلمى للمجد دنيا العرب

ديننا مستجمع عزا وجاه

وسلاما واعتصاما بالاله

ان عرا الخطب تبارينا يداه

ليس نخشى (الذر) فى أعتى قواه
فاسلمى للمجد دنيا العرب

xxxxxxxxxx

ففى هذا النشيد الاسلامى ، نجد أشكال القرشى جاءت على هيئة ماعرف بالمخمسات وهى أن يوءتى بأربع شطرات متساوية التفاعيل ، وعلى قافية واحدة ، ثم يوءتى بشطرة خامسة على قافية مختلفة عن الاربع الاول ، ثم تلتزم هذه القافية الاخيرة فى الشطرة الخامسة من كل مخمسة .

وهكذا نجد أن القرشى جاء بأربع شطرات ـ فى أول النشيد ـ على قافية واحدة هى " الالف الممدودة " ثم جاء بالشطرة الخامسة على قافية أخرى هى " الباء " ، ثم

التزم هذه القافية الاخيرة فى الشطرة الخامسة من كل مجموعـــــة .

وتبدو قوالب الابيات السابقة قوية محكمة الصياغة ، فمجيئها على هذا النمط من الاشكال لم يضعف بنيتها ، كما هى سمة قوالب شعر القرشى . ويمكننا ادراك قوة التراكيب فى مثل قوله : " قبس للحق قد شع " " نشيدا مستفزا للاخاء " " صرحنا مستوطن مسرى النجوم " " هازىء فى الروع بالباغى الاثيم " " ان عـــرا الخطب بتبارينا يداه " وغير ذلك من التراكيب التى احتفظ فيهـــا الشاعر بقوة التأليف مع تغير الشكل .

ومع قوة التراكيب ، وحسن صياغتها ، تجد السهولة بادية فيها ، فلا تجـــد تركيبا صعبا أو لفظة حوشية متوعرة . اقرأ مثلا قوله :

من روابينا هفا نور النبوة

ملوءه هدى وايمان وقوة

غمر الدنيا حنانا .. وأبوة

بالنور ترشف الروح سموه

انه منتهى السهولة كما يبدو ، فالقرشى يختار فى قوالبه السهل السلـــــــس ، الذى لا يضعف ولا يصعب .

xxxxx

ومن أمثلة تجديد القرشى فى القوالب أو الاشكال ، فى شعــــر الاتجاه الاسلامى قوله متألما لما حدث فى " زنجبار " حيث طمست فيها معالم الاسلام بعد أن كانت احدى قواعده فى شرق افريقيــــا يقول القرشى :(١)

(١) ديوان حسن عبد الله القرشى المجلد الثانى ص (٢٧٧ – ٢٧٩) ط الثانية دارالعودة

زنجبار ..

أى دمع ..؟

لست آلوه انهمالا ..

وانهمارا ؟

ذكرتنى سطوة (الزنج) ..

على (البصرة) حينا ..

حين ثاروا مهطعينـــا ..

حين هبوا جاحدينا ..

اعملوا السيف ..

فلم يرعوا خدينا ..

وسبوا فيها النســـاء ..

أيتمــوا الاطفال ..

لما يرحموا ثم قطينـــا ..

نشروا الذعر بها ..

والبؤس فى كل مكان ..

وهمو فى زنجبار

فى تضاعيف ظلام ..

أو نهار ..

قد أضاعوا مابنيناه سنينا ..

قوضوا ماشاده العرب مكينا ..

من ثقافات ..

وأخلاق ..

ومن رعيا جوار

وحضارات وإسلام ..

وهدى وفخار..

اى ذل ؟

أى عار ؟

زنجبار ..

أذكروها ..

أذكروا بالله هايتك الجزيرة

اذكروها .

رهن الام كثيرة

هى كانت فيض اشعاع

وأحلام كبيرة ، أترى ترجع ايامى بها ؟

يدنو السعود ؟

أترى يسطع للاسلام نور ؟

فى رباها ويعود ؟

أترى يلتئم الشمل بها ؟

شملى البديد ؟

أم تراها قد أضيعت ؟

دونما عود حميد ؟

واحتواها من عتاة الزنج ..

قرصان بليد ؟؟

هذه القصيدة جاءت على مايسمى بشعر التفعيلة أو الشعر الحر فهى على " فاعلاتن " مع ما يدخلها من الزحاف ، وهذا ــ لاشك ــ شكل جديد فى الشعر العربى . والقرشى ــ كما أسلفنا ــ من أبرز رواد التجديد فى الشكل فى الشعر السعودى

ونلاحظ فى قوالب القصيدة أن الشاعر يختار القوى من التراكيب ، لكنه اختيار لايجنح الى الصعوبة أو التوعر ، فأنت تقرأ قوله ــ مثلا ــ :

وهمو فى زنجبار ..

وهمو فى زنجبار ..

فى تضاعيف ظلام

أو نهار

قد أضاعوا مابنيناه سنينا

قوضوا ماشاده العرب مكينا

من ثقافات

وأخلاق

ومن رعيا جوار

وحضارات واسلام

وهدى وفخار

فتحس أن أسلوب الشاعر محكم البناء ، لاينتابه الضعف ، ولا تدخل فيه الالفاظ العامية . كذلك تحس السهولة فى التراكيب المختارة ، مع احتفاظها بقوتها وجودة سبكها .

xxxxxx

ويمكننا — الان — بعد ذلك العرض العام لاشكال وقوالب الشعر الاسلامى عند الشعراء السعوديين المحدثين — أن نجمل القول فى هذا الفصل على النحو التالى :

أولا : تفاوتت قوالب الشعراء من حيث السهولة والرقة والفخامة والجزالة ، نتيجة لتفاوت قدرتهم على الاختيار والانتقاء من ألفاظ اللغة ، ومن حيث احتفال

بعضهم بنتاج الاقدمين ، وتأثرهم بهم ، دون البعض الاخر ، فجاءت ألفاظ بعضهم سهلة مستمدة من روح العصر ، وجاءت ألفاظ البعض الاخر رقيقة ناعمة ، مناسبة لرقة المعانى المطروقة ، وجاءت ألفاظ آخرين قوية فخمة نتيجة حصيلتهم اللغوية وقراءتهم لاثار الاقدمين ، وكثرة محفوظهم من شعر شعراء العربية فى عصورها الاولى .

ثانيا : كان أغلب الانتاج - فى الشعر الاسلامى - يسير فى أشكاله على المألوف المأثور عن شعراء العربية الاقدمين ، من حيث المحافظة على القافية الواحدة فى العمل الشعرى الواحد ، والتزام البحور المعروفة والمحافظة على أوزانها ، وتقسيم البيت الى شطرتين متساويتين فى عدد تفعيلاتهما .

ثالثا : حاول بعض الشعراء السعوديين ادخال بعض التغييرات على أشكال شعرهم - كما حدث عند غيرهم - مع المحافظة على نظام البحور المأثورة وأوزانها وتفعيلاتها ، فعمدوا الى تغيير نظام القافية ، وعدم التزامها فى العمل الشعرى الواحد ، فجاءت بعض أشكال شعرهم على هيئة ماعرف بالمزدوج ، والمربع ، والمخمس ، والموشحة .

رابعا : أثرت حركة التجديد فى أشكال الشعر - والتى ظهرت على أيدى الشعراء المهاجرين ، ثم احتذاها شعراء مصر والشام والعراق - على بعض الشعراء السعوديين ، فحاولوا تقليد شعراء مصر والشام والعراق

، فنظموا قصائـــد من الشعـــر الذى عرف " بالشعـــر الحـــــــر "

أو " شعر التفعيلـــة " .

خامسا : يعتبر محمد بن عثيمين و عبد الله بن خميس من أعلام الشعراء السعوديين

المحدثين ، الذين حافظوا على الشكل القديم للقصيدة العربية فى جميع انتاجهم

الشعرى ، ومنه الشعر الاسلامى . كما يعتبر محمد هاشم رشيـــد وحسن القرشى

من أعلام المجددين فى أشكال شعرهم بعـــامة ، وشعرهم الاسلامى بخاصة .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^^

‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡:

الفصل الرابع

معاني الشعر الإسلامي

وبعد دراستنا لمباني شعر هذا الاتجاه الاسلامي ،وقوالبه وأشكاله ، وشعرائه المحافظين والمجددين ، نتحدث عن معاني هذا الشعر .

وهذه المعاني منها ماهو قديم يستمد من أصول الاسلام ومعاني القرآن ومنها ماهو جديد بما عالج من موضوعات جديدة ، لم يكن لها وجود في العصور الأولى .

* * *

واذا حاولنا أن تتتبع معاني الشعر الاسلامي عند الشعراء السعوديين المعاصرين وجدنا أن أكثرهم يغلب عليه التأثر بالمعاني الاسلامية المأثورة ، كوصف الحج واجتماع المسلمين فيه من كل فج عميق ، واغتباط الأمة الاسلامية بإطلالة شهر رمضان المبارك ووصف أثر الدعوة الاسلامية على الحياة ، والاشادة بماضي الأمة الاسلامية ،وما كانت عليه من قوة وعزة ، الى جانب استيحاء كثير من المعاني القرآنية ، والمعاني الاسلامية كالشجاعة والفداء والتضحية في سبيل الأمة الاسلامية .

* * *

ففي وصف الحج ، وتجمع المسلمين فيه من قاص ودان ، رجالا وركبانا نقرأ قول أحمد الغزاوى الذى يعتبر الشاعر الأول لهذه المناسبة من الشعراء السعوديين المعاصرين : (١)

حيّ الوفود تلوذ بالرحمن   بالطيّب فواحا وبالريحان

---

(١) - مجلة المنهل ص (١٣) عدد محرم وصفر سنة ١٣٩٣ هـ .

حيّ التقاة الناسكين تصافحوا　　من كلّ قاص في الورى أو دان

الأرض تهتف والسماء جميعها　　لله بالتوحيد والاذعان

للقاهر الجبار جلّ جلاله　　والغافر المتطوّل المنان

لبّى له المتبتلون وأقبلوا　　يتسابقون اليه بالاذعان

وتجردوا من كل ماهو زائل　　حتما .. ومن درن الحطام الغاني

ماهمهم الا ابتغاء رضائه　　في السرّ يعلمه وفي الاعلان

فكأنما الدنيا بهم في مكة　　جمعت ببيت الله ذى الاركان

طوبى لهم .. وبهم يباهي ربهم　　أملاكه ويجود بالغفران

* * *

ان المعاني -كما نرى- تدور حول وصف الحج ، وامتلاء شعاب مكة بزمر الحجاج غادين ورائحين ، جمعهم هدف واحد وغاية واحدة. وهي معاني لايخفى على القارىء تأثر صاحبها بسابقيه .

* * *

ومثل هذه المعاني التي تصور الحج ، فتدور معانيها حول معاني الشعراء السابقين من وصف جموع الحجيج ، ومواكبهم الظاهرة ، وقد توحدت غايتهم وظاهرهم وباطنهم - نجدها

في قول الشاعر طاهرزمخشرى : ((١)

يا الهـا لرحبـه قد قصدنا   وحططنا الرّحـال في الاسـراء

٣ لعلاك الذى تجلّى بمرآك   وسدّ الفضـاء بالأضـواء

٤ بمعاني الجلال فيـك وبالقـدس   ومافيه من سنا وسنـاء

في صعيد به المشاعر ضجّت   بوفـود تناثرت في الفضـاء

في صعيد به المواكب طافت   لمّها الطهر في الشفاف الوضاء

في صعيد به المآزر بيض   حاكهـا الحبّ من نسيج الصفاء

في صعيد به الجموع تلاقت   في نداء مجلجل الأصـداء

٩ في صعيد به العيون التي تذرف   تندى بذلـة استجداء

١٠ تسأل المغفرة ، والشوقات نحيـرا يمدنا بالرخـاء

* * *

ان معاني الأبيات ـ كما أسلفنا ـ تدور حول وصف الحج وما يصاحبه من صفاء روحي ، وما يستلزمه من توحيد اللبـاس ، وتوحد الزمان والمكان اللذين ينتقل فيهما الحجاج .

ولا شك أن الشاعر متأثر في معانيـه ـ بمعاني القدماء من شعراء الاسلام .

---

(١) ـ ديوان طاهر زمخشرى " الشراع الرفّاف " ص (١٤ ، ١٥)

واذا مضينا في دراسة المعاني في هذا الشعر ، والتي تناولت وصف
هذه المناسبة سنجد أنها معاني تتكرر عند الشعراء السعوديين .
فنقرأ قول زاهر الألمعي في الحج. نجد تلك المعاني التي أوردها أحمد الغزاوى
وطاهر زمخشرى والتي تأثروا فيها - كما قلنا - بمن سبقهم يقول (١)

أحجّاج بيت الله بورك سعيكم   وعدتم الى أوطانكم سادة نجبا
فأنتم ضيوف الله والضيف مكرم   وقد كشف المولى لأضيافه الحجبا
وما أروع الأيام ان زانها التقى   وأضحت مساعي القوم محمودة العقبى
ففي نعمة الله الرضيّة حلّقت   نفوس الى عليائها تنشد القربى
وقد عمّها المولى بسابغ فضله   ورحمة ربّ الكون هتّانة سحبا
فقد وقف الحجاج في كل مشعر   يلبّون للرحمن يدعونه ربّا
تلبي له من كل فرد جوانح   وتملأ بالأذكار مقولها الرّطبا
وقد جمع الله القلوب عزيزة   على عرفات الله فامتلأت حبا
فأضحت كبنيان ثباتا وقوة   وقد جدّدت ايمانها صادقا صلبا

---

(١) - ديوان زاهر الألمعي " على درب الجهاد " ص (٧٧ ، ٧٨)
ط ١٤٠٠ هـ .

فمعاني زاهر الألمعي في الأبيات لا تحتاج الى أن نقول عنها انها معاني السابقين ، تناول بها الشاعر وصف تلك المناسبة الاسلامية الكبرى (الحج) فجاء على وصف تجمع الحجيج في عرفات الله وفي كل مشعر ، ملبين منيبين الى الله ، يطمعون في الاياب بفيض رحمته وغفرانه .

* * *

وكما تأثر الشعراء السعوديون - بمعاني سابقيهم في وصف الحج - تأثروا كذلك بمعانيهم واستوحوها في تناولهم لوصف شهر رمضان المبارك والتعبير عن الفرحة التي تعم المسلمين في هذه المناسبة الطيبة التي يستقبلها المسلمون كل عام ، فتدور معانيهم حول تطلع المسلمين الى إطلالة ذلك الشهر الكريم ، وما يتجدد في النفوس من حبّ العبادة والاستكثار منها لكون هذا الشهر مظنّة المغفرة والرحمة .

* * *

فاذا قرأنا قول محمد السليمان الشبل - في هذا الصدد - لمسنا أنه متأثر بالمعاني الاسلامية التي عبر بها من سبقوه عن هذه المناسبة الخالدة يقول : (١)

كم ذا الى الشهر الكريم تطلعت كل القلوب
واستمطرت من ربها الغفران بالدّمع السكوب

(١) - ديوان محمد الشبل "نداء السحر" ص (٦١ ، ٦٢) ط مطابع الفرزدق ١٣٩٩هـ

وأتت بكل مشاعر التقوى لعلام الغيوب

فاذا بها في نشوة الآمال تطمع أن يتوب

واذا بها في صحوة الآثام تفزعها الذنوب

الى أن يقول :

قد جئت ياشهر الصيام فذكّر النفس العليلة

بالموئمنين الأولين تسابقوا نحو الفضيلة

وهفت جوارحهم الى الرحمن خاشعة ذليلة

يارب وافتح باب عفوك في مواسمك الجميلة

وابعث لمن ضل السبيل هدى يضيء له سبيله

ان معاني الأبيات تعرض تلّهف النفوس الموئمنة وتطلعها الى حلول شهر رمضان ، ذلك الشهر الذى ترتفع فيه النفوس بطهرها وشفافيتها عن حطام الدنيا ، وتقلع فيه عن المعاصي والآثام ، ذلك الشهر الذى يحمل الذكرى الطيبة للموئمنين الأولين الذين قدروا الله حق قدره .

هذه المعاني ليست مستحدثة في هذا المجال ، بل تناولها الشعراء الاسلاميون السابقون الذين تأثر الشعراء السعوديون بمعانيهم .

وهذا شاعر آخر هو فؤاد شاكر ، يتحدث عن رمضان المبارك ، فتدور معانيه حول دعوة المسلم الى تطهير نفسه في هذا الشهر ، الذى يجلى مظهر الوحدة الاسلامية في الصوم في نهاره والقيام في ليله وهو صورة من صور المساواة بين المسلمين فيقول : (١)

جاء شهر الصيام بالبينات فاستمع فيه مصغيا للعظات
واخفض الرأس للجلال وطهر هذه النفس من شرور الحياة
طهر النفس فالهدى قد دعاها وهو للراشدين خير الدعاة
قد حبى الله أمة الدين شهرا بجزيل الثواب والحسنات
جمع الصوم كل معنى نقي جرد النفس من هوى الشهوات
أى شهر هذا الذى أنزل الله لنا البر فيه بالطاعات
جمع المسلمين فيه مساواة من الله في شؤون الحياة
فاذا الكل صائما في خشوع واذا الكل طاويا في أناة

ولا شك أن معاني فؤاد شاكر هي معاني سابقيه من الشعراء ، القدماء والمحدثين ، الذين تناولوا وصف هذه المناسبة الاسلامية .

---

(١) ـ ديوان فؤاد شاكر (وحي الفؤاد) ص (١٤٠) ط الثالثة .

وهكذا يستمر تأثر الشعراء السعوديين المحدثين بمعاني سابقيهم في مختلف المناسبات الاسلامية التي وصفوها .

فنقرأ قول ضياء الدين رجب مبينا الأثر الواضح الذى أحدثته الدعوة الاسلامية على يد الهادى الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقول : (١)

يا من رأى مجد السماء ونوره مزنا تضاحك في أسرة أحمد
ورأى الكواكب والنجوم تألقت بجبينه المتشعشع المتوقد
فالرحمة الكبرى تغرد في يد ونبوة الأمجاد تسطع في يد
واذا العوالم غاية ووسيلة موصولتان بسرّه المتجدّد
تروى الخلائق للخلائق مشهدا عجبا تعلق يومه بضحى الغد
هدف العظائم في العظيم رسالة هان الفداء بها وعزّ المفتدى
ومضى بها نور اليقين يصونها هاد أمين لا يضيق بمهتدى
بالحكمة المثلى سلاح جهاده لا باللجاج ولا بحدّ مهنّد

* * *

ان معاني ضياء الدين رجب معاني مألوفة عند سابقيه من الشعراء ، فهي تدور حول بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسالته العظمى التي أخرجت الناس من الظلمات الى النور وهي معاني اسلامية صاحبت ولادة هذه الدعوة واستمرت الى الآن ، يتداولها الشعراء الاسلاميون عصرا بعد عصر .

---

(١) - بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، المجلد الأول ص (٢٦١) .

وحول نفس المعاني تدور الأبيات التالية لأحمد قنديل ، والتي يتحدث فيها عن سمّو الرسالة الاسلامية ، وسمّو المرسل بها صلى الله عليه وسلم ، وكيف صمد في وجه الشرك والضلال والأهواء فيقول : (١)

أنت يارب قد أردت فقدرت لخير الأنام خير هداها
فاصطفيت المختار من صان ، من بلّغ أغلى رسالة أدّاها
وابتعث القويم في الحق .. ماحاد عن الحق وجهة واتجاها
الأمين الذى اجتبيت .. وأعليت ، فأعلى قدر الأمانة جاهها
ورسول الهدى منار سلام صارعته الأهواء .. هان هواها
ونبيّ التّقى دعائم كون زلزلته الأجيال ما أغواها

* * *

فالمعاني - كما نرى - قديمة في الثناء على رسالة الاسلام ، واصطفاء رسولها صلى الله عليه وسلم ، وتفرده بصفات حميدة كالأمانة والدعوة الى السلام ، وثباته في وجه الكفار وأهوائهم ، ولا شك أن الشاعر تأثر بتلك المعاني التي طرقها سابقوه شأنه شأن غيره من الشعراء الذين تناولوا وصف الرسالة والرسول .

---

(١) - بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، المجلد الأول ص (٨٦) .

ومديح ولاة الأمر بالشجاعة ورباطة الجأش ، وحماية الدين وجمع شمل الرعية من المعاني المألوفة التي طرقها الشعراء الاسلاميون القدماء ، وبهذه المعاني تأثر الشعراء السعوديون المحدثون في مدائحهم لولاة الأمر في هذه البلاد .

* * *

نقرأ قول محمد حسن فقي يمدح الملك عبد العزيز ، فيستجمع تلك المعاني المأثورة في هذا الغرض فيقول : (١)

هو يوم بداية التوحيد فيه .. تمت على يد الصنديد

لم يكن يعرف المحال من الأمر اذا سار في الطريق الحميد

ولقد كان ألمعيا فما يحكم في الأمر غير حكم الرشيد

عاش للدين والعروبة والمجد بشقيه : طارف وتليد

وحد الشمل بعد ما انفرط الشمل وكدنا نضيع بالتبديد

فاذا بالنثير يجمعه النظم فيغدو به كعقد نضيد

عاش يعلي هذا البناء ويرعاه بجهد مدى الحياة جهيد

فمعاني الأبيات صورة لما يكون عليه الحاكم المسلم ، من حفاظ على الدين ورعاية مصالح البلاد والعباد وهي معاني سبق اليها الشعراء القدماء فاستوحى الفقي تلك المعاني وعبر عنها .

---

(١) - ديوان محمد الفقي (قدر ورجل) ص (١٦٧) ط الأولى .

وحول المعاني السابقة في المديح أدار فؤاد شاكر أبياته الآتية والتي يمدح فيها الملك عبد العزيز فيجعل منه الحاكم المتسلح بسلاح التوحيد ، الساعي إلى اعلاء شأن أمته ، المعتمد في حكمه على العدالة وعلى كتاب الله وسنة رسوله فيقول : (١)

ومضيت في سبل الجهاد مدججا ... بعقيدة التوحيد والايمان

واصلت ليلك بالنهار فلم تنم ... لك في صيانة ذودها عينان

تأبى لها الضيم المشين وأن ترى ... أعلامها مهدودة الأركان

حتى ابتنيت لها الخلود مكانة ... في الخافقين فكنت نعم الباني

وأقمت من صرح العدالة سؤددا ... يغنى الزمان وليس ذاك بغاني

وأقمت بالتنزيل شرع حكومة ... ونشرت دستورا من القرآن

وأبنت أن الشرع خير وسيلة ... تزع الفوارق عن بني الانسان

اننا نقرأ الأبيات السابقة فنجد معاني الشاعر في هذا الغرض (المديح) هي معاني سابقيه من الشعراء ، فلم يكن الحاكم المسلم ليمدح بغير تلك المعاني . العقيدة الخالصة لله ، ورعاية مصالح الأمة والعدل بين أبنائها ، والرجوع في كل حكم الى كتاب الله خير دستور وأسمى نظام للبشرية . فقد استوحى فؤاد شاكر تلك المعاني الاسلامية وأدار أبياته حولها .

( ) - ديوان فؤاد شاكر " وحي الفؤاد " ص (٢١ ، ٢٢) ط الثالثة .

والقرآن الكريم معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تلك المعجزة الخالدة التي وقف أمامها أرباب البيان ، وأمراء الفصاحة واللسان من العرب مبهورين مشدوهين ، عاجزين عن مجاراتها ، والاتيان بمثلها ، مع طول باعهم وقوة عارضتهم وتفوقهم على سائر الأمم في البلاغة والبيان . وما ذلك الا لأن القرآن الكريم محكم النسج ، بديع النظم ، سامي المعاني ، ولا غرو في ذلك ، فهو كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وكان لبلاغة القرآن الكريم وسمو أساليبه وبديع نظمه أثر واضح على الشعراء الاسلاميين ، فقد أصبحوا ينظرون الى أسلوبه على أنه النموذج الأرقى والنمط الأرفع ، الذى ينبغي أن يحتذى ، والى معانيه على أنها الدوحة الكبرى التي ينبغي للشعراء أن يتفيأوا ظلالها وأن ينهلوا من معينها ، فأخذوا يقتبسون من معانيه ، ويملأون اشعارهم بتلك المعاني ، وربما ضمن الشاعر بآية أو جزء آية لتكون قلادة لجيد قصيدته ، ولترفع بالتالي من قدر معانيه .

وظلّ القرآن الكريم - على مرّ العصور - مناط الاعجاز والاعجاب وظلّ الشعراء كذلك يقتبسون من معانيه السامية ، وينظمونها شعرا صادقا ، مدينا - في معانيه - للمعاني القرآنية .

وفي الشعر السعودي الحديث - كما في غيره من شعر الاتجاه الاسلامي - نجد أثر تلك المعاني القرآنية الخالدة واضحا في معاني الشعراء ، وان كان استيحاء تلك المعاني قليلا .

* * *

فهذا محمد هاشم رشيد يصف لحظة من لحظات التأمل في الآيات الكونية فيستوحي معانيه من معاني القرآن الكريم فيقول : (١)

تعالى الله كم أرسلت طرفي ... الى الآفاق يخترق السّتورا
يغلغل في انطلاقته ويمضي ... حديد اللفظ مقتحما جسورا
يرود مجاهلا ويجوب كونا ... براه الله فتّانا مثيرا
يروعك بالتناسق في نظام ... دقيق يدهش العقل الخبيرا
وكم بين التفكّر والتضنّي ... وقفت بسفح معرفتي أسيرا
وعدت كما بدأت على طريقي ... سوى بصر رجعت به حسيرا

فالمعاني التي طرقها الشاعر في هذا الوصف ، مستوحاة من معنى

---

(١) - ديوان الشاعر " في ظلال السماء " ص (١٢٢ - ١٢٣) ط ١٣٩٧ هـ

قول الله تعالى : " الذى خلق سبع سماوات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير " (١) .

* * *

ومن المعاني المستوحاة من معاني القرآن الكريم ، مافي الأبيات التالية لعبد الله بن خميس ، والتي يتحدث فيها عن المساواة ومقياس التفاضل بين البشر فيقول : (٢)

كمثلك من في سدّة الوحي قد هاموا * وقاموا على سلسالة العذب أو حاموا (٣)

معين أباح الواردين سلافه | اذا اشتجرت حام على الورد أوسام
فسيان فيه يعربيّ وأعجم | وسيان فيه الهند والصين والشام
هو الحق يعلي المصلحون بناءه | وينقره -رغم الصلابة- هدّام
ألم يجفها عدنان في عقر دارها | ضلالا وعدوانا وينصرها حام

انّ معاني ابن خميس في الأبيات مستوحاة من قول الله تعالى في مقياس التفاضل بين الخلق : " ياأيها الناس انّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير " (٤)

* * *

وهذا شاعر آخر هو محمد الشبل يتحدث عن أسباب النصر

---

١) سورة الملك ، آية (٣ ، ٤)
٢) ديوان الشاعر "على ربى اليمامة" ص (٢٨ ، ٢٩) ط مطابع الفرزدق
٣) الكاف في "مثلك" يعود الى الصومال .
٤) سورة الحجرات آية (١٣) .

ومقوماته في أبيات يستوحي معانيها من معاني القرآن الكريم

يقول : (١)

يا أخي لم يكن الجندىّ بالنصر قمينا

ان تناسى واجب الاسلام ، أو خان اليمينا

ان تصدى فوق خط النار لا يخدم دينا

انه لا يستحق الفوز والنصر المبينا

ان توانى عن جهاد قام للحق معينا

فالمعنى العام للأبيات أن شرط الانتصار في الجهاد أن يكون ذلك الجهاد من أجل اعلاء كلمة الله ونصرة دينه ، وهذا المعنى مستوحى من قول الله تعالى في أسباب النصر :

" يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " (٢)

* * *

وهذا ابن عثيمين يصور لحظة الحساب ، وقبلها سكرات الموت حين تزهق النفس ، فيستوحي معانيه من معاني بعض الآيات القرآنية فيقول : (٣)

وأول ما تبدو ندامة مسرف إذا اشتد فيه الكرب والروح تجذب

---

(١) - ديوان الشاعر " نداء السحر " ص (٤٤) ط ١٣٩٩هـ .

(٢) - سورة محمد آية (٧)

(٣) - ديوان الشاعر " العقد الثمين " ص (٤٩٢) ط الثانية .

ويشفق من وضع الكتاب ويمتني   لو أنّ ردّ للدنيا وهيهات مطلب

ويشهد منّا كل عضو بفعله   وليس على الجبار يخفى المغيّب

اذا قيل أنتم قد علمتم فما الذى   عطلتم ، وكلّ في الكتاب مرتّب

انّ معاني الأبيات - كما أسلفنا - تدور حول زهوق الروح وما يحدث من كرب ، وكذلك بيان مايحدث في موقف الحساب ، وتلك المعاني مستوحاة من آيات قرآنية .

فمعنى البيت الأول مستوحى من معنى قوله تعالى :

" فلولا اذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون " . (١)

ومعنى البيت الثاني مأخوذ من معنى قوله تعالى :

" حتى اذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلّا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون " . (٢)

ومعنى البيت الثالث مستوحى من معنى قوله تعالى :

" يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " (٣)

* * *

ومن المعاني المستوحاة من معاني القرآن الكريم والآيات الشريفة ، قول ضياء الدين رجب عن بطاح مكة : (٤)

---

١) سورة الواقعة آية (٨٣ - ٨٤)

٢) سورة المؤمنون الآية (٩٩ - ١٠٠)

٣) سورة النور آية (٢٤)

٤) بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين - المجلد الأول ص (٢٥٨)

وادياً أسفع الروى غير ذى زرع ، محيل ضممته بجناحك
فتندّى كأنما اعتصر الفجر سلافا من البذور الضواحك
وتندّت حصباؤه من عقيق خاضبا لونه زكيّ جراحك

ان المعاني مأخوذة من قول الله تعالى :

" ربّنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون " . (١)

* * *

كما نجد استحياء المعاني القرآنية في قول محمد العواد :

كلّها كلّها الأناسي والأنعام والطير والروى والطيوف
والجمادات والبهائم والأملاك والجن والصدى والحفيف
والأماثيل والعناصر والأزمان والقفر والمكان الأليف
والسنا والظلال والصوت والفكرة والحسّ والهوى الملفوف
كلّها تضمر الصلاة وتبديها صنوفا تمتاز عنها صنوف
غير أنا لا نفقه الحمد والتسبيح منها لأننا غير أهل

فواضح أن معاني الأبيات وهي كون التسبيح صادرا من

---

(١) سورة ابراهيم الآية (٣٧) .

كل الكائنات والمخلوقات ، حتى الجمادات والبهائم ، الآّ أننا قد نجهل طريقة تسبيح بعض مخلوقات الله والظواهر الكونية .

وهذا المعنى مأخوذ من قول الله تعالى :

" تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، وان من شيء الاّ يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا " (١)

ومن قوله تعالى في آية أخرى :

" ألم تر أنّ الله يسبح له من في السماوات والأرض ، والطير صافّات كلّ قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون " . (٢)

* * *

وهكذا نجد آثار معاني القرآن في قول محمد سراج خراز : (٣)

سالموهم اذا هم جنحوا للسلم واستنهجوا الطريق الأسدّا
وأروهم اذا بغوا أنّ فيكم خالدا سيد الكماة وسعدا
لايبالوا بما أعدّوه من جند فان اليهود أضعف جندا
ضرب الذل والهوان عليهم صدق الله ليس يخلف وعدا

فالمعاني تدور حول دعوة المسلمين للسلم ان أبدى الأعداء استعدادهم لتقبله ، وللحرب ان بدر منهم بغي وطغيان ، والاّ ترهبهم عدة العدو وعدده .

---

١) - سورة الاسراء الآية (٤٤)

٢) - سورة النور الآية (٤١)

٣) - ديوان محمد سراج خراز " غناء وشجن " ص (٣٦) ط الأولى

فنلاحظ أن المعنى في قول الشاعر : سالموهم اذا هم جنحوا للسلم ...

البيت مأخوذ من قول الله تعالى :

" وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم " . (١)

والمعنى في البيتين الأخيرين " لا تبالوا بما أعدّوه ... البيتان " مأخوذ من قول الله تعالى :

" وضربت عليهم الذلّة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ... الآية " (٢)

* * *

وأخيرا هذا محمد العامودى في أبيات يستوحي معانيها من معاني القرآن الكريم ، يقول : (٣)

حارس المال لست مالكه بل أنت مملوكه وأنت الأسير

أنت بالمال في جحيم وبالمال شقيّ معذب مقهور

أنت ان لم تقدّم العمل الباقي . فكل الأمور شيء حقير

ان الاطار العام للمعاني هنا هو التزهيد في المال ، والتحذير من عدم انفاقه في وجوه الخير الباقي .

وهذه المعاني مستوحاة من قول الله تعالى :

" ... والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم " (٤)

* * *

---

١) ـ سورة الأنفال الآية (٦١)

٢) ـ سورة البقرة الآية (٦١)

٣) ـ ديوان محمد العامودى " من رباعياتي " ص (٦٦)

٤) ـ سورة التوبة الآية (٣٤) .

والى جانب استحياء الشعراء السعوديين لمعاني سابقيهم ،وتأثرهم بها ، وبمعاني القرآن الكريم ،حاول الشعراء استحداث بعض المعاني الجديدة وان كانت تلك المحاولة على نطاق ضيق محدود .

ومن تلك المعاني الجديدة التي أدخلها الشعراء السعوديون المحدثون قول الشاعر محمد بن بليهد مادحا الأمير عبد الله الفيصل باقامته لسد مكة الذى درأ عنها خطر السيول فيقول : (١)

من المقيم بأمر الواحد الأحـــد ... معالم العدل في الأغوار والنّجـــد
موفق الرأى في كل الأمور وفي ... نهج من الرشد لم ينقص ولم يــزد
لما رأى السيل من روس الجبال ومن ... أصقاع مكة من عال ومن وهـــد
يسير مضطرب الأطراف أولّــه ... ان كان محتشدا أو غير محتشـــد
اذا انتحى عند نعف المنحنى وله ... غوارب شابها التيـــار بالزبـــدّ
يمدّه كلّ واد مترع لجـــب ... فيه الرّكام من التّنوم والخضـــد
رأى البلاد ومن فيها على قلق ... اذا تتابع صوب المدجـن الرّعـــد
قال المليك الذى عمّت فضائله ... طوائف الناس من باد ومن بلـــد
لنجله : شمروا واستعصموا بذرا ... ربّ العباد وربّ الجزر والمـــدد

فالشاعر يمدح أحد ولاة الأمر وهذا ليس جديدا ، ولكن الجديد هو المعاني التي استخدمها الشاعر في هذا الغرض ، فهو يمدحه باقامته مشروعا عملاقا لبلده ، درأ الخطر عن أقدس البقاع ، بعد أن زاد قلق الناس على أول بيت وضع للناس ،وماحوله من المشاعر المقدسة .

ولا شك أن المديح بهذا المعنى يعدّ جديدا لم يوءلف في العصور القديمة .

---

١) ـ ديوان ابن بليهد "ابتسامات الأيام" ص (٢٦٣)

٢) ـ نعف المنحنى : مكان بمكة

٣) ـ التنوم والخضد : نوعان من الأشجار .

كما نجد تلك المعاني الجديدة عند زاهر الألمعي حين يمدح الملك فيصل رحمه الله بدعوته الى التضامن الاسلامي ، تلك الدعوة التي قضى شرخا من حياته في سبيلها حتى آتت ثمارها فيقول : (١)

فيا فيصل الاسلام قدها عزيزة كتيار موج فاض ليس له جزر
دعوت شعوب المسلمين لوحدة فأصغت لك الأيام والتفت الدهر
اذا ما اعتلت في الصين صيحة مسلم تجاوب في أم القرى البيت والحجر
ودوّت بأرجاء الرباط استجابة وهبت لها بغداد وانتفضت مصر
فأضحت قلوب المسلمين تضمّها مشاعر يبدو في تضامنها البشر
فعشت لها شهما تقوم بعبئها وتثأر للاسلام ان ناله الغدر
ودمت لها ردءا لكل ملمّة يحالفك التسديد واليمن والنصر

فالمعاني المستعملة في المديح هي الدعوة الى التضامن والوحدة الاسلامية بين الشعوب ، وما كان لها من صدى في عواصم الاسلام المختلفة .

وهي معان لم يدرج عليها شعراء المديح من قبل .

* * *

---

(١) - ديوان زاهر الألمعي " على درب الجهاد " ص (١٥٥ - ١٥٧)
ط الأولى ١٤٠٠ هـ .

الصدق الفني والصدق الشعوري في شعر هذا الاتجاه .

انّ المعين الذى يمدّ شعر الشاعر - دائما - بالحياة ، ويضمن له البقاء والاستمرار هو التجربة الشعورية .

وبقدر معايشة الشاعر للتجارب الفنية ، سواء كانت تجارب ذاتية أو انسانية ، واندماجه فيها ، ودرجة تفاعله معها ، وتأثره بها ، وقدرته على نقلها الينا ، وبالتالي حملنا على مشاركته تجربته وتأثرنا معه بها لذّة وألما ، سعادة وشقاء ، بقدر ذلك كلّه يكون نجاح الشاعر في توفر هذا الجانب الهام في بناء العمل الفني ، وبالتالي الحكم له بتأصل الصدق الفني أو الشعورى في نتاجه الأدبي .

ولا فرق - في نظرى - بين أن تكون التجربة ذاتية نابعة من معاناة الشاعر ، وأن تكون انسانية ، يحسّها الشاعر حوله ، فيجمع عناصرها ، ويعايشها ويندمج فيها ، ويحاول التعبير عنها ونقلها الينا ، وبالتالي حملنا على مشاركته في التأثر بها .

ويعتبر الصدق من أهم عوامل تفوق العمل الفني الأدبي وأصالته ، وهو عامل من عوامل حمل القارئ أو السامع على التجاوب مع الأديب والتأثر بما يقول أو يكتب ومشاركته أفراحه وأتراحه .

وهذه قيمة العمل الأدبي التي يبحث عنها المنشئ.

* * *

ويعتبر الصدق الفني الفارق الأول بين أصالة الموهبة الأدبية وفقدانها عند أديب ما . " ولن يكون للشاعر طابع خاص ، ولن يستطيع أن يصلنا بالكون الكبير الّا اذا كان صادقا ، ولكن أىّ صدق : لسنا نعني الصدق الواقعي فذلك مبحث يهّم الأخلاق انما نعني صدق الشعور بالحياة وصدق التأثر بالمشاعر أى الصدق الفني " . (١)

لذلك : فان صدق التجربة - من اى نوع كانت - هو الذى يميز أعمال الأديب أو الشاعر من غيرها ، ويسمها بسمته .

والأديب المبدع هوالذى يشعرنا - من خلال عمله - بصدق تأثره بالتجربة ، ويحملنا على التأثر بها ، دون أن يلفت نظرنا أدنى فرق بين تأديته للتجارب الذاتية والتجارب الانسانية لأنه يضفي روحه وذاته ومشاعره على عمله الأدبي ، فتختفي مابينهما من فروق : " فليس معنى التجربة الذاتية أنها مقصورة على

---

(١) - "النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه " سيد قطب ص (٣٠)
ط دار الشروق .

حدود المعبّر عنها ، بل هي انسانية بطبيعتها ،اذ أن جهد الشاعر منصرف الى التعبير عن مشاعره بعد أن يتمثلها ، وهو لا يحاول نقلها على حالتها الطبيعية ، والاّ ندّت عن حدود الأدب والشعر . وهو يراها بفكره ويتأملها ، ويحولها الى مادة تعبيرية عن جهاد وعمل ومثابرة " . (١)

* * *

واذا حاولنا تلمّس هذه الظاهرة - ظاهرة الصدق الفني والشعوري - في شعر الاتجاه الاسلامي عند الشعراء السعوديين المحدثين ، نجد أنهم كانوا على قدر جيد من هذا الصدق . ذلك لأن طبيعة الشعر الاسلامي وموضوعاته تستدعي الصدق في نقل تجارب الشعراء في هذا المجال .

فالشاعر حين يصف لحظات خشوعه واتصاله بربّه جل وعلا ، وحين يلجأ الى الله تعالى لكشف ضرّه أو تفريج كربته ، وحين يبث ربّه شكواه ، ويلوم نفسه على تفريطها في جنب الله ،وحين يصف واقع أمته الاسلامية ، ويتألم لما حلّ بها ، ويدعو الى العودة الى النهج القويم ،وحين يصف مناسبة اسلامية ،تلتقي فيها نفوس المؤمنين وأرواحهم ،وتتوحد فيها أهدافهم وغاياتهم حين يعبّر

---

(١) -"النقد الأدبي الحديث" د/محمد غنيمي هلال . ص (٣٨١) ط ١٩٧٣ م .

عن كل هذا وغيره ، يغلب على تعبيره جانب الصدق الفني أو الشعورى ،لأن صلته بالتجربة قوية ، قوة النزعة الاسلامية في نفسه وسيطرتها على مشاعره وانفعالاته .

* * *

فهذا حسن القرشي يجلو لنا صورة الصدق الفنّي في أبيات يصف فيها رؤيته ليتيم في سنّ الطفولة فيقول : (١)

قبلات الحنان عزّت على الطفل (م) وكم هدهدت شجى في السرائر

والعيون اليقظى تخطفها البين (م) وكانت عليه جدّ - سواهر

من له بالوديع من سحرها الهاني (م) وبالغدّ من هوى متقاطر ؟

كم تمنى لو يستجيب التمنّي لدموع قد رقرقتها المحاجر

ربّ رحماك باليتيم تردّى هالضعف اليتيم غيرك ناصر

مالجرح اليتيم غيرك من آس (م) وقد رنّحته هوج الأعاصر

آره الثكل . فاطف من لوعة المسكين (م) تهدأ به الشجون الثوائر

حطه بالعطف . واهده سبل الخير (م) ودفّق على جواه البشائر

وأنله العزاء فهو فقير لعزاء من فيض جودك غامر

فالشاعر في الأبيات السابقة - عرض لنا صورة اليتيم بشيء من الصدق الفني ، جعلنا نحسّ وكأن الشاعر ذاته قد مرّ بالتجربة - والواقع أن

---

(١) - ديوان حسن القرشي ، المجلد الأول ص (٢٢٥ - ٢٢٨) ط الثانية دار العودة .

القرشي أحسّ بتجربة اليتيم الانسانية ، فالتقط عناصرها ، ومزجها بمشاعره وأحاسيسه الشاعريّة ، ونقلها الينا بعد أن أضفى من روحه وذاته عليها ماجعلها مطبوعة بطابعه .

لقد كان الشاعر صادقا في نقل تلك التجربة الانسانية . هذا الصدق الفني حملنا على مشاركة الشاعر لحظة الألم والحزن . ألا ترق قلوبنا ، وتفيض دموعنا حين نستحضر صورة اليتيم التي نقلها الشاعر الينا حينما فقد الطفل قبلات الحنان التي يطبعها الوالدان على خديه ، وغفت العيون التي طالما سهرت على راحته ، وتقاذفته عاتيات الأعاصير ، وعاديات الزمن . انها صورة مؤثرة ، لا نملك - حيالها - إلّا الاستجابة لما أراده الشاعر ، وهو حملنا على التألم والشفقة على ذلك اليتيم . وهذا منتهى الصدق الفني .

* * *

وهذا محمد الفقي يعرض صورة من صور الصدق الفني ، في أبيات يدعو فيها أمته الى العودة الى الاسلام ، ونبذ ماسواه من المبادىء ويبين ماآلت اليه من مآسي فيقول : (١)

عودوا الى الاسلام ان سبيله ماتلتوى في جيئة وذهاب

---

(١) - ديوان الفقي " قدر ورجل " ص (١٥٨ - ١٥٩) ط الاولى .

ان أوحشت سبل وأجدب مرتع ... جلّت عن الإيحاش والإجداب
هذى المناهج بالدماء تلطخت ... وحماتها تعتز بالأسلاب
نبذو التراحم انّ من غوائهم ... في الضغن رشق أسنّة وحراب
لم يعرف الاسلام أن رؤوسه ... ديست - بلا حرج - من الأذناب
أو يعرف الاسلام أنّ أخوّة ... كانت شعار تشاحن وسباب
الحكم للبغضاء فهي شريعة ... للخاضعين لها من الأرباب
هذى مآسينا تلوح مهازلا ... أعيت عن الايجار والاطناب
انّا لنضرس حين نأكل حصرما ... أفلا يجود الكرم بالأعناب

* * *

ان الشاعر ينقل الينا واقع أمته الاسلامية المؤلم ، وهو يشترك مع أبناء هذه الأمة في ألم الشرخ الذى حدث في قلبها فالتجربة انسانيّة هنا .

وقد كان الشاعر صادقا في نقل مشاعره عن طريق تلك التجربة وبالتالي استطاع حملنا على التأثر معه . ورغم أن ذلك الألم مشترك بين الشاعر وغيره ، الاّ أن الشاعر هو الذى ينقل مشاعره بالكلمة المعبّرة ، ويبقى شعور غيره حبيسا في روحه ووجدانه .

وحين نقرأ الأبيات السابقة نحسّ أن الشاعر نقل الينا واقع أمته بعد أن غلّفه بأحاسيسه وعاطفته الشاعرة ، وبعد

أن صوّر ذلك الواقع وتلك التجربة على ذاته ووجدانه ، فأخرجها الينا تقطر ألما وحسرة . . اننا نحسّ الصدق في عبارات الغقي حين يقول :

عودوا الى الاسلام ان سبيله ماتلتوى في جيئة وذهاب
ان أوحشت سبل وأجدب مرتع جلّت عن الايحاش والاجداب

وحين يقول :

هذى مآسينا تلوح مهازلا أغيت عن الايجاز والاطناب
انّا لنضرس حين نأكل حصرما أفلا يجود الكرم بالأعناب

ونحن لا نملك أمام هذا الصدق الآ أن نشاطر الشاعر آلامه وأحزانه . وهذه أغلى مقاصد الأديب .

* * *

وهذا محمد هاشم رشيد ، يجسّد آماني وآمال ضيوف الرحمن أمام بيته العتيق فيقول : (١)

من كل فجّ عميق وكل أفق سحيق
جئناك يارب فاملأ أكوابنا بالرحيق
فنحن يارب ظمأى ظمأى لأفق طليق

---

(١) - ديوان الشاعر " في ظلال السماء " ص (١١-) ط ١٣٩٧ هـ

لموجـة مـن ضيـــاء ... في مهرجـان الشـروق
لصيّب من حنـــان ... يطفي بقايـا الحريـق
جئناك ياربّ نشـوى ... بومضـة من بريـق
بنفحـة من عبيـر ... تدفقـت في العـروق
فهـام كـلّ محـبّ ... وتـاه كـلّ مشـوق
لبيـك ياربِّ إنّـا ... من كلّ فجّ عميـق

فالقارئ يحسّ في المقطوعة السابقة مدى الصدق الفنّي عند الشاعر ، حيث استطاع أن ينقل الينا صورة معبّرة موحية بما يعتلج في نفس كل حاج ، في كل مشعر من المشاعر المقدسة .

فالقارئ والسامع لهذه المقطوعة يكاد يذوب من فرط قدرة الشاعر على التصوير ونقل الحدث ، حتى لكأننا نعيش معه مشاعره وأحاسيسه ، وهو يعبر عن خلجات نفوس الحجيج حين يقول :

فنحن ياربّ ظمـأى ... ظمـأى لأفـق طليـق
لموجـة من ضيـاء ... في مهرجـان الشروق
لصيّب مـن حنـان ... يطفي بقايـا الحريـق

انه الصدق الأدبي ، ذلك الذى يجعل الشاعر ينصهر في التجربة ثم ينقلها حيّة قوية ، لتلمس شغاف القلوب فتتأثر بها .

وينقل الينا عبد الرحمن العشماوى صورة لماضي الأمة الاسلاميــــة ، فنحسّ في نبرات صوته معالم الصدق الغنـي اذ يقول : (١)

لم أزل انتشي لشد و ابن زيدون (م) على سفح مجدنا المفقــــود
لم تزل هاهنا بقايا زهــــور غرست حول رايــة التوحيــد
ايه قصر الحمراء ما ذا دهاهم ؟ أين من زيّنوك بالتشـــييد ؟
لم تزل في ثراك نكهــة أمجاد أثارت صوت الرضا في قصيدى
وعلى السفح طارق بن زيــــاد أريحيّ الخطى سليل الأسود
وخطى جنده أحاديث نصــــر ولســـان الثرى حكاية عيــد
مصر يا مصر . . قد تضيع الأماني فتغني برغم كلّ حســـود
قبليني ففيك نكهــــة عمـــرو وبقايـا من الخباء المجيــد
وعليه اليمامتان تبثّان نشـــيدا (م) يزيد صفـــو السعيـــد
وهنا الأزهـر الشريف ولكـــن ضاع صوت الشريف خلف السدود

فالعشماوى استطاع أن يندمج مع التجربة ، ويتفاعل معهـــا ، ويهبها من عاطفته وذاتـه الشيء الذى جعلنـا نشاركـه الحنيـــن الى الماضـي المشرق للأمـــة الاسلاميـــة ، فهو لم يسرد لنا ذلـك الماضي ســردا تاريخيا مجردا ، لكنـه صبغـه بأحاسيسه ومشاعره ،

---

(١) - ديوان الشاعر " الى أمتـي " ص (٨٦ - ٨٧) ط ١٩٧٨ م

فشم نكهة الأمجاد الاسلامية في الأندلس ، وأحس خطى الجند المنتصرين بقيادة طارق بن زياد . وعموما فالأبيات مصطبغة بروح العشماوى المعجبة بالماضي المشرق للمسلمين ، والمتألمة من الواقع الاسلامي المرير ، لذلك يتجلى في هذه الأبيات - وغيرها من قصائد العشماوى - الصدق الفني الذى ننشده لأصالة العمل الأدبي .

* * *

وحين نحاول أن نتلمّس جانب الصدق الشعورى في بعض الأعمال الشعرية للشعراء السعوديين ، فاننا نستطيع ادراك ذلك عن طريق سيطرة روح الشاعر وذاته على نتاجه الشعرى ، بمعنى : أن التجارب الذاتية التي يعيشها الشاعر ، ويحاول ترجمتها الى قيم تعبيرية ، تكون متسمة بسمته ، ممزوجة بذاته ، مشتملة على طبعه موحية بنظرته الى ماحوله من الكون والحياة .

* * *

فمحمد هاشم رشيد شاعر شفاف رقيق ، يعشق السنا والمرائي ويخاطب الحنايا والظمأ ، والأصيل والشروق ، ويستمد صوره من الخمائل والندى والنسمات الغافية ، لذلك نجد أغلب شعره الاسلامي مطبوعا بطابع الرقة والسهولة والشفافية .

نقرأ له مثلا ـ المقطوعة التالية التي ينقل الينا فيها لحظة من لحظات صفائه الروحي . فيقول : (١)

أحسّ من حولي وفي أضلعي ... على امتداد الأفق الأوسع
بالنّور يسرى خاشعا في الدجى ... مبتهلا للخالق المبدع
وبالشذا يهفو كتسبيحة ... نشوى لغير الله لم ترفع
أحسّ بالكون يصلي على ... شطآن بحر بالسنا مترع
وأنني في قلبه نبضة ... تصدح بالنجوى وبالأدمع
سبحان من صلّت له أضلعي ... وكلّ ما في الكون صلّى معي

* * *

انّ الأبيات تكاد تهمي رقة وسلاسة ، اننا لا نجد أثرا لفخامة الألفاظ وجزالتها ، ولا لصعوبة التراكيب وقلقها بل نجد نورا يسرى خاشعا مبتهلا للخالق المبدع ، وشذا يهفو كتسبيحة نشوى ارتفعت لله عزّ وجل ، وبحرا ملوءا بالسنا ، ونبضة قلب تناجي مبدعها بالأدمع الحرّى . . وهذه ذاتية محمد هاشم رشيد الرقيقة الشفافة ، التي اتسمت بها المقطوعة فجاءت تحمل قيم الصدق الشعوري وأسبابه الفنية .

هذه الذاتية الرقيقة الشفافة عند محمد هاشم رشيد نجدها

---

(١) ـ ديوان الشاعر " في ظلال السماء " ص (١٢٨ - ١٢٩) ط ١٣٩٧ هـ

في قوله عن يوم عرفات :

بشراك ياقلب انّا   هنا بظلّ السماء
رغائب من ضياء   تنساب عبر الضياء
ووشوشات لحون   غرقى بأفق الصفاء
بشراك ياقلب فاصدح   فاليوم يوم اللقاء

ان الشعور الرقيق والذوق المرهف يسم الأبيات السابقة بذاتية صاحبيها . هذا الشعور نجده ونحن نقرأ أكثر قصائد ومقطوعات محمد هاشم رشيد ، مما يجعل لها خصائص ومميزات تميزها عن غيرها من شعر الشعراء السعوديين .

وهذه هي الأصالة والصدق الشعورى ، حين نقرأ عملا أدبيا فنشم رائحة الشاعر وروحه ، ونلمس ذاته في أدبه ،ذاته السهلة أو الصعبة ، الرقيقة أو الفخمة ،المرحة أو الغاضبة ، المتفائلة أو المتشائمة .

* * *

فاذا انتقلنا الى شاعر آخر وليكن طاهر زمخشرى . ان طاهر زمخشرى صريح لا يحب التعمية والتعتيم في أكثر أغراض شعره . فهو حين يتغزل يصرح بمفاتن من يتغزل فيه ، وحين يصف يأتي بعناصر الموصوف وجوانبه صراحة . . . وهكذا . لذلك نجد شعره الاسلامي ،المعبّر عن تجاربه الذاتية يعجّ بالصراحة ،وكشف مساوئ

( ) - ديوان الشاعر " في ظلال السماء " ص (١٢٠) ط ١٣٩٧هـ

النفس الأمارة بالسوء ، لذلك يكثر في شعره في هذا البـاب الشكوى الى الله ، وسؤاله المغفرة والصفح ، والتصريح باقترافه للذنوب والخطايا والقلق على المصير والتخوف من العقاب .

ومن هنا امتلأ شعره بألفاظ . الذنب ، الاساءة ، العفو ، المعصية ، الحسرة ،الضراعة .

نقرأ له - مثلا - المقطوعة التالية ،التي يتبرم فيها من ذنوبه ، ويرجو ربّه أن يغفرها له فيقول : (١)

بما كنت أخفي أصبح الطرف يجهر   وفوق خدودى دمعة تتحـدر
ذنوب طوت آماد عمرى وسوّدت   صحائف أيامي ففاض التحسّـر
فجاشت براكين اليك أزفّهـا   زوافر تدعو ، وهي قلب مفطّـر
يناديك ياربّاه أكرم واهـب   اليه يلوذ المذنب المتحيّـر
دعوتك أرجو منك محو اساءتي   فأنت الذى تعطي وتعفو وتغفر
وأنت الذى تمحو الذنوب جميعها   وعفوك أدنى ماينال المقصّـر
دعوتك ياربّاه فاقبل ضراعتي   وزدني يقينا انك الله اكبـر

فحين نقرأ الأبيات نحسّ روح الزمخشرى وطبيعته الصريحة الواضحة ، حينما يعترف بما ارتكب من ذنوب وآثام ،تجلل صحائف عمله بالسّواد وحينما يورد ما يدلل على ذلك بوضوح من ألفاظ :

---

(١) - ديوان الشاعر "أغاريد الصحراء" ص (٩) ط ١٣٧٨ هـ

أخفي ، يجهر ، ذنوب ، سوّدت ، التحسر ، مفطر ، اسائتي ... الخ .

والأبيات على هذا النحو تحمل طبيعة الشاعر وطابعه الذاتي ، وهي موسومة بسمته الصريحة الواضحة التي لا رمز فيها ولا خفاء ، وهذا ما يؤكد جانب الصدق الشعوري في هذه المقطوعة وماشابهها من شعر الزمخشري ذي المسحة الاسلامية .

ونفس الصدق الشعوري ، النابع من ذات الزمخشري الصريحة يطبع الأبيات التالية بطابعه ، ويلبسها ذاته وطبيعته ، التي تتجلى في شعره اذ يقول : (١)

يوم أشرقت من علاك وأغدقت نوالا ، يسّح بالآلاء

لتجيب الداعي وتمحو بالغفران ، اثما أتيته في الخفاء

وتواريت خلف سترك للعاصي ، فوارى جميله أسوائي

أنت أدرى بما اقترفت فلا تبخل ، وجد بالسماح ياذا العطاء

فلقد عشت أسحب الذيل تيها ملء بردى غبطة السعداء

فأنر بالهدى سبيلي وزدني من أياديك فرحة العتقاء

* * *

وليزداد هذا الجانب - أعني الصدق الشعوري - وضوحا ، في شعر الاتجاه الاسلامي عند الشعراء السعوديين ، نضرب مثلا آخر بأبيات لشاعر آخر هو محمد حسن عواد . والعوّاد شاعر متأمّل ، مولع

---

(١) - ديوان الشاعر " ألحان مغترب " ص (١٢ - ١٣) .

بالإغراق والتفكير ،هذه السمة المميزة للعواد ظهرت في شعره ، فكان أكثره متأملا ، ينحو منحى التفكير والتدبّر ،والتعمق في أسرار الحياة والكون . لذلك نجد شعره الاسلامي ،الذى يتحدث فيه عن تجاربه الذاتية مليئا بالنزعة التأملية ، والتفكير العميق .

لذلك تكثر فيه ألفاظ : الفكر ،الحكمة ،الجهل ، العلم ، الكلّ ، الجزء . نقرأ له - مثلا - الأبيات التالية يخاطب فيها نفسه فيقول : (١)

سبحي الله فالطبيعة يقظى ... وتعالي قرب الخضم نصلي

وابعثي الوعي والبصيرة يرتاد (م) ... مجاهيله على أىّ شكل

في صفاء يشع من فلك الالهام (م) ... مستجليا اذ الكون يجلي

يفهم الكلّ في حقيقة بعض ... تبرز البعض موجبا روح كلّ

يستشف الحياة في العالم المطوى (م) ... بين النفوس طيّ السجلّ

فيجوب الضمير والفكر يجرى ... في النواميس بين بعد وقبل

فيرى مايكنّ في الماء والزهرة (م) ... والأرض والفضاء المطلّ

هذه صيحة الحياة تنادى ... عاشقيها لفهم معنى التجلّي

انها فرصة فلا تتركيها ... تتلاشى وبادرى للتطلّي

واكرعي من مناهل الروح خمرا ... فتحت للهدى منافذ عقل

---

(١) - ديوان الشاعر " نحو كيان جديد " ص (٤٤) .

اننا حين نقرأ أو نسمع هذه الأبيات ، نمضى مع العواد فى رحلة متأملة متعمقة فى هذا الكون الفسيح ، الذى ينطوى على أعظم آيات الله التى من شأنها أن تبصر المؤمن ، وترشده الى عظمة الخالق فيهتدى اليـه .

ان العواد - كما أسلفنا - تأملى النزعة ، مغرم بالتفكير العميق ، وفى الأبيات السابقة ، نجد صدى ذلك التأمل والتفكير ، حين يترجم العواد تجربته الشعورية ، فتمتلئ بالصدق الشعورى الذى يحمل ذاته وروحه ، فيجعلنا نميز شعره من شعر غيره .

ويمثل ذلك الصدق الشعورى المعبر عن ذات الشاعر ، يتحدث العواد عن سر الطبيعة والحياة ، بأبيات يبدو فيها الجانب التأملي والتفكيرى واضحا فيقول (١) :-

لم هذى الريـاح تدوى شمـالا ... وجنوبا تغـرق الأمطـارا ؟

لم ذا البحر فى هدوء اذا شـاء ... وان شاء أرسل التيـارا ؟ (٢)

لم فى البحـر بمد ومد وجـزر ... يتبع البدر تارة والسـرارا ؟

لم هذا البخار يصعد من فوق سطوح ... المياه ، يبغى مطـرا ؟

لم تسرى سيارة الأرض حول الشمس ... دآبة السـرى أن هـارا ؟

لم هذى الأجرام تشرق ليـلا ... لم ذى الشمس تبهر الأبصـارا ؟

---

(١) المرجع السابق ص (٣٢ ، ٣٣) ..

هل أفاقت عقولنا من سبات   هل شققنا من حيرة أستارا ؟

نحن كالأولين نحيا دواليك   ويحيا من بعدنا أعمارا ؟

وتدور الحياة والشمس والأقمار   والليل والنهار يدارا ؟

رب آمنت أنك القادر الفرد   ملكت الكلام والأنوارا ؟

ان الأبيات صادقة شعوريا ، تفصح عن مدى اغراق الشاعر في التأمل في مخلوقات الله ، التى حوت الأسرار الكثيرة التى يعجز علم الانسان عن ادراكها فالشاعر يصحبنا في عوالم مختلفة ، وظواهر متباينة ، ولكنها تدل على قدرة خالقها ومدبرها عزوجل .

هذا المنحى التأملي في الأبيات ، نابع من ذات العواد المولعة بالتأمل وبذلك يتحقق فيها جانب الصدق الشعوري .

* * *

من هنا يمكن القول ان جانب الصدق الشعوري قد وجد في بعض أعمال الشعراء السعوديين ، حينما ظهرت سمات وخصائص كل شاعر في شعره فكان صدى لذاته حينما عبر عن تجربته الشعورية في أعماله .

الوحدة ومظاهرها فى شعر هذا الاتجاه .

نعنى بالوحدة هنا ،الوحدة الموضوعية ، أو الوحدة الفنية فى العمل الأدبى .

وتعنى الوحدة الموضوعية : انتظام العمل الشعرى بناءً كاملا مترابطا فى نسقه ومعناه والغرض الذى أنشىء من أجله ، بحيث اذا فصل أحد أجزائه اختل العمل كله .

فالقصيدة كما يرى العقاد : (ينبغى أن تكون عملا فنيا تاما ، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة ، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقى بأنغامه ، بحيث اذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها ، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحى ، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ، ولا يغنى عنه غيره فى موضعه الا كما تغنى الأذن عن العين ، أو القدم عن الكف أو القلب عن المعدة . أوهى كالبيت المقسم ، لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها) (١)

ويرى العقاد هذه الوحدة من أهم مقومات القصيدة ، وهى بغيرها تفقد سماتها ومكانتها كعمل شعرى . يقول العقاد :-

((ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية فى الشعر فلم تجدها ، فاعلم أنه ألفاظ لا تنطوى على خاطر مطرد أو شعور كامل الحياة)) (٢)

* * *

(١) انظر (الديوان) لعباس العقاد وابراهيم المازنى ، ج ١ (ص ١٢٠) ط الثالثة
(٢) المرجع السابق ص (١٣٠) .

والوحدة المعنوية فى القصيدة ، تقتضى ترتيب الأفكار ، واستقصاء كل فكرة قبل الانتقال الى غيرها . يقول الدكتور محمد غنيمى هلال ((تقتضي هذه الوحدة استيفاء كل فكرة فى النظم فى موضعها المحدد لها من القصيده قبل الانتقال الى الفكرة التالية بحيث لايصح الرجوع ــ بعد ــ الى الفكرة الأولى فى القصيدة والا بدا الفكر مضطربا واختلت بقية القصيدة (١))) .

* * *

ويتحفظ أستاذنا ــ الدكتور / بدوى طبانه ــ على رأى العقاد فى الوحدة ، وينبه الى أنه ((ينبغى الا يؤخذ على علاته ذلك النقد الشديد الذى وجه الى شوقى أوغيره من الشعراء المعاصرين أوالغابرين بفقد الوحدة أو الارتباط بين أبيات قصائدهم ، وكذلك القول بأنه من الممكن نقل الأبيات عن مواضعها واعادة ترتيبها من جديد ، وتقديم بعضها وتأخير بعضها الآخر ، من غيرأن يخل ذلك بالبناء الفنى للقصيدة ،أو يفسد المعانى التى صورها الشعراء (٢)))

---

(١) النقد الأدبى الحديث ـ د / محمد غنيمى هلال ص(٣٩٦) ط ١٩٧٣م

(٢) قضايا النقد الأدبى ـ د / بدوى طبانه ص(٤٨) ط المطبعة الفنية الحديثة .

ثم يوضح أستاذنا أن الفنون الأدبية لايتوافر فيها جانب الوحدة بنسبة ثابتة ، بل ان هناك فنونا تخضع لمقياس الوحدة ، وفنونا أخرى يختلف فيها توافر هذا الجانب فيقول :-

((ان الفنون الشعرية التى ينبغى أن تقاس بمقياس الوحدة هى الشعر القصصى أو شعر الملاحم ، وكذلك الشعر المسرحى بأنواعه المختلفة ...

وان الشعر الغنائى أو الشعر الوجدانى يختلف من حيث توافر الوحدة فيه ، بحسب اختلاف طبيعة الشعراء اذ كان منهم من تغلب عليه طبيعة الاستطراد والانتقال من فكرة الى غيرها أو من خاطرة الى خاطرة أخرى ماله صلة بها .

فمطلب الوحدة فى هذا الشعر الوجدانى لايخضع لمقياس ثابت ، ومن الخير أن تترك للشاعر حريته فى التعبير عن عواطفه بترتيب مايسبق منها الى ذهنه ، وما يتعاقب عليه من الأخيلة والخواطر))(١)

ورغم تباين وجهات النظر بين النقاد المحدثين فى مفهوم الوحدة ، وأى فنون الشعر ينبغى تطبيقها عليه ، تظل الوحدة احدى قضايا النقد الأدبى الحديث التى استقطبت كثيرا من دراسات ونظرات النقاد العرب المحدثين .

ومن هنا جاء دورها كمقياس هام لدراسة القيمة الغنية للأعمال الشعرية .

---

(١) نفس المرجع ص (٤٨) .

ونحن هنا نذهب مذهب أستاذنا الدكتور بدوى طبانه ،فى رؤيته للوحدة الموضوعية ، من حيث اعتبارها مقياسا فى الشعر القصصى أو الملحمى على حين يختلف توافرها فى الشعر الغنائى (الوجدانى) . ذلك لأن الشعر الاسلامى حين يتناول قصة من القصص التى عاشها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كقصة البعثة ، والهجرة ، ونزول الوحى وكذلك القصص البطولية له صلى الله عليه وسلم ولغيره من كبار الصحابة كالخلفاء وقواد الجيوش ، ووصف المعارك الاسلامية الخالده وغير ذلك -حين يكون الشعر الاسلامى فى هذه الجوانب تظهر فيه الوحدة الموضوعية جلية ،ولكننا نفقد هذه الوحدة حينما يكون الشعر الاسلامى صدى لعواطف ذاتيه ، وومضات وجدانية ، تصف مشاعر النفس وأحاسيسها وخلجاتها ، فتتقد تارة وتخبو أخرى وتمتد أحيانا فتنتظم عدة أبيات من القصيدة . وتقصر حينا فتبدو قبسات مقطعة وأنفاسا قصيرة قد تكفى بالبيت أو بالبيتين لتصوير ذلك الاحساس وتلك المشاعر ..

وإذا حاولنا تتبع الوحدة الموضوعية فى شعر الاتجاه الاسلامى عند الشعراء السعوديين المحدثين ، وجدناها ظاهرة فى معظم قصائد الشعراء التى صوروا فيها قصة نزول الوحى ، والهجرة وقصص بعض الصحابة رضوان الله عليهم فى التضحية ، والدفاع عن الدعوة وغير ذلك ..

* * *

نجد هذه الوحدة - مثلا - فى قصيدة لحسن القرشى ، تصور قصة النبوة منذ خيوطها الأولى ، ونتبين مدى توافر الوحدة الموضوعية فى هذه القصيدة . يقول القرشى (١) :-

بالبشرى طيبة الترديد	غمرت بالهدى شعاب الوجود
أطلقى ياسماء أزكى الأناشيد	وضجى ياأرض بالتوحيد
واملئى سمع الزمان فخارا	واستعزى بطارف وتليد
فلقد لاح فى ذرات شعاع	ماله فى ائتلاقه من نديد
هو فجر فرد على غرة الدهر	وعيد مخلد التجديد
ورؤى صاغها الاله فكانت	طلعة فذة لخير وليد
فجرت فى الجواء ألوية النور	لتجلو من الظلام العقيد
ورنت للحياة بسامة الثغر	كحلم مجسم منشود
وأفاضت على العوالم نبعا	من سلام ورحمة وسعود
انها طلعة المروءات والنبل	وومض العلاء والتأييد

(١) ديوان الشاعر (ديوان حسن القرشى) المجلد الأول ص(٥٧٣- ٥٨٥)ط الثانيه .

ويستمر الشاعر فى استقصاء الفكرة السابقة فى الأبيات وهى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول :-

هللى يابطاح مكة لليمن   وتيهى على البلاد وسودى
واشرعى باليتيم راية مجد   هى عند الفخار أعلى البنود
كم على مهده النضير تدانى البشر   تحدوه زاهيات الورود
أى مهد من العبير ندى   ضم دنيا من السنا والسعود
قد وقى الله جده عسرة الكف   اذ أمتار من أعز حفيد
من محياه رفرفت نفحات   للأمانى والرضا والجود

ثم يورد الشاعر أفكاره مسلسلة منطقياً ، كما هو المطلوب فى الوحدة الموضوعية ، فيتناول نشأة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتميز تلك النشأة بالعفاف والأمانه وحب الناس فيقول :-

هو اشراقة المباهج نبع الفخر   لحن الهدى ونجوى الخلود
حكمة الله أن يظل عفيفا   ناصع الذيل واضح التمجيد
لم يدنس جبينه الطاهر الأثم   وقاه الاله كل مريد
فتسامى روحا وقلبا رفيقا   وتعالى عن الأذى والكنود
وسموه الأمين فى بكرة العمر   فيا للفتى الأبى النجيد
صانه الله عن ضلال وضن   فهو مارمت من صفاء فريد

ثم ينتقل الشاعر الى الحديث عن بداية الدعوة ، حين نزل جبريل عليه السلام بالوحى عليه صلى الله عليه وسلم ، وكيف انطلقت هذه الدعوة الى الآفاق على يديه فيقول :-

هللى يابطاح مكة حقت ... دعوة الحق من فتاك الرشيد

هزه الوجد حين وافاه جبريل ... ببشرى ابتعاثه المشهود

ثم ألوى ميمما وجهة الغار ... بتكبيرة الاله الحميد

هى لحن الأجيال أنشودة الخير ... ورمز الالهام والتشييد

أشرقت بالهدى رحاب الصحارى ... من سهول مبسوطة ونجود

ثم يصور الشاعر الآثار المتباينه التى صاحبت هذه الدعوة الجديدة منذ فجرها الأول ، حيث قبلها البعض ، وناصبها العداء آخرون فيقول :-

وتوافى صحب الرسول اليه ... يتهادون شرعة التوحيد

يالهذا الترتيل يفترع الأفق ... وهذا التهليل والترديد

السماوات رنّمت من صداه ... والروابى ترنحت بالنشيد

واذا الشرك هالع مستطير ... يتنزى تنزى المفؤود

واذا الصادق الأمين ينادى ... بعداء من ساخر وحسود

لم يلن عزمه ولا نال منه ... كاشر البأس فى الليالى السود

عصف الكفر بالنفوس الحيارى ... فهى رهن العذاب والتشريد

وهى لفح من الأعاصير والهول ... وموج من شرة وجحود

وتراءت عصابة البغى تسعى ... لحصار وتغتلى بوعيد

همها أن تبدد انفجر ضحيان ... لتمضى فى ذل قيد أبيد

* * *

ثم يتابع الشاعر تصوير أحداث النبوة ، فيتناول قصة الهجرة ، وكيف شاء الله لرسوله ودعوته أن ينتصرا ، فلم يستطيع الكفار الظفر به ، بعد أن قعدوا له كل مرصد ، ولكن ارادة الله فوق كل شئ فيقول :-

أى ليل مجنح ممدود ... سار فى ظله رسول الوجود

يتخطى وهنا ، وصاحبه الصديق ... جيشا من الطغاة الرقود

جثموا للرسول والكون داج ... وعليٌّ رهن المهاد العتيد

لم يرعه تناثر القوم جمعا ... حين ذر التراب فوق الهجود

وتسامى للغار فى بسمة النصر ... وللغار فرحة بالوفود

واستفاق البغاة ، فاتهم الهادى ... عليهم سمات يأس مبيد

وتوافوا للغار شعثا سراعا ... كتوافى العطشى لنبع برود

هل ينال الذئاب من مربض الليث ... لتعسا فكلهم فى شرود

وعلى الغار للحمائم عش ... أى حصن للصاحبين مشيد

وعليه من العناكب نسج ... ضلل القوم عصبة الشرك عودى

ان يكن قد سجاه ى مة الكفر ... ففى طيبة هراج الأسود

ثم ينتقل الشاعر الى المدينة ، محط رحال الهجرة والمهاجرين ، وكيف استقبلت البشير صلى الله عليه وسلم ، وكيف تبدلت الحياة فيها من شظف العيش الى نعيمه ومن العداوة والبغضاء بين قبائلها الى اخاء قوى العرى صادق المحبة فيقول :-

أرز الوحى للمدينة يهمى ... حين حطت بها أمانى السعود

واستفاقت على صباح ندى ... اذ حباها النبى أنضر عيد

هينمات التوحيد ملء رباها ... وانسيات الى اخاء الوطيد

لم تكن هجرة الرسول اليها ... غير بشرى بظل عيش رغيد

يالهذا الاسلام يصطنع الحب شعارا ... ويزدرى بالتيه

* * *

ثم يختتم الشاعر ملحمته بالحديث عن عودة الرسول صلى الله عليه وسلم الى مكة فاتحاً بعد أن اشتد عضد المسلمين ، وقويت شوكتهم فعادت مكة بذلك عاصمة الاسلام وقبلة المسلمين يقول :-

هللى يابطاح مكة للغازى ... وحييه زاحفا بالجنود

قد أعاد التاريخ بعد جهاد ... مستحر صيف الزمان البعيد

ليس هذا الغازى ربيب الرماة ... سوى اغرد من بنيك الصيد

ليس يرضاك مغنما ... انما يهواك بيتا مقدسا للسجود

وربوعا بها المشاعر نيها ... ولد الدين هازئا بالجمود

فاستعيدي ذكراه ماكان الا   نفحات من العلى الودود

* * *

هذه ملحمة القرشى فى سرد قصة النبوة ، وما واكبها من أحداث ونحن حين نتلمس الوحدة فيها بجميع مظاهرها ، نجدها بارزة جلية فالشاعر لم يخرج فى قصيدته عن الموضوع الرئيسى لها وهو عرض قصة النبوة منذ ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى فتحه لمكة فى آخر حياته .

كذلك تبدو مظاهر الوحدة فى تسلسل الأحداث داخل القصة فهو عرض أولا حدث مولده صلى الله عليه وسلم ، ثم تعرض لنشأته وبعثته ، وانقسام الناس حيالها بين مصدق ومكذب ، ثم رصد أحداث الهجرة الى المدينة وتغير وجه الحياة فيها ، ثم كيف عادت مكة الى حضيرة الاسلام بعد أن أعز الله جنده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده .

ومن مظاهر الوحدة فى القصيدة استقصاء الشاعر للمعانى الخاصة بكل فكرة لذلك لانجد تكرارا للأفكار ولا للمعانى ، فى أحداث القصة من أول القصيدة الى آخرها . فقد رتب الشاعر الافكار ثم وفى كل فكرة حقها من المعانى اللازمة لها ..

وهذا كله دليل على بروز جانب الوحدة الموضوعية فى هذه الملحمة وما شابهها من الشعر القصصى ...

وكما تبدو الوحدة في الموضوع جلية في قصيدة القرشي ، يبدو التالف بين المعاني وبعضها ، حين يتحدث الشاعر عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثته وهجرته ، فيتناول سمات الرسول الخلقية من الأمانة والعفاف ، وحفظ الله له من كيد المشركين ، وشيوع دعوته وانتصارها على أيدى المهاجرين والانصار ..

كذلك تبدو الوحدة والتالف بين ألفاظ القصيدة بعضها مع بعض فهو يستعمل ، البشرى ، طيبة ، التوحيد ، الهدى ، الوحي ، النجوى نفحات ، بيتا مقدسا ، السجود .... الخ .. .

كذلك يبدو التالف والانسجام والوحدة بين الألفاظ والمعاني فحين يتحدث الشاعر عن مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ، يستخدم ألفاظا مناسبة لذلك كالبشرى ، والفجر ، والعيد ، ألوية النور ، طلعة المرؤة نبع السلام والرحمة .... الخ ..

وحين يتحدث عن البعثة يأتي بالألفاظ المناسبة لها : دعوة الحق ، وافاه جبريل ، الابتعاث ، المشهود ، الغار ، الالهام .... الخ ...

وهكذا تبدو مظاهر الوحدة في قصيدة القرشي ،،،،،،،،،

فاذا تركنا ملحمة القرشي الى ملحمة أخرى مماثلة للشاعر السعودى أحمد قنديل ، صور فيها حالة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وماكان يسودها من قبليه وجهل وفقر ، ثم كيف أشرقت فيها شمس الاسلام فحولت الجدب الى خصب ، والجهل الى علم ، والظلام الى ضياء أبلج ثم كيف دب فيها الجهل والفساد مرة أخرى نتيجة البعد عن هدى الاسلام حتى جاء المصلح الكبير / محمد بن عبدالوهاب فأيقظ الروح الاسلامية فيها مرة أخرى كل هذه الأحداث ضمنها أحمد قنديل قصيدته التى أسماها ((ملحمة الزهراء)) (١)

يبدأ الشاعر الملحمة بوصف حالة الجزيرة العربية قبل الاسلام فيقول :-

كيف كانت دنيا الأمس سحيقا	قد لفّها وطواها
فى دجى ليلة ثوت وتوارت	بين طخيائها وجوف ثراها
همها العيش هامدا وزهيداً	قانعا بالزهيد قد أرضاها
فى شتيت من الرخيص من الأمر رتيها	ملت به دنياها
فتناءت قبيلة وعشيرا	فى الصحارى تدانتا أشباها
وتغطت بالرمل فى القاع روحا	حائرا .. ضاق بالرمال وتاها
كرماد مبعثر فى هباء	تشتكى العدم والملال متاها

---

(١) انظر (بحوث المؤتمر الأول للادباء السعوديين) المجلد الأول ص (٨٩) وما بعدها .

ثم ينتقل الشاعر الى وصف فجر الدعوة الاسلامية ، الذى غير وجه الحياة والأحياء فيقول :-

وأتى الفجر صادقا ذات ليل ... يهزم الليل مشرقا تياها
زف فيه الوادى المهلل عرسا ... قد جلته السماء فى علياها
وتنادت له الملائك بشرى ... بالبشير الهادى الخلائق طاها
فى ضياء أنهار عمت الكون ... فسادت أرجاءه ضفتاها
ناشرات بالنور أجنحة النور ... رفيقا أزانها ورهاها
فالروابى الخضراء مال بها الغصن ... شجيا للغصن ماس وتاها
رفرف الزهر فى سناها مطلا ... بفم الورد بسمة وشفاها
والبطاح انفساح ماج بها البشر ... طروبا .. طلق المحيا احتواها
فأشارت الى المسيل بطرف ... لامع اللحظ بهجة ورفاها
فجرى هائما يصفق بالموج ... يلاغى صفاتها وحصاها
مولد وشح العوالم بالنور ... رضاء .. والكائنات رفاها
كرم الله بيته حيث شمت ... بين واديه طلعة لن تضاهى
فازدهى البيت واكفهرت من الرعب ... وأحنت أوثانه أقفاها
هكذا عاشت الجزيرة عمرا ... هامدا يشتكى الضياع متاها
وكذا عادت الجزيرة روحا ... نابضا يصنع الحياة ارتجاها

مذ تلقت رسالة الوحي آيا ... واضح الآي معجزا أحياسا

تقتدي بالنبي مسلك قذ ... لا يباري سلوكه .. لا يضاهى

قدوة حية المآثر صاغت ... أمة حية وعتها اكتناها

ورجالا كانوا المثال على النهج ... لمن خطه خطى واتجاها

* * *

ثم ينتقل الشاعر الى وصف أفول ذلك الماضي المشرق ، وعودة أبناء الأمة الاسلامية الى الضياع والتشرد والابتعاد عن الدين ، فتفشت فيها الخرافات والبدع فيقول :-

واستدار الزمان فرة كون ... عبرة في الحياة لن تتناسى

فكما تخسف البدور لحين ... لم يقس حينه المدى بمداها

وكما تغرب الشموس كلالا ... أو ملالا .. من العيون تراها

قد خبا الضوء في الجزيرة قد طال ... فأغشت بميله مقلتاها

في أسار أطال بالصفد ... قد مال أساها وامتص فضل دماها

رسفت في خطاه لم تنكر القيد ... ثقيلا على المدى - قدماها

بين ليل من التناحر داج ... وانحراف عن رشدها وهداها

في نكوص عن مهيع الدين مزر ... وارتداد كما الصبوء دهاها

مزقتها بها الأباطيل شاعت ... بدعة منكرا أعاب وشاها

فاستطالت بها الخرفات تعلو ... هامة العقل عاجزا يتداهى

ثم ينتقل الشاعر الى عودة الاشعاع والنور الى الجزيرة العربية على يد أحد مجددى الدعوة الاسلامية من أبناء الجزيرة وهو الشيخ / محمد عبد الوهاب والذى ساعده فى احياء الدعوة الاسلامية الامام / محمد بن سعود فيقول :-

وكما تنبت الحبوب غراسا ... يانعات الأثمار فى مجناها
وكما تزهر البذور وتحلو ... فى ورد تفتحت شفتاها
لاح فى تربة الجزيرة نبت ... طاب فى الغصن مورقا بثراها
راقه مطلع النهار ... تأنته مليا - اشراقة تتلاهى
بين تهويمة الصباح زهته ... وعلى مفرق الصباح زهاها
فرنت نحوه الجزيرة باللحظ خفيضا ... أن واه طول كراها
يتراءى لها الصباح مطلا ... ناعس الطرف زائرا قد أتاها
وانجلى الصبح فى النهاية يعلو ... فوق آفاقه الى منتهاها
بابن عبد الوهاب يخطو وئيدا ... فبعيدا بين الفيافى طواها
جاهدا مجهدا رفيق مباد ... قد جفاها ضلالة من جفاها
مستعينا بعد المطاف طويلا ... بسمي أعطى العلا أسماها
وسط دعية أطلت كما النجم ... سناء للطالبين سناها
بالمشيد الصرح المقيم على الدرب ... صروحا للأكرمين جباها

فتلاقى المحمدان على الدعوة إلاّ وذمّةً رعياها

* * *

وفى هذه القصيدة تتجلى -كذلك- مظاهر الوحدة . سواء فى الموضوع الذى طرقه الشاعر وهو وصف حالة الجزيرة العربية قبل الاسلام وأثنائه وبعده . أوفى تآلف المعانى مع بعضها ، أو فى تآلفها مع الألفاظ وتلك أبرز مظاهر الوحدة التى ننشدها ..

فقد تناول الشاعر فى وصفه للجزيرة قبل الاسلام معانى الجهل وشظف العيش وسوء العلاقة بين الناس ، والاعتزاز بالعصبية الممقوتة ، وتناحر العشائر ..

كما جاء فى وصفه لظهور الاسلام بمعانى تبدد الكفر والظلام واشراقة نور الاسلام وتهاوى أوثان المشركين ، وعودة الحياة نابضة بالأمل ، وكيف صنع الاسلام الرجال الذين سلكوا مسلك النبى الكريم فى الاستقامة والهدى والعدل .

وحين تحدث عن حالة الجزيرة بعد انحرافها عن النهج القويم استخدم المعانى الملائمة لذلك من خسوف البدر ، وغروب الشموس ، خبا الضوء أعشت مقلتاها ، رسفت فى القيود ، النكوص عن مهيع الدين تمزيق الأباطيل والخرافات .... الخ ...

الفصل الخامس

الصور الفنية في شعر هذا الاتجاه

ثم أن هناك تآلفا بين الالفاظ والمعانى المعبرة عنهـــا فاســـتخدم لتأدية معانى الجاهليـــة ألفاظا مناســـبة لها مثـل : دجى ، طخياء قبيلة ، عشيرا ، الصحارى ، العدم ، هباء .... الخ ..

وأدى معانى ظهور الاسلام بألفاظ : الفجر ، مشرقا ، الملائك ، البشـير الهادى ، ضياء ، مولد ، وشـح ، ازدهى ، البيت ، الآى ، معجـــزا منهـــج ... الخ ..

وأدى معانى ارتداد الجزيرة وانحرافها عن النهج القويم بألفاظ مناســـبة لذلك المعنى : ، تغرب ، التناحر ، الصفد ، أسـار ، انحراف ، ارتـداد نكوص ، مزقتها ، الأباطيل .... الخ ..

وهكذا تبدو مظاهر الوحدة فى عمل أحمد قنديـــل كما بدت فى عمـــل القرشـــى من قبـــل ..

هذان نموذجان للشـعر الاسـلامى الذى ينحـو منحى القصـة أو الملحمة ، وقد تجلت فيهما مظاهر الوحدة . وهذا مصداق لما أكدناه فى أول هذا الموضوع من أن الوحدة يمكن تطبيقهـــا على الشعر الملحمى أو القصصى ..

يعد البحث فى الصـــورة الفنية فى الادب من أهم البحوث التى يعنى بها النقد المعاصر ، فى دراسته لفن الشعر أو النثر الفنى ٠

ويتقارب مدلول الصورة والتصوير ، والخيال والتخيل ، فهو التعبير عن المعنى المراد بطريقة يغلب عليها البسط والتمثيل ، وتعتمد على الحقيقة أو الخيال ، وتستمد من المادة أو المعنى ، وتعين على الكشف عن المعانى العميقة التى ترمز اليها ٠

ويختلف الادباء بعامة ، والشعراء بخاصة فى مدى قدرتهم على تأليف الصور ، كاختلافهم فى قدرتهم على التخييل ، والربط بين المحسات الواقعية ووصلها بعالـــم الخيـــــــال ٠

وعند الاوربيين : ان كلمة الخيال ، وكلمة الصورة فى الفن الادبى دلالتهما واحدة أو متقاربة ، فانهم يعبرون عن الخيال وعن الصورة بلفظة (IMAGINTION) باللغة الانجليزية ، وبلفظة (IMAGE) باللغة الفرنسية ٠

xxxxx xxxx xxxxx

من شعراء العربية من عرف باجادة هذا التصوير ، الذى يكثر فى الشعـــر الوصفى على وجه الخصوص ، كما اشتهر به جماعة من الوصافين ، من أمثال ابن الرومى والصنوبرى وابن خفاجة الاندلسى ٠

وكثيرا ما يعمد شعراء الصورة الى رسم المعانى المعقولة وابرازها فى صورة محسات ، والجمادات الخرس يصورونها ناطقة محاورة ٠ وذلك قديم فى الادب العربى ، وان كان

لم يدرس الدراسة الكافية ، التى تبرز قدرة الشعراء القدماء على هذا التصوير • وقديما قال الشاعـــــر :

شكا الى جملى طول الســـــرى   صـــبر جميل فكلانا مبتلـــى

وقال عنترة :

فازور مـــــن وقع القنـــــا بلبانـــه   وشكا الى بعبرة وتحمحـــــــــم

لوكان يدرى ما المحاورة اشـــــتكى   ولكان لو علم الكلا م مكلـــــــمى

وقال المثقب العبدى على لسان ناقته :

تقول اذا درأت لها وضيـــــــــنى   أهذا دينه أبدا وديــــــــــــنى

أكل الدهر حل وارتحــــــــــــال   أما يبقى على ولا يقيـــــــــــنى

ففى هذه الامثلة القليلة عمد الشاعر الى تصوير هذه الحيوانات العجم وهى تشكو وتتوجع من وقع الحراب ، أو من طول المسير وكل ذلك من فعل الخيال •

وكلمة الصورة وكلمة التصوير ليست غريبة عن الفكر الادبى عند العرب ، ونحن نحفظ كلمة الجاحظ المأثورة : (فانما الشعر ضرب من الصبغ وجنس من التصويــــر) • ومعنى هذا أن التصوير كما يكون بالالوان والنقوش ، يستطيع الشاعر المجيد أن يحاكى بالالفاظ والعبارات تلك الصـــور • وفى أكثر الاحيان يكون الشاعر أكثر ابداعا من المصور والرسام فى هذا التصوير • والفرق بينهما فى هذه المحاكاة ، أن الاديب أداة المحاكاة عنده هى اللغـــــة ، وأن الرسام آداته النقوش والالـــــوان ، وأن الموسيقى أداته الانغام والالحان • وهكذا تتصل الفـــنون بعضها ببعض وكل ذلك وسائل للتعبير •

××   ××   ××

وقد تحدث عبد القاهر الجرجانى كثيرا عن هذا التصوير فى الباب الذى عقده لدراسة التمثيل ، والذى فرق فيه بين التشبيه والتمثيل ، وابان عن أن جودة التمثيل تبدو فى

تأليف الصـــور وتركيبها ، وبناء بعضهـــا على بعض ، وضرب لذلك مثلا قول الله تعالى : " انمـــا مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه مـــن السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلهـــا أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس " .

ويرى عبد القاهر الجرجانى أن هناك فروقا بين التشبيه والتمثيل ، فالتشبيه عام والتمثيل خاص . " فكل تمثيل تشبيه ، وليس كل تشبيه تمثيلا ، فأنت تقول فى قول قيس بن الخطيم :

وقد لاح فى الصبح الثريا لمن رأى   كعنقود ملاحيـــة حين نـــورا

انه تشبيه حسن . ولا تقول هو تمثيل ، وكذلك تقول : ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها ، لانك تعنى تشبيه المبصرات بعضها ببعض وكل مالا يوجد التشبيه فيه من طريق التأويل كقوله :

كأن عيون النرجس الغض حولهـــا   مداهن در حشوهن عقيـــــق

وقوله :

وأرى الثريا فى السماء كأنهـــا   قدم تبدت من ثياب حـــداد " (١)

× ×× ×

ويرى عبد القاهر أن التشبيه الذى هو أولى بأن يسمى تمثيلا ، ما تجده لايحصل لك الا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر . حتى أن التشبيه كلما كان أوغل فى كونـــه

---

(١) اسرار البلاغة . لعبد القاهر الجرجانى ص (٧٥) ط ١٣٩٨هـ

عقليا محضا كانت الحاجة الى الجملة أكثر . ألا ترى الى نحو قوله عز وجل (انمـــــا مثل الحياة الدنيــا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلهــا أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس) كيف كثرت الجمل فيه حتى أنك ترى هذه الاية عشر جمل اذا فصلت . وهى وان كان قد دخل بعضها فى بعض حتى كأنها جملة واحدة فان ذلك لايمنع من أن تكون صورة الجمل معنا حاصلة تشير اليها واحدة واحـــدة ، ثم ان الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض وافراد شطر من شطـــر ، حتى انك لو حذفت منها جملة واحدة من أى موضع كان أخل ذلك بالمغزى مـــــن التشبيه " (١)

++ xx xx xx

وقد عد بعض القدماء من نقادنا الصورة أو التصوير مظهرا خارجيا الغرض منه الزخرفـــة والتأنق . " والحق .. أن التصوير يقتضى جانبا من الصبغة الشكلية ، يكون من شأنها أن تساعد على التعبير عن التجربة " (٢)

xxxxx xxxxx xxxx

ولقد اتسمت الصورة فى شعر الاتجاه الاسلامى لدى الشعراء السعوديين المحدثين بعنصر الحياة ، الذى يضمن للصور ــ عـــادة ــ البقاء والاستمـــرار ، وذلك راجع الى

---

(١) أسرار البلاغة ص (٨٧) ط ١٣٩٨هـ . (٢) " فنية التعبير فى شعر ابن زيدون " د . عباس الجرارى ص (٥٩) ط ١٩٧٧م .

أن معظم الصور - فى هذا الشعـــر - تتناول وصف المناسبات الاسلامية الخالدة كالحج والعمرة والصيام ، ووصف بيت اللـــه الحرام والمشاعر المقدسة كمنى وعرفات ، وغير ذلك مما ارتبط بحياة المسلمين منذ فجر الاسلام حتى الان .

فموضوع الصورة حى . لذلك كانت هى حية .

والى جانب حيوية الصورة كان هناك أثر واضح للخيال وتدخله فى رسم أبعاد الصـــورة ، والباسها الظلال والايحاء . فكان معظم الصور خياليا جميلا يعنى بالتتابع فى الصـــور وجمع أطرافها واستكمال عناصرهـــا المكونة لها .

والخيال - فى الصورة - يدعو الشاعر الى أن يلتقط أجزاء الصورة من الافق البعيـــد فيجمع المشاهد والمرائى كما يرسمها خياله ، فيأتى بما لاتراه العين حقيقة ، ولكنها تكون له صورة تظل تراها بكامل عناصـــرها .

والصورة الخيالية بهذا المفهوم تحمل المتلقى الى آفاق فسيحة رحبة من التخيل والتأمل ، صيغت فى عبارات فنية أنيقة ، ومن هنا كان التصوير الخيالى قادرا على احداث المتعة الفنية لدى قارئ الادب وسامعـــــه .

والفنية فى الخيال هى القدرة على احكام التصوير بشكل يغرى بمتابعته ، وينسى السامع أو القارئ التفكير فى ماهيتـــه .

فهذا السنوسى يصف لنا آذان الفجر ، وما يصاحبه من تجدد فى الحياة والحركة ، بعد ذهاب الليل وهدأته وسكونه فيقول :

ارتفاع الاذان فوق المـــــــآذن	فى انبلاج الصباح والليل ساكن
دعوة تحمل الحياة الى الكون وسكـــــــانه ، قرى ومـــــــدائن	
ونداء من السماء الـــــــى الارض	الى ظاهر عليها وباطـــن
ولقاء بين الملائك والايمـــــان	والمؤمنين من غـــير آذان
نفحات كأنها نسمـــــــات	رقرقتها خمائل وجنائـــن
تستندى بها النفوس وترتـــاح	ارتياح الربى بقطرالهواتـــن
تمسح الارض من غبار الملاهـــى	ودخان الهوى ولهو المفاتن

فالصورة ــ هنا حية متحركة ، تتلاحق فيها اجزاء الصورة مكونة الصورة الكبرى :

// ارتفاع الاذان ، فى انبلاج الصباح ، والليل ساكن ، ولقاء بين الملائك والايمان والمؤمنين من غير آذن ، ودعوة تحمل الحياة الى الكون كله ٠// هذا التتابع أعطى الصورة شيئا من الابداع ٠

ثم أن الخيال ألبس الصورة ثوبا بديعا ، اعتمد فيه الشاعر على الاشباه والنظائر من المحسات لتقريب المعنى ، فنفحات الاذان كالنسمات العليلة فى الخمائـــل والجنائن ، والنفوس ترتاح لتلك النفحات ارتياح الروابى لقطرات المطر الذى يبعث فيها الحياة والاخصاب ٠ وهذا التنظير بين المعنويات والمحسات اسهم فى ادراك الصورة ٠

xxxxx xxxxx xxxxx

ويمكننا أن نلاحظ فى الصور ـ التى تعتمد على الخيال ـ القدرة على نقل التأثير ، وجمع الصور الصغرى لتكوين صور كبرى نتيجة الاعتماد على الخيال المحلق ٠

نقرأ ـ مثلا ـ قول محمد هاشم رشيد مصورا لحظة خشوعة فى الصلاة : (١)

أحس من حولى وفى أضلعـــى ... على امتداد الافق الاوسـع
بالنور يسرى خاشعـــا فى الدجـــى ... مبتهلا للخالق المبـــدع
وبالشذا يهفو كتسبيحـــة ... نشوى لغير الله لم ترفع
أحس بالكون يصلى علـــى ... شطان بحر بالسنا مـــترع
واننى فى قلبه نبضـــة ... تصدح بالنجوى وبالادمـــع
سبحان من صلت له أضلعـــى ... وكل مافى الكون صلى معـى

فقد بدت الصورة بديعة لاعمال الخيال فيها ، واستطاع الشاعر نقل تأثره بواسطتها الينا ، نتيجة احكامه للصورة الكبرى بجمع الاجزاء المكونة لها من خشوع النور وابتهاله للخالق ، وهفو الشـــذا كالتسابيح ، وصلاة الكون على شطآن بحر مترع بالسنا ، وصلاة الاضلع الى آخر تلك الجزئيات ٠ ونتيجة ترابط تلك الاجزاء فالصورة للحظة تأمل فى ليل داج ، سرت فيه خيوط من نور ، تدل على قدرة الخالق جل وعلا ، أمام بحـر متلالئ الامواج ، فى منظـــر يوحى بخضوع الكون كله ـ بحره وبره ، ضوئه وظلامـــه ، انسانه وحيوانه ـ للخالق المبدع ٠

---

(١) ديوان الشاعر " فى ظلال السماء " ص (١٢٨)

xxxxx xxxx xxxx

ولدى محمد هاشم رشيد قدرة عجيبة على استجماع الخيال فى تصويره ، ودمج أجزاء الصورة بابداع ـ اقرأ قوله : (١)

هذه لحظة الرؤى والقداسـات .. فدعنـا على الضفاف نصلـى
فهنا تلتقـى السماء بأقصـى ماترى العين من شعاع وظـل
ويلف الوجود ستر شفيـف غارق فى غيابة من تجـل
فى مزيج من غبشـة وائتـلاق وفلول من الضباب المطـل

فالصورة هنا معتمدة على الخيال المحلق : فالسماء تلتقى بالارض وبآخر ما تراه العين . والوجود ملفوف فى ستر شفيف ، والستر غارق فى غيابة من تجلى وفى مزيج من الظلمة والنور ، وبقايا الضباب والندى . هذا التمازج بين أجزاء الخيال أعطى الصورة نكهة متميزة تدعو الى التأثر والاعجاب ، فالصورة ـ حينما تسمعها أو تقرأها ـ تنقلك الى الزمان والمكان اللذين صورهما الشاعر .

xxxxx xxxxx xxxxx

ومن الصور البديعة التى اسهم الخيـال فى روعتهـا وجمالها قـول ضياء الدين رجـب : (٢)

اذكرى يابطح كيف أقام الله مجدا مخلدا ... فى بطاحـك
صافحته السماء .. فانتشـرت فيه نجوما تألقت فى وشاحـك

---

(١) ديوان الشاعر " فى ظلال السماء " ص ١٢٦)
(٢) " بحوث المؤتمر الاول للادباء السعوديين " م ١ ص (٢٥٨ ـ ٢٥٩)

ثم ألقت على الاديم من الفجـــــر شعاعا مقطرا فى صباحـــــــك

واديا اسغ الرؤى غـــير ذى زرع ٠٠ محيلا ضممته بجـــاحـــــك

فتندى كأنما اعتصـــر الفجر سلافا من البـــدور الضواحـــــك

وتندت حصبـــاؤه من عقيـــــــق خاضبا لونـــــه زكى جراحك

خضخض السحب فاستهلت تعاطيـــــه نضارا مصفقا فى قـــداحـــك

فاصورة ترسم بطاح مكة ، وكيف غير الاسلام معالمها ، فأحال وديانها المقفرة وشعابها الجرد الى موطن للمجد والاخصـــاب ، وقد اعتمد الشاعر على الخيال المحلق : صافحته السماء ، شعاعا مقطرا فى صباحك ، تندى كأنما اعتصر الفجر ، تعاطيه نضارا مصفقا .. الخ ــ مما رفع من شأن الصورة وابداعها واحكامها ٠

xxxxx xxxxx xxxxx

وكثيرا مايعتمد الشعراء – حينما يتناولون تصوير الاشياء المعنوية – على الاشباه والنظائر – ويعمدون الى تشبيه المعنوى بآخر محس مرئى ، لتقريب الصورة وسهولة ادراكها :

فهذا السنوسى يصور الارواح المؤمنة فى رمضان بقوله : (١)

طافت بك الارواح سابحة كأسراب الحمـــــام .

بيضا يجللها التقى نورا ويصقلها الصيـــام

رفافة كشذا الزهـــور نقية كندى الغمـــام

فالروح شئ معنوى لايدرك ، لكن الشاعر عمد الى تجسيمها وتقريبها للسامع فشبهها تارة بأسراب الحمام السابحة ، وأخرى بشذى الزهور ، وثالثة بندى الغمام ، وهذا التجسيد للمعنوى عن طريق ذكر نظائره من المحسات يقربه للذهن فيدركه بسهولة .

xxxxx xxxxx xxxxx

وأمثال هذا النوع من التصوير نجده عند حسن القرشى حينما يصور الضلال والشر فيقول : (٢)

أى بشرى علوية الترديـــد غمرت بالهدى شعاب الوجـــود

الضلالات ثاكلات حزانـــى والطواغيـــث عفرت بالـــتراب

وتلاشت مواكب الشـــر حسرى كسراب على الرمـــال بـــديد

فلنا أن نتخيل مع القرشى صورة الضلالات – وهى أمر معنوى – وقد لفها الحزن كالثكالى ، فأصبحت قريبة الى الذهن . وكذلك مواكب الشر وكيف ندركها حينما جاء

---

(١) ديوان السنوسى " الاغاريد " ص (١٤)

(٢) القرشى " الامس الضائع " ص (٩٣–٩٤) ط الثانية

لها بشبيه محس وهو السـراب المنتشر على الرمال ٠

ويصور زاهر الالمعى الاخوة الاسلامية فيقول[١] :

عبقت بالنشر فى أزكى مكـان … وبدت شماء فى أفق الزمـان
وتهادت بين أزهار الربـى … غضة هيفاء كالدر المصـان
ومضت تمعن فى اصعـادها … تتعالى فى مرامى العنفـوان
تحسب الانجم قد مالت لهـا … فاستنالتها بأطراف البنـان
قلت : قد بالغت فى العجـب فما … باعث الاعجاب يازين الحسـان
فاشرأبت للعلا قائلـة … انها من أرض القداسات مكـانى

فالصورة للاخوة الاسلامية وهى أمر معنوى ، ولكن الشاعر عمـد الى تجسيمهـا وبلورتها عن طريق المحسات فجعلها شماء مرتفعة ، غضة هيفاء ، تتناول الانجم بأطراف بنانها وهـذا التجسيد للمعنوى عن طريق المحسوس يدنى الصورة ويجعلها فى متناول الذهـن ٠

xxxxx xxxxx xxxxx

وحينما يتناول الشعراء تصوير الماديات يميلون الى التشخيص وابراز معالم الصورة وجوانبها ، مما يؤدى الى وضوحها ووضوح المعنى الذى جلبت لتأديته ٠ من مثل قول

---

(١) ديوان " الالمعى " " على درب الجهاد " ص (١٠٩ـ ١١٠ " ط الاولى

محمد هاشم رشيد فى تصوير المئذنة :(١)

يا اصبعا تومىء نحو السمـــــاء   يامنبرا للحق عالى البنـــــاء

يارمز حب شامخ بـــــاذخ   مجلجل يحمل روح الابـــــاء

وجوهر الايمان فى دعـــوة   تهتز منها مهج الاتقيـــاء

وقفت كالحارس فوق الـــذرى   فى موقف يجمل فيــه النـــداء

الا تلاحظ أن الشاعر عمد الى تشخيص المئذنة وتجسيمها وبيان معالمها ، فجعلها منتصبة كالاصبع التى تومىء نحو السماء ، ثم جعلها كالحارس المتيقظ فى وقفته على مرتفع من الارض . هذا التشخيص أسهم فى ايضاح أبعاد الصورة ، وتقريب المعنى .

xxxxx xxxxx xxxxx

وفؤاد شاكر — مثلا — يصور بائسا فقيرا ، ذهب به بؤسه كل مذهب ، فيهتم بابراز معالم تلك الصورة ويشخصها فيقول :(٢)

من رآى البائس المعذب يمشـــى   شارد اللب فى ذهـــول الجنـــاة

ضامر الجسم طاوى الكشح حـــتى   دق مرآه عن خيال الـــــرواة

أذهل الهم نفســه فتناســـى   من لديه فى البيت من فلـــذات

فالشاعر يصور المظهر الخارجى المادى للبائس الفقير ، فيستعين بتشخيص مظهره وأنه شارد اللب ، ضامر الجسم ، طاوى الكشح ، قد دق مظهره ونحـل جسمـــه ،

---

(١) ديوان هاشم رشيد " فى ظلال السماء " ص وهيهت
(٢) ديوان فواد شاكر " وحى الفواد " ص (١٤٠) ط الثانية

وجملة هذه الاوصـــاف تبين معالم صورة ذلك الفقير ، وتسهم فى ايضاح المعنى الــذى اجتلبت الصورة له وهو اثارة نزعة الشفقة والرحمة على ذلك المسكين .

والى جانب التشخيص ـ فى الصور المادية ـ قد تتسم الصور بالايحاء والظلال ، بحيث يتلاشى ماللصورة من معنى مادى حسى ومنظرى ، عـــن طريق تركيـــب الصور وادخال الاستعارات البديعـــــة ذات الابعاد والظلال الفنية ، من مثل قول أحمد البهكلى فى تصوير الليل : (١)

ليلة والنجوم تستغفـــــــر الليـل ... وما حاز قدرة الغفـــــــــــــران

وعواء الرياح يخفت حينـــــــــا ... ثم يعلو كآهـــــــة الولهـــــــــان

وهنا فى الخبـــــاء ينتجع الطهـــر ... فيجنى ثماره عرســـــــــــــان

وجذوع النخيل راهنت الليـــــل ... وللفجـــــر شدة العنفـــــــــوان

لم تكن غير لحظـــــة فاذا الليـل ... طريد الرحيل فى اذعـــــــــان

فالصورة مادية ، عناصرها : الليل والنجوم ، والرياح وجذوع النخيل ، وطلوع الفجر ، لكن الشاعر عمد الى تركيب الصور ، واستخدام بعض الاستعارات الموحية كاستغفار النجوم ، وعواء الرياح ، ومراهنة جذوع النخل لليل . هذا الايحاء الذى تضمنته الصـــورة أخفى الجانب المنظرى للصورة فى زحمة الظلال وتركيب الصـــور .

xxxxx xxxxx xxxxx

---

(١) ديوان البهكلى " طغيان على نقطة الصفر" ص (١٩) ط الاولى

ومثل هذا الايحاء نجده فى قول القرشى يصف بطاح مكـــة : (١)

تفتق عن راحتيها الصبـــــــــاح وشعشع فى شفتيهـــــا القمـــر

وأزهت بها الشمـــس فوق البطـاح وجن بهـــا الليل حلو الصـــور

أيا قمة فوق هام الخـــــــلود سمت بسناها الشـــذى العطـــر

اذا مارتقيت اليك انطـــــــوى بحسى الزمان وكل البصـــــــر

فبرغم أن الصورة مادية لبطاح مكة ، نجد أن بعض الاستعارات الموحية ـ كاسناد الشفتين والراحتين الى مكة وكنسبة الهام الى الخلود ، وانطواء الزمان ـ قد أضفى عليها شيئا من الايحاء والظلال فتلاشى المظهر المادى ووضـــــــح المعنى ، وهو جمال تلك البطاح واشراقها .

xxxxx xxxxx xxxxx

ويبدو فى الصور المادية جانب الحشد وتلاحق المرائى والمشاهد من مثل قول محمد حسن العواد : (٢)

كلها كلها الاناسى والانعام والطير والرؤى والطيـــــــــــوف

والجمادات والبهائم والاملاك والجن والصدى والحفيـــــــــف

والاماثيل والعناصر والا زمـان والقفر والمكان الاليـــــــف

والسنا والظلال والصـــوت والفكرة والحس والهوى الملفـــوف

---

(١) ديوان القرشى " نداء الدماء "

(٢) ديوان العولد " نحو كيان جديد " ص (٤٨)

كلها تضمر الصلاة وتبديها صنوفا تمتاز عنهـــا صنـــوف

لقد حشد الشاعر أجناسامن المخلوقات فى شكل صور متلاحقة: الاناسى والانعام والطير والصدى والحفيف ، والجمادات والبهائم والجن والرؤى والطيوف ، والسنا والظلال .... الخ .

هذا التلاحق فى المشاهد أبرز المعنى العميق الذى أراد الشاعر نقله عن طريق الصورة ، وهو أن كل الكائنات حية أو غير حية تصلى لله وتسبحه وان كنا لا نفقه ذلك التسبيح وتلك الصلاة .

xxxxx xxxxx xxxxx

ومثل الصورة السابقة للعواد قوله فى نفس المعنى : (١)

لم هذى الرياح تدوى شمـــالا وجنوبا تفـــر الامطـــارا ؟ ؟
لم ذا البحر فى هدوء اذا شـــاء وان شاء أرسل التيـــارا ؟
لم هذا البخار يصعد من فوق سطـــوح المياه يبغـــى مطـــارا ؟
لم تسرى سيارة الارض حـــول الشمـــس .. دآبة الســـرى أدهـــارا ؟
لم هذى الاجـــرام تشرق ليـــلا لم ذى الشمس تبهر الابصـــارا ؟
رب أمكت أنك القادر الفـــرد ملكت الظلام والانـــوارا ؟

(١) ديوان العواد " نحو كيان جديد " ص (٣٢ — ٣٣)

فالمشاهد مادية مدركة متتابعة فى صورة تشد السامـــع لنهايتها ، حيث بناها الشاعر على التساؤل المتكرر ، ثم ختم التصوير بتقرير الحقيقة ، وهى أن كل مافى الكون من آيات ومتغيـــرات ملك للخالق المتصرف عز وجل .

ومن هذا النوع من الصور قول طاهـــر زمخشرى : (١)

أهيم بروحى على الرابيـــــــة	وعند المطاف وفى المروتيـــــــن
وأهفو الى ذكر غاليـــــــــة	لدى البيت والخيف والاخشبـــــين
أهيم وعبر المــــدى البعيـــــد	يعلق فى بابه النـــــــــيرين
فان طاف فى جوفه مسهـــــد	وألقى على سجفه نظـــــرتين
تراءى له شفـــق مجهـــــــد	يوارى سنـــا الفجر فى بردتـــين

فقد حشد الشاعر عددا من المحسات المادية : المطاف . المروتين الخيف ، الاخشبين ، المعبد ، الباب ، النيرين ، السجف ، الشفق .. الخ .

وقد أثرت هذه العناصر المحشودة ـ المكونة للصورة ـ فى المعنى نستشف من خلالها مدى تعلق الشاعر بالمشاعر المقدسة ، وهفو روحه اليها ، وتطلعه لاشراقتها .

xxxxx xxxxx xxxxx

وهكذا نجد الصور الشعرية فى شعر الاتجاه الاسلامى عند الشعراء السعوديين حية

---

(١) ديوان طاهر زمخشرى " أغاريد الصحراء " ص (٦٤) ط ١٣٧٨هـ

نابضة ، تعتمد تارة على الخيال المحلق ، وتميل الى تجسيد المعنى عن طريق المحسات ليقرب الى الذهن ، وحين تتناول الجوانب المادية تنحو منحى التشخيص وابراز معالم الصورة التى تكون صورا كبرى من مجموع الصور الجزئية .

وقد تناول الشعراء السعوديون الصور المعنوية وهى تلك التى يتناول فيها الشعراء تصوير معـــــــنى من المعانى، التى هى عكس الماديات كتصويـــــــر السعادة والفضيلة والدين ، والحقيقة ، وهواجس النفس .. الخ

xxxxx xxxxx xxxxx

والصور المعنوية فى شعر الاتجاه الاسلامى عند الشعراء السعوديين المحدثين ـ تبدو أقل نصيبا من سوابقها من الصور ، برغم كثرة المعانى ، وذلك راجع الى أن معظم الشعراء صبوا جل اهتمامهم على وصف الاماكن المقدسة ، وما حدث ، ويحدث فيها من مناسبات كالحج وما يستلزمه من طواف وسعى ، واحرام ، وتجمع بعرفة ومنى ومزدلفة ، ونحر الهدى ، والحلق ، وغـــــــير ذلك من الامور المادية .

xxxxx xxxxx xxxxx

والسمة التى يمكن استخلاصها من الصور المعنوية القليلة ــ هى : مزج تلك الصـــــور بالحالة النفسية للشاعـــــــر . بمعنى أن الشاعر لاينقل الينا الصورة مجرد نقل الى بل يضفى عليها من ذاته ، وحالته النفسية ، وأحاسيســــــه ومشاعره ، ما يكسبها قيمة

تحملنا على مشاركة صاحبها أحاسيسه ومشاعره .

يقول عبد الله بن خميس عن حقيقة المساواه فى الاسلام ، التى حاول المغرضون طمسها :[1]

فما بال أقوام أشاحوا وأرجفوا وطاشت بهم دون الحقيقة أحلام

سنبعثها يعشى الخفافيش ضوؤها تقوض أصناما ويحنى لها هام

تشيع ظلال العدل غار معينة وتمحى بها من صفحة الكون آثام

فالصورة للحقيقة ، التى يعد الشاعر ببعثها قوية ناصعة ، تعيد العدل الى الارض كما كان ، وتمحو كل أثر للباطل ، والتفرقة العنصرية ، فتحنى لها الهام اجلالا .

ونستطيع أن ندرك — من خلال الصورة السابقة — الى أى مدى مزج الشاعر بين الصورة وحالته النفسية ، وذلك من خلال الثورة والغضب ، اللذين يبدوان فى الابيات ، فالشاعر ثائر على مبادئ العنصرية ، والتفرقة والتفاضل بين الشعوب .

وقد انعكست هذه الحالة النفسية على صورة الشاعر ، حينما استخدم أسلوبا استفهاميا انكاريا فى أول بيت " فما بال أقوام ... " ، ثم أردف ذلك بعبارات قوية ، تدل على انفعاله وغضبه ، ويقينه بعودة الحقيقة المفقودة ، عودة قوية " سنبعثها يعشى الخفافيش ضوؤها ، تقوض أصناما ، تشيع ظلال العدل غار معينة " ، فحالة الشاعر ممتزجة بالصورة ، مسيطرة عليها ، مما أعطى الصورة دفقا

---

(١) ديوان الشاعر " على ربى اليمامة " ص (٣٠)

كبيرا من القوة والحرارة .

xxxxx xxxxx xxxxx

ومن أمثلة هذه الصور ، قول محمد حسن الفقى عن الدين : (١)

وما الدين فى هذى الطقوس وان بـــــدت
مظاهـــر قد يطوى القديم جديدهـــا

ولكنه روح تشع بنـــــــورها
على ظلمات ضل فيها رشيدهـــا

اذا ما اطمأنــــت للطريق مشت بـــا
ولو كان فيها حتفها .... وخمودهـــا

فالصورة للدين ، وهو أمر معنوى . والشاعر يعيـــش وسط حشد هائـــل من مظاهر الحياة الحديثة ، التى تغرى بمعطياتها ، ولكنـــه يضيق بهذه المظاهـــر ويحاول التعبير عن ذلك ، بتجلية حقيقة الدين ، التى ينبغى أن يعرفها المسلم . ويمكننا قراءة الحالة النفسيـــة ، التى صاحبت الشاعـــر أثناء عرض الصـــورة ، فالشاعر متألـــم لانبهار الجيل بمغريات العصـــر ، لذلك نبه الى أن الدين ليس فى هذه المظاهـــر الزائفـــة ، التى قد تخدع بجدتها ، وهى — حقيقـــة — أبعد ما تكون عن جوهر العقيدة ، التى اذا تأصلت فى النفوس ، شحنتهـــا بطاقة ايمانيـــة ، لايغـــيرها الزمن ، ولا تضللها الطـــرق المتفرقة .

---

(١) ديوان الشاعر " قدر ورجل " ص (١٣٢) ط أولى

وكذا قول محمد الشبل :(١)

رباه أقفرت المشاعـــــر من سعادتها الثمينة

وتحركت فى كل جانحـــة وساوسها الدفينـــة

وتفجرت دنيـــاالشقاء بكل صيحات الضغينة

فالصورة معنوية ، ترسم زوال السعادة عن المشاعر ، وكثرة الوساوس وتفشى الحقـــد والبغضاء .

والصورة تبدو – للوهلة الاولى – ممزوجة بحالة الشاعـــر النفسية ، وبأحاسيســه وانفعالاته ومشاعـــره . فالشاعر يرثى واقـــع أمته المسلمة ، الذى جعل من نفســه صورة له ، وانطقته الحقيقـــة المـــرة به ، فالمشاعر مقفـــرة من كل أثر للسعادة ، والوساوس المختلفة تذهب بالنفس كل مذهب ، فى عالم سادت فيه الضغينة ، وشوهه الحقـــد البغيض .

وقد أدى هذا المزج بين الصورة والحالة النفسية للشاعر ، الى ابراز المعنى المراد بوضوح ، وهو بيان ما وصلت اليه الامة الاسلامية من الخواء الروحى .

xxxxx xxxxx xxxxx

ويصور زاهر الالمعى " الاخوة الاسلامية " وشموخها ورفعتها ، وكيف انبعثت من أرض القداسات ، رباطا وثيقا يشد أوطان المسلمين وشعوبهم فى كل أرض ، وتحت كل سماء ،

---

(١) ديوان الشاعر " نداء السحر " ص (٦١)

فيقول : (١)

عبقت بالنشر فى أسنى مكـــــــان وبدت شماء فى أفـــق الزمان

وتهادت بين أزهـــار الربـــــى غضـــة هيفاء كالدر المصـــان

ومضت تمعن فى اصعـــــادهــــا تتعالى فى مراقى العنفـــوان

تحسب الانجم قد مالت لهـــــا فاستنالتها بأطراف البنــــان

قلت : قد بالغت فى العجـب فمـــا باعث الاعجاب يازين الحســـان

فاشرأبت للعلا قائلــــــــة أنا من أرض القداسات مكانـــى

فالــصورة معنوية ، اذ أن الشاعر يتحدث عن الاخوة الاسلامية ، ويبدو انصهار روح الشاعر وذاته فى الصورة ، فهو يحل الاخوة الاسلامية المكان الرفيع ، ذلك لانها الرباط القوى ، الذى يقارب بين الشعوب الاسلامية .

ويمكننا أن نقرأ الحالة النفسية للشاعر من خلال تصويره للاخوة الاسلامية ، فهو حينما أنشأ أبياتـــه بالمغرب العربى ، سيطرت عليه نشوة الاعتزاز بتلك الاخوة التىوصلتالقاصى بالدانى أنامرأبنائهـــا ، ولم تفضل جنسا عن جنس ، أو وطنا عن وطن . لذلك بدأ الالمعىصورته للاخوة الاسلامية بعبارات الاطراء والاكبار " عبقت بالنشـــــر ، فى أسنى مكـــان ، بدت شماء ، فى أفق الزمان ، كالدر المصان ، تحسب الانجم قد مالت لها ، اشرأبت للعـــــلا ، أنا من أرض القداسات ...الخ .

---

(١) ديوان الشاعر " على درب الجهاد " ص (١٠٩ — ١١٠) طالاولى ١٤٠٠هـ

xxxxx xxxxx xxxxx

ويصور البهكلى " عزة الاسلام " التى ارتفعت عاليا على مر العصور ، وكانت عطرة الذكر ، منبعها كتاب الله الكريم ، الذى تكفل الله بحفظه ، فيقول :(١)

ياعزة علت السهى ضربت	كل العصور بأوجها المثلا
انى أحسك فى لهاى وفى	أنفى طيوبا تزدهى .. وحلا
ألقاك فى هذا الكتاب مدى	مترفعا يستبعد الازلا

لقد مزج الشاعر بين الصورة المعنوية للعزة الاسلامية ، وبين ذاته وأحاسيسه ومشاعره .

ان الشاعر يحس بعظمة تلك العزة ، وعلو شأنها ، وتسيطر على مشاعره وأحاسيسه صورة الماضى ، الذى ولدت فيه تلك العزة ، وهو لايزال يتنسم رائحتها ، ويتذوق طعمها . ويجدها فى مظنتها الاولى : القرآن الكريم .

ويمكننا أن نستشف روح الشاعر الهائمة بتلك العزة من خلال عباراته فى الصورة : ياعزة علت السهى ، أحسك فى لهاى حلا ، أحسك فى افقى طيوبا ، ألقاك مدى يستعيد الازلا . اذ أن احساسه بطعمها فى لهاته ، ورائحتها فى أنفه من فرط اعجابه بها .

xxxxx xxxxx xxxxx

---

(١) ديوان أحمد بهكلى " طيفان على نقطة الصفر " ص (٤٦) ط الاولى ١٤٠٠هـ

وقد تنوعت الصور فى شعر هذا الاتجاه الاسلامى كما تنوعت فى سائـــــر فنون الشعـــــر فتارة نجد الصور حركية من مثل قول محمد حسن العواد : (١)

لم هذى الاياح تدوى شمـــــالا وجنوبا تفـــرق الامطـــارا ؟
لم ذا البحر فى هدوء اذا شـــاء (م) وان شاء أرسل التيـــارا ؟
لم هذا البخار يصعد فوق سطـــوح المياه يبغـــى مطـــارا ؟
لم تسرى سيارة الارض حـــول الشمس دآبـــة السرى أدهـــارا ؟
رب آمنـــت أنك الخالق الفـــرد ملكت الظـــلام والانـــوارا

فعماد هذه الصورة الحركة كما نرى . فهذه الرياح العاصفـــة المدوية تتجه تارة للشمال وأخرى لاجنوب ، وهذا البحر الخضـــم هادىء تارة ، وأخرى متلاطم متحرك يرسل التيار والبخار متحرك من فوق سطوح المياة ، والارض تدور فى حركتها الدائبة حول الشمس منذ الازل . انه مشهد ملىء بالحركة .

ومثل هذه الحركة نجدها فى قول ضياء الدين رجب ، وهو يصور خروج الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم مهاجرا بدينه ، وقد بعثـــت قريش عيونها خلفه : (٢)

ساريا هاديـــا بساهرة النجـــم ويمشـــى فى ظله غـــير وان
ضاربا فى الرمال ساخت بهـــا أقدام شـــان مقامـــر أفعـــوان
بعثته قريـــش عينا علـــى الهـــادى فزلـــت بسعيـــه القدمـــان

---

(١) ديوان الشاعر " نحو كيان جديد " ص (٣٢ ـ ٣٣)

(٢) بحوث المؤتمر الاولى للادباء السعوديين " المجلد الاول "

والرسول العظيم يمضى لمـــرماه رضى الفـــؤاد ثبـــت الجنـــان

الصورة هنا أيضا حركة . ألا ترى حركة الرسول صلى الله عليه وسلم - من خـلال الصـورة - وهو مدلج بالليل مهتديا بالنجم غير واهن ولامتعـب ، يغذ السير فى الرمال ، ثم صـورة ذلك المبعوث لرصد حركة الرسـول وقد زلت قدماه ، ساختا فى الـــرمال ، والرسول الكريم دائم السير ثابت الخطى . انها صورة مليئة بالحركة

xxxxx xxxxx xxxxx

ومن الصور التى تعتمد على الحركة فى ابراز معالمها قول محمـد السنوسى فـى وصف يوم الحج الاكبر : (١)

فى مثل هذا اليوم من كـل عام ... يزدهر الحجر ويزهو المقـام
مقام ابراهيم سامـى الخطى ... وحجر اسماعيل نعم الغـلام
وتسبح الارواح رفـافة ... اطيافها مثل رفيـف الحمـام
وتلتقى الدنيا بأجناسهـا ... فى وحدة رائعـة وانسجـام
من كل فج اقبلـواحسـرا ... شوقـا الى البيت العتيق الحرام
كالسيل فاضـوا وأفاضـوا به ... وانسكبوا بين الذرى والخيـام
تستبق الخطو الىسا حـة ... مشى ابن عبد الله فيها وقـام

ان الطابع الغالب على هذه الصورة هو الحركـة . فالارواح تسبح وترفرف مثل زخرفة

---

(١) ديوان الشاعر " أزاهير " ص (٢٠ - ٢١) ط أولى

الحمام المحلق ، وأمواج البشـــــر تتلاطم من كل جنس ولــــون ، يهوون الى البيت الحرام من مختلف شعاب الارض ، كالسيـــل المضطرب الجوانب ، صاعدين تــارة الى ذرى الجبال ، ومنحـــدرين أخرى الى الخيام ، مسرعى الخطى الى حيث البيت العتيق ، مدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

xxxxx xxxxx xxxxx

وهناك صور شعرية سمعية اعتمد الشعراء فيهـــا على الاصوات فى رسم ملامح وأبعاد الصورة الفنيــــة ٠

فهذا عبد الله بن خميس يصور لحظة دخول الفئــــة المارقة التى اقتحمـــت المسجد الحرام فيقول (١) :

راعـــوه فى جنح الظلام بصيحـــــة فزعت لها الصـــلوات والاذكار
وتعطل التسبيح فى جنباتــــــــه واستأثرت صرخاته والنـــــار
سكت الهدى فيه فـــــلا مطوف يرجو النجاة به ولاستغفــــار
قفر فـــلا المحراب يعمره الالــــى بقنوتهم تتعطر الاسحــــــار

ألسنا أمام تصوير مسمـــوع هنا ، فهذه صيحة أولئك المارقين قـــد روعت المسجد الحرام الآمن بدويها ، وهذا التسبيح الذى يتعالى فى جنبات المسجد قد سكتوا نقطـع ، وهذه الصرخات الفزعة قد طغت على كل شئ ، فلا دعاء ولا قنوت ٠ لقد اعتمد الشاعر فى الصورة ــ كثيرا على الاشياء المسموعة فالصورة اذن سمعية صوتيــــة ٠

---

(١) انظر " المجلة العربية " ع (١١) س (٣) ربيع الاول ١٤٠٠هـ

xxxxx xxxxx xxxxx

ومن هذا النوع من الصور السمعية التى تعتمد على الاصوات فى أجزائها قول القرشى : (١)

هللى يابطاح مكة حقـــــــــت دعوة الحق من فتـــــاك الرشيد
هزة الوجد حين وافـــــــاه جبريل ببشرى ابتعاثه المشهـــــــود
وزها البشـــــر من خديجــــة ثـــرا فرعته فرحى بقول مجيــــــد
ثم ألوى ميمما وجـــــه الغـــار بتكبيرة الاله الحميــــــــد
هن لحن الاجيـــال أنشـــودة الخير ورمز الالهام والتشييــــــد
يا لهذا الترتيل يغـــترع الافـــق وهذا التهليل والترديــــــد
السماوات رنمت من صـــــــدا ه والروابـــى ترنحت بالنشيــد

انها صورة سمعية أجزاؤها • تهليل بطاح مكة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وجهر الرسول بتكبير الله عز وجل ، الذى صار لحنـــا ونشيدا للاجيال المؤمنـــة وذلك الترتيل الذى دوى فى الافاق تهليلا وترديدا ، وترنمت السماء بصداه ، ورددت الروابى نشيده •

xxxxx xxxxx xxxxx

أما الصورة المنظرية المرئية فهى الغالبة فى شعر هذا الاتجاه • فهـــذا ـ مثلا ـ سعدالبو اردى يرسم صورة لجهاد الفدائيين وكفاحهم من أجل وطنهم المقدس فيقول : (٢)

---

(١) ديوان القرشى " الامس الضائع "
(٢) ديوان الشاعر " أغنيات لبلادى " ص (٧٤ ، ٧٥)

هالنى اليوم أن أرى الصبـــح حولــى ‏ ‏ ‏ ‏ أن أرى فى السماء شمسا جديدة
فجرت نورها حــــراب فدائى لتعطى ‏ ‏ ‏ ‏ دنيا الفـــداءوقـــــــــودة
يالجمر الفـــد ايشب على الافــــق ‏ ‏ ‏ ‏ مذيبا ضبابه وجـــــــــليده
ان تحت الضباب مأساة شعــــــب ‏ ‏ ‏ ‏ وضروبا من الهوان عـــــديدة
ان تحت الضباب نهـــر دمـــــاء ‏ ‏ ‏ ‏ فاض فى دفقـــه فهد وريــده
ان تحت الضباب أكواخـــــامن القـــــــــش .. شريد بها انتحى بشريدة
ان تحت الضباب طفـــلا تـــوارى ‏ ‏ ‏ ‏ وأبا تائهـــا وأما شهيــــدة
ان تحت الضباب شعبا بلا أرض .. ‏ ‏ ‏ ‏ على أرضه استباحت يهــــوده
ان تحت الضباب وصمـــــة اذلال ‏ ‏ ‏ ‏ على هامنا تطـــــل رهيبــــة

فقد رسمت الصورة منظرا لذلك اليوم الذىانطـــلق فيه الفدائيون باذليــن دمهم مهراقا فى سبيل وطنهم ، مذيبين جليـــد الاستكانة ، ومشعلين نار الحق من أجـــل أطفال بلا مأوى ، وشيوخ تائهين ، وأمهات شهيدات ، من أجـــل مسح وصمة العار والذل عن كل جبين عربى .

والصورة عبارة عن مشاهد ومناظر متتابعة ، الصبح المنبعث بشمس جديدة ، وجمر الفداء ملتهب فى الافق يذيـــب الضباب والجليد ، وتحــت الضباب نهـــر من الدماء الزكية ، وطفل غاب ، وأب تائه وأم شهيـــدة ، ... الخ .

xxxxx xxxxx xxxxx

ومثل هذا النوع من التصوير نجده فى قول عبد الرحمن العشماوى : (١)

أيها الشام قد أتيتك مجروحـــــا فـداو الجراح وأحمــل بريـــدى
واذا ما أتيت مسجدنا الاقصــــى وأحسست بالظـــلام العنيـــد
ورأيت الشموع موبوءة الاضـــواء مطعونة برمح الجحـــود
ورأيت الابطال تندى مآقيهـــم وتهفو نفوسهم للقعـــود
فانتفض صارخا وبدد سباب القـــوم واهتف بدعوة التوحيـــد
لترى ذلك النووم وقـــد ثـــار وأهوى بسيفـــه المعهـــود
ذاك طبع النفوس كالنـــار يقوى عزم أضوائهـــا بفعل الوقـــود

هذه صورة بصرية مرئية . ذلك أن الشاعر جلى صورة المسجد الاقصى المرئية ، فالظلام العنيد يخيم عليه ، وشموعه التى كانت متوهجة أصبحت موبوءة الاضواء ، والابطال تندى مآقيهم قانعين بالقعود ، لكنهم لايلبثون أن يثوروا استجابة لدعوة الحق الخالدة شأنهم ــ فى ذلك شأن النار الخامدة لاتلبث أن تستعر اذا زودت بالوقود .

xxxxx xxxxx xxxxx

ومن أجمل الصور البصرية قول محمد هاشم رشيد : (٢)

هذه لحظة الرؤى والقداســـات فدعنا على الضفـــاف نصلـــى
فهنا تلتقى السماء بأقصـــى ماترى العين من شعاع وظـــل
ويلف الوجود ستر شفيـــف غارق فى غيابة من تجلـــى

---

(١) ديوان الشاعر " الى أمتى " ص (٨٨) .
(٢) ديوان الشاعر " فى ظلال السماء "

في مزيج من غبشة وائتـــــــــــلاق   وفلول من الضباب المطـــــــــل

انها صورة بصرية جميلة . صلاة عند الضفاف ، حيث تلتقى السمـــــــاء بالارض فينتهى ماتراه العين من شعـــــاع وظــــل ، الوجود ملفوف بستر شفيف ، غارق فى غيابة من تجلى ، مع تمازج رائع بين الغبشة والائتلاق ، وفلول الضباب تطل من كل ناحية .

××××× ××××× ×××××

وقول ضياء الدين رجب عن وحدة الشعوب الاسلامية وتقاربها : (١)

لــى نشوتان .. فنشوة قد أشــــــرقت   فى الروح والاخــــرى على أوصالى

فى وحدة الالام ذبنا فـــــــــــترة   أفلا تذوب بوحدة الامـــــــال

الله قد جمع القلوب شمالهـــــــــا   لجنوبها .. وجنوبهـــا لشمال

وترفقت نسمات مصر فرفرفـــــــــت   فى الشام بين مرابع وظـــــلال

تحملن عن بردى أرق نسيمـــــــــه   ينسبن بين سباسب وتـــــــلال

ومها تحوم على الموارد فى الحمـــــى   وموائس فى الغوطتـــين حـــوالى

حتى أغرن البان لسن حــــــــواذرا   وزحمنه فى موكب المختـــــــال

يانيل يابردى رويدا بالمــــــــــنى   بطيوف أحلام هناك غـــــــوالى

يافرحة الالق المشعشع فى الضحــــــى   تحكى ثنايا تضـــت بلالــــــى

هذه صورة بصرية ، فنسمات مصر ترفرف فى مرابع الشام وظلاله ، ونسائم بردى تنساب

---

(١) ديوان ضياء الدين رجب ص (٢٨ – ٢٩) ط دار الاصفهانى

بين السباســـــب والتلال ، والمها تحـــــوم على الموارد ، وموائـــس الاغصـــــان
تتلاعب في الغوطتين ، والالق المشعشع في الضحى يحاكى الثنايا البيض .

الفصل السادس

الشعر الإسلامي في هذا العصر
والموازنة بينه وبين
الشعر الإسلامي في العصور السابقة

خاضت الامة الاسلامية في العصر الحديث ضروبا من الصراع الفكرى بين المذاهب المختلفة وربما استفحل هذا الصراع حتى ادى الى معارك داميه .

فمنذ أواخر القرن الثاني عشر الهجرى الثامن عشر الميلادى ، ظهر جماعة من الأئمه المصلحين ، كان لهم الفضل في تجديد روح الشباب الاسلامي ، والعودة الى منابع الهدى القويم كالامام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربيه والامام محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا وشكيب أرسلان والامام حسن البنا والاستاذ / سيد قطب في مصر .

فقد تصدى هؤلاء الائمه وغيرهم من دعاة الاسلام للدعوات المضلله التي روجها أعداء الاسلام باسم العصرية والتقدم .

وكان طبيعيا أن تثور الروح الاسلامية بشبابها ورجالها للدفاع عن الاسلام متمسكة بتراثها ، فاستخلص الادباء منه موضوعات شتى تدعو الى الاعتزاز به وتدلل على أصالته . وقد خاض الشعر والشعراء معركة الاتجاه الاسلامي منذ أخريات القرن الثاني عشر ، فنشر أمجاد الاسلام الماضيه وسير أعلامه الخالدين والقى الضوء على مكارم الاخلاق وفضائل النفوس التى تحلى بها السلف الصالح ، كما أبرز الاحداث والوقائع الاسلاميه التي انتصر فيها المسلمون الأولون فنظمت في ذلك كله القصائد والملاحم

ويعتبر (شوقي)(١) أمير الشعراء في العصر الحديث واحدا من الشعراء الذين تغنوا بالامجاد الاسلامية وخصصوا لها بعض انتاجهم الشعرى .

فقد كان شوقي - كما يقول الدكتور نجيب الكيلاني - (ينظر الى أيام الاسلام الأولى نظرة احترام وتقدير بالغين وينظر الى مبادئه العاليه نظرة المؤمن بها ، الواثق بها كل الوثوق (٢)

لذلك كثرت قصائد شوقي الاسلامية في المناسبات الاسلامية المختلفه كالمولد النبوى والحج وله روائع تعد من عيون الشعر الاسلامي كهمزيته المشهورة التي يبدأها بوصف فجر الرساله الاسلاميه وكيف انتشت له الدنيا و تغيرت ملامح الحياة فيها فيقول (٣)

ولد الهدى فالكائنات ضياء — وفم الزمان تبسم وثناء

الروح والملأ الملائك حوله — للدين والدنيابه بشراء

والعرش يزهو والحديقة تزدهي — والمنتهي والسدرة العصماء

وحديقة الفرقان ضاحكة الربا — بالترجمان شذية غناء

والوحي يقطر سلسلا من سلسل — واللوح والقلم البديع رواء

نظمت أسامي الرسل فهي صحيفة — فى اللوح واسم محمد طغراء

---

١) أمير الشعراء فى العصر الحديث . أحمد شوقي بن على احمد شوقي من أصل كردى نشأ فى ظل البيت المالك بمصر ، وتعلم فى بعض المدارس الحكومية أرسله الخديوى توفيق الى فرنسا لمتابعة دراسته . مثل مصر في مؤتمر المتشرقين بجنيف ١٨٩٦م توفي بالقاهرة سنة (١٣٥١) هـ

٢) الاسلامية والمذاهب الادبيه د / نجيب الكيلاني ص (٦٥) ط ٥ وس ١٩٦٣م

٣) الشوقيات ج ١ ص (٣٤) وما بعدها ط ١٩٧٠

ثم يبرز جانبا من صفات صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام التى تغرد بها وكيف

ختمت به الرسالات ،فكان أعظم رسول لأعظم رساله فيقول :

اسم الجلالة فى بديع حروفه ألف هنالك واسم طه الباء

ياخير من جاء الوجود تحية من مرسلين الى الهدى بك جاءوا

بيت النّبيين الذى لا يلتقي إلا الحنائف فيه والحنفاء

خير الابوة حازهم لك آدم دون الانام وأحرزت حواء

هم أدركوا عزّ النبوة وانتهت فيها اليك العزة القعساء

خلقت لبيّك وهو مخلوق لها ان العظائم كفؤها العظماء

بك بشر الله السماء فزينت وتضوعت مسكا بك الغبراء

ثم يدافع عن الشريعة الاسلامية ويصف مانسبوه اليها من تخلف ورجعيه بالظلم و يرى

أن المسلمين قد نالوا بها مالم ينله غيرهم ،فهي شريعة الحضارة والرقي فيقول :-

ظلموا شريعتك التى نلنا بها مالم ينل فى رومة الفقهاء

مشت الحضارة فى سناها واهتدى في الدين والدنيا بها السعداء

صلى عليك الله ماصحب الدجى حاد وحنت بالفلا وجناء

واستقبل الرضوان فى غرفاتهم بجنان عدن آلك السمحاء

وهكذا يختم شوقي رائعته بالصلاة على الهادى البشير صلى الله عليه وسلم .

ومن شعراء الاسلام المحدثين الاستاذ / سيد قطب) (١) الذى نافح عن الاسلام، ودافع عن مبادئه وقيمه وأخلاقياته، ووقف في وجه أعدائه ورد على مزاعمهم بشعره ونثره، وكان شمعه أضاءت حتى احترقت في سبيل عقيدتها. وقد اتسم شعره الاسلامى بروح الكفاح والحماسه والدعوة الى الصبر على الاذى في سبيل العقيده.

ومن قصائد سيد قطب في هذا الصدد قصيده (اخي) التى يرى فيها ان السجن في سبيل الدعوة الى الله حريه كاملة فيقول (٢)

اخى أنت حر وراء السدود — أخي أنت حر بتلك القيود
اذا كنت بالله مستعصما — فماذا يضيرك كيد العبيد
أخي ستبيد جيوش الظلام — ويشرق في الكون فجر جديد
فأطلق لروحك اشراقها — ترى الفجر يرمقنا من بعيد
أخي قد أصابك سهم ذليل — وغدرا رماك ذراع كليل
ستبتر يوما فصبر جميل — ولم يدم - بعد عرين الأسود
أخي قد سرت من يديك الدماء — أبت أن تشل بعيد الاماء
سترفع قربانها للسماء — مخضبة بوسام الخلود
أخي هل تراك سئمت الكفاح — وألقيت عن كاهليك السلاح
فمن للضحايا يواسى الجراح — ويرفع رايتها من جديد

---

(١) سيد قطب شاعر ومفكر اسلامى ولد بقرية (موشا) بمصر عام ١٩٠٦م له عدد من المؤلفات الاسلاميه وكتب النقد وله عدة دواوين منها (الشاطئ المجهول) وقافله الرقين (أعدم يوم ٢٩ اغسطس ١٩٦٦م

٢) شعراء الدعوة الاسلامية حـ٤ص (٤٣) ومابعدها. ط الاولى.

ثم يصف عبث الطغاة المحاربين لدين الله وكيف يقف المسلم الحق في وجوههم قوى العزيمة ثابت الجأش فيقول :-

أخي هل سمعت أنين التراب ... تدك حصاه جيوش الخراب

تمزق أحشاءه بالحراب ... وتصفعه وهو صلب عنيد

أخي انني اليوم صلب المراس ... أدك صخور الجبال الرءوس

غدا سأشيح بفأس الخلاص ... رؤوس الافاعي الى أن تبيد

أخي ان ذرفت على الدموع ... وبللت قبري بها في خشوع

فأوقد لهم من رفاتي الشموع ... وسيروا بها نحو مجد تليد

ثم يبشر الشهداء في سبيل الله بما أعد لهم في الاخرة من نعيم مقيم فيقول :

أخي ان نمت نلق أحبابنا ... فروضات ربي أعدت لنا

وأطيارها رفرفت حولنا ... فطوبى لنا في ديار الخلود

ويصف سيد قطب المجاهد المسلم بالثبات على المبدأ والجلد في الكفاح عن دينه فيقول :

أخي انني ماسئمت الكفاح ... وما انا القيت عني السلاح

وان طوقتني جيوش الظلام ... فاني على ثقة بالصباح

واني على ثقة من طريقي ... الى الله رب السناء والشروق

فان عافني السوق أوعقني ... فاني أمين لعهدى الوثيق

أخي أخذوك على اثرنا ... وفوج على اثر فوج جديد

فان أنا مت فاني شهيد ... وانت ستمضي بنصر جديد

قد اختارنا الله في دعوته ... وانا سنمضي على سنته

فمنا الذين قضوا نحبهم ومنا الحفيظ على ذمته

ثم يحرض المسلمين على السير على درب الكفاح ومقارعة أعداء الله فيقول :

آخي فامض لا تلتفت للوراء طريقك قد خضبته الدماء

ولا تلتفت ههنا أو هناك ولا تتطلع لغير السماء

فلسنا بطير مهيض الجناح ولن نستذل ولن نستباح

واني لأسمع صوت الدماء قويا ينادي الكفاح الكفاح

سأثأر لكن لرب ودين وأمضي على سنتي في يقين

فاما الى النصر فوق الانام واما الى الله في الخالدين

* * *

هذه القصيدة لا تحتاج منا الى تعليق لا على نزعتها الدينية الفاضبة للّه ، ولا الى عاطفة الشاعر المتأججة على أعداء الله ودينه ، فسيد قطب شهيد في سبيل الله ، عاش من أجل الدعوة وخدمتها ، وقدم لها أغلى مالديه وهو حياته التي ذهبت في سبيل الله ودينه ونصر كلمته .

والقصيدة دعوة حارّة الى الجهاد في سبيل الله ، وعدم المبالاة بما يلقاه الداعية من صنوف الأذى والعذاب ، فكل ذلك يهون مادام الفرض أسمى ، والغاية من الجهاد أنبل .

فاما الى النصر فوق الأنام واما الى الله في الخالدين

ومن شعراء الاسلام المحدثين الشاعر المصرى الكبير أحمد محرم ، صاحب الالياذة الاسلامية . (١)

وقد امتاز شعر أحمد محرم الاسلامي بالوحدة الموضوعية ، وشاعت فيه الحكمة غير المتكلفة ، وبرز فيه أثر ثقافته العريضة المتعمقة في اللغة والأدب ، ومعرفته بالتاريخ الاسلامي ووقائعه المشهورة .

وقد أجاد محرم في كل الاغراض الشعرية ، وبرّز في شعر العقيدة الاسلامية وأبدع فيه . وأنشأ غرر قصائده في تمجيد الاسلام ، والاشادة بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحبه ، وبالخلافة الاسلامية ، والوحدة الاسلامية ، والدعوة الى التمسك بالاسلام كلّ ذلك في ديوانه الذى سماه " مجد الاسلام " (٢)

ومن شعر أحمد محرم الاسلامي نختار القصيدة التالية بعنوان " نكبة فلسطين " والتي يصف في مطلعها محنة القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين فيقول : (٣)

في حمى الحق ومن حول الحرم   أمة تؤذى وشعب يهتضم

فزع القدس وضجت مكة   وبكت يثرب من فرط الألم

---

١) ـ أحمد محرم شاعر مصرى ،ولد في محرم ١٢٩٤ هـ بمدينة القاهرة ، وفيها تعلم ، ثم اشتغل بالصحافة في سنّ مبكرة ، فعالج كثيرا من قضايا المجتمع نشر أكثر انتاجه في مجلة "الصدق" له ديوان " مجد الاسلام " توفي عام ١٩٤٥ م

٢)ـ انظر " شعراء الدعوة الاسلامية " ج ٤ في العصر الحديث

٣)ـ شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٤ ص (٧٩) وما بعدها ط الاولى .

ومضى الظلم خليّا ناعما يسحب البردين من نار ودم
يأخذ الأرواح مايعصمها معقل الحق اذا ما نعتصم
ويرى الناس اذا أعجبه أن يبيدوا كأقاطيع البهم
بعثته شهوة وحشية تتلظى مثل أجواف الأطم
ماتبالي ان مضت ويلاتها ما أصابت من شعوب وأمم
أهون الأشياء في شرعتها أمة تمحى وشعب يلتهم

ثم يتحدث عن الامة الاسلامية وما أفاءته على العالم من نور وعدل ، ومابددته من جهل وجور فيقول :

هي من روح الدهاقين الألى نشروا النور وطاحوا بالظلم
انقذوا العالم من أرزائه وأذاقوه أفاويق النعم
وأزالوا ماحوت أرجاؤه للأوالي من قبور ورمم
فاذا الدنيا جمال يجتنى واذا العيش سلام يغتنم

ثم يكشف مساوىء الدعوات الملحدة ،والمبادىء الزائغة المناهضة للاسلام فيقول :

زينوها قصة ناعمة زينت للناس مكروه الصمم
كشف التجريب عن سوآتها ومضت عارية ماتحتشم
أفسدوا العالم مما عبثوا بالدساتير القدامى والنظم
نفض الأرسان واستن العمى فهو يمضي جامحا ، أو يرتطم
سلبوه العقل مما عربدوا وسقوه من خيال ولمم
الحياة البغي ،والدين الهوى والضعيف الخصم والسيف الحكم
زمن تصدق ان سميته زمن الطاغوت أو عصر الصنم

ثم يصف مرارة ماصنعه اليهود بفلسطين وشعبها المسلم فيقول :

يافلسطين اصطليها نكبة هاجها للقوم عهد مضطرم

واشهديه في حماهم مأتما   لورعوا للضعف حقا لم يقم

وأشربي كأسك مما عصروا   من زعاف حائل في كل فم

واذكرى يومك في أفيائهم   ودعي الأمس فما يغني الندم

آية للبغي من أسمائها   حكمة الأقدار أوعدل القسم

ثم يدعو الى الجهاد المقدس ، ويرى أنه الطريق الوحيد لخلاص المقدسات من أيدى الغاصبين فيقول :

اكشفيها غمة ليس لها   من كفاء غير كشاف الغمم

الجهاد الحر يقضي حقه   سوءدد العرب ويحميه العلم

لاتنامي للعوادى وادأبي   واذهبي طامحة في المزدحم

ليس بالمدرك حقا غافل   نام . . والأحداث يقظى لم تنم

ثم يصور قربه من الأحداث الموءلمة ، وارتباطه مع اخوانه المسلمين وتألمه لواقعهم في فلسطين فيقول :

في فوءادى جرحك الدامي وفي   كبدى مافيك من حزن وهم

كم صريع لك في أشلائه   مصرع القربى ، وأشلاء الرحم

فجعوني فيه بابن صالح   وأخ حرّ السجايا وابن عم

شهداء الحق ماتوا دونه   وهو حيّ العزّ موفور الشمم

وهكذا يمضي محرم في وصف ماأصاب الشرق من نكبات ، نتيجة البعد عن الدين ، وتفرق الكلمة والأهداف ، الى أن يقول في آخر رائعته :

ربّ هل قدّرت ألا ينجلي   ماأصاب الشرق من خطب عمم

عاش فيه القوم حتى ماله   حرمة ترعى ، وحق يحترم

اكشف البأساء وارحم آمما | تتلوى من ملال وسأم
عمّ الناس فساد وا وعلوا | وهي فوضى من عبيد وخدم
تحمل الضيم ولولا أنها | تحسب الموت حياة لم تضم
مالنا من هذه الدنيا سوى | غارة العادى وعسف المحتكم
سائنا من شرها ما نجتوى | وعنانا من آذاها ما نزم
فسئمناها حياة مرّة | وملناه وجودا كالألم وملناه
ربّ أنت العون ان طاق بنا | طائف البغي وأنت المنتقم
من يجير القوم ان صبحهم | خطب عاد وثمود في القدم
لا يغرنّ قويا جنده | قوة صرعى ، وجند منهزم

* * *

والقصيدة واضحة الدلالة على روح محرم المتألمة الطتاعة بحرارة ماأصاب أمته الاسلامية ، خاصة على يد اسرائيل التي سلبت جزءًا عزيزا من الوطن الاسلامي فلسطين بما فيها القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ،
ويبدو في آخر القصيدة يقين الشاعر وثقته بنصر الله ، فهو الذى يدفع البغي ويهزم الباطل ، فلا قوة تقوم مع قوته ولا جند - وان كثر - ينتصر غير جنده الذين صدقوا ماعاهدوا الله عليه .

ومن أبرز الشعراء الاسلاميين في العصر الحديث عمر بهاء الدين الأميرى (١) ومن شعره المقطوعة الآتية ،يصف فيها تحليق نفسه المؤمنة ، واستجلائها لجلال الله وعظمته وخشوعها وسجودها لبارئها عز وجل فيقول : (٢)

كلما أمعن الدجى وتحالك ... شمت في غوره الرهيب جلالك

وتراءت لعين قلبي برايا ... من جمال آنست فيها جمالك

وترامى لمسمع الروح همس ... من شفاه النجوم يتلو الثنا لك

واعتراني توله وخشوع ... واحتواني الشعور أني حيالك

ماتمالكت أن يخر كياني ... ساجدا واجدا ،ومن يتمالك

ونقرأ المقطوعة التالية يصف فيها قدسية الكعبة ،ومكانتها في نفوس المسلمين فيقول : (٣)

الكعبة الشماء في مذهبي ... قيمتها ليست بأحجارها

والقرب من خالقها ليس في ... تشبث المرء بأستارها

قدسية الكعبة في جمعها ... أمتنا من كل أقطارها

وأنها محور أمجادها ... وأنها مصدر أنوارها

وكعبة المؤمن في قلبه ... يطوف أنى كان في دارها

فالابيات السابقة تصور عمق نظرة الشاعر ، وتأصل عقيدته ، وادراكه لحقيقة قدسية الكعبة وعظمتها .

---

(١) شاعر سورى ولد في حلب ، ودرس فيها ،ثم أكمل تعليمه في جامعة السربون بفرنسا ،عمل مديرا للمعهد العربي الاسلامي بدمشق ومحاميا ، مثل حكومته في باكستان ثم دعي الى المغرب عام ١٣٨٦هـ لتدريس الحضارة الاسلاميه له عدة دواوين منها (مع الله) (ألوان طيف)

٢) شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٢ ص (١٤) ط الاولى .

٣) المرجع السابق ص (١٥ - ١٦) .

ومن الشعراء الاسلاميين الذين ارتفعت أصواتهم بالحق في العصر الحديث محمد محمود الزبيرى (١) .ومن عيون شعره الاسلامي قصيدته "عالم الاسلام" والتي صور فيها غفوة العالم الاسلامي وأنها كالهدوء الذى يسبق العاصفة فيقول : (٢)

هذه روحه وهذى جنوده فليحاذره من بشر يريده
نام نوم الموتى فظنوه ميتا وازدهاهم هجوعه وهموده
ملّ منه الكرى وضاقت به الأرض وضجّت قبوره ولحوده
كيف هان الهزبر في حرم الفيل وسادت ضباعه وقروده
شدّ مااستنسر البغاث بقبر النسر واستأسدت على الليث دوده
وطئوا أرض غابة فاذا بالغاب وسنى هضابه ووهوده
نزعوا شوكه ولكنّ قاع الغاب شوك ترابه وصعيده

* * *

ثم يدعو الشاعر سفراء المسلمين في باكستان الى نصرة هذا الشعب المسلم لأنه على حقّ ، وأهله اخوانهم في الدين ،فحقهم أن يفرحوا بما يفرحون وأن يتألموا بما يتألمون فيقول :

ياضيوف الاسلام في شعب باكستان حق عليكم تأييده

---

١) محمد محمود الزبيرى شاعر يمني ولد في صنعاء وفيها تعلم ثم أكمل تعليمه في مصر وعاد الى اليمن عام ١٩٤١ م ، ثم سافر الى عدن وباكستان . توفي مقتولا باليمن عام ١٩٦٥ م . من دواوينه "ثورة الشعر" "صلاة في الجحيم" وله كتب أخرى .

٢) شعراء الدعوة الاسلامية جـ١ ص (٤٦) وما بعدها ط الثالثة ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

أنتم ذخره وأنتم أمانيه   الغوالي وشدوه ونشيده
في يديه حق فلا تخذلوا الحق   وأنتم حماته ووجوده
أمره أمركم لكم منه ماكان   سواء نحوسه أو سعوده
فاحذروا أن تحايدوا   ان هذا الشعب منكم يكيدكم مايكيده

* * *

ولا ينسى الشاعر القضية الفلسطينية ،تلك القضية التي لم ينسها شاعر مسلم لكونها تمس بقعة ارتبطت بحياة المسلمين فيقول :

وفلسطين ذلك الوطن الغالي   أحقا قد اضمحل وجوده
قطعوا شلوه وقالوا مصاب   فادح ينبغي لنا تضميده
كلما أوجسوا من الشعب خوفا   سلموا أمره الى من يبيده
أمن العدل أن يقر ويستبقى   على الغصب كل لص يجيده
يطرد الشعب من حماه ،ويستاق اليه من كل شعب طريده

* * *

ثم يؤكد الشاعر عودة الحياة للشعب الفلسطيني ، ويتفاءل بقرب اليوم الذى ينهض فيه ذلك الشعب ويبني حياته ويستعيد أرضه بدم أبنائه فيقول :

سوف يحيا برغمهم مرة أخرى   وان طال نومه وركوده
سوف يبني الشعب الجديد ضحاياه   وتستنبت الحياة لحوده
نحن نبغي الغدا ، فما حجة الباغي علينا ، ماوعده ماوعيده ؟
لو رأى أنفس الشعوب الأسارى   لا قشعرت سجونه وقيوده

ومن الشعراء الاسلاميين يبرز اسم الشاعر العراقي الكبير الدكتور عماد الدين خليل (١) الذى أسهم بانتاجه في اثراء شعر الدعوة الاسلامية .

ومن قصائده الاسلامية "أغنية فدائية" يبين في أولها عشقه لجند الله ، المنافحين عن دينه فيقول : (٢)

عشقت الفجر تطلعه الزنود | على أثر الظلام فلا يعود
عشقت النار يطلقها جنود | بعون الله يتبعهم جنود
تخطوا للكرامة كل سدّ | وفكّت تحت قبضتهم قيود
وساروا يزرعون بكل درب | على سنن الجدود لهم شهيد

* * *

ثم يحذر اليهود من غضبه قومه المسلمين أصحاب الحق السليب ، وأن النصر سيكون حليفهم ، وأن الظلم لابد أن ينتهي فيقول :

فقولوا لليهود بأن قومي | رعيل باسم ربهمو حديد
وأن المجد تمنحه الضحايا | وأن الخلد يصنعه الصمود
وأن الله منتصر لشعبي | اذا دق النفير غدا فكيدوا
وظلم الظالمين طغى فأبشر | فمن ألم ستنفجر الرعود

* * *

ويعد الشاعر المغربي والمجاهد الاسلامي الكبير علّال الفاسي (٣) من الشعراء الذين نذروا ألسنتهم في سبيل الاسلام ودعوته والدفاع عنها ومن عيون شعره قصيدته "اضطهاد لغة القرآن" والتي ينبه

---

١) عماد الدين خليل شاعر عراقي ولد بالموصل عام ١٩٣٩ م ، وفيها تعلم ، حصل على درجة الدكتوراة في التاريخ الاسلامي ، وعين استاذا مساعدا له في كلية الآداب جامعة الموصل .

٢) شعراء الدعوة الاسلامية ج ٢ ص (٩١ ، ٩٢) ط الاولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

٣) علّال الفاسي مجاهد اسلامي وشاعر مغربي . ولد بفاس عام ١٩١٠م درس بجامعة القرويين وحصل على الشهادة العالمية عام ١٩٣٢ م . عينه الملك محمد الخامس رئيسا للمجلس التأسيسي الذى وضع دستور البلاد توفي عام ١٩٧٤ م .

فيها ابناء العربية الى مكانة لغتهم ، لكونها لغة كتاب الله فيقول : (١)

الى متى لغة القرآن تضطهد ... ويستبيح حماها الأهل والولد
أما دروا أنها في الدهر عدتهم ... ومالهم دونها في الكون ملتحد
ولن تقوم لهم في الناس قائمة ... أو يستقيم لهم في العيش مانشدوا
ان لم تتم لهم بالضاد معرفة ... أو يكتمل لهم في الضاد معتقد
وكيف يصغون للأعداء تذكرها ... وأصل ماوصفوه الحقد والحسد
والقاذفون لها بالعجز ماجهلوا ... بأنها فوق ماظنوا وما اعتقدوا

* * *

ثم يستمر في قصيدته موضحا تفرد اللغة العربية بكونها لغة كتاب الله فلم تسم لغة الى هذه المكانة فحق هذه أن يفتخر بها أهلها لاختيار الله لها لتكون لغة كتاب المحكم فيقول :

من غيرها في لغات الأرض قادرة ... على أداء كلام الله اذ يعد
من ذا يترجم آيات الكتاب كما ... أدته ؟ هل لغة في الأرض تعتمد
قد حاولته لغات كلها عجزت ... عن أن تؤدى فحواه الذى جحدوا
والضاد تفخر أن أعيت معارضها ... فكيف تعجزها الآلات والعدد
وأنها البحر زخّار بباطنه ... من الجواهر مايزهو به الأبد
من يغترف منه لاتتعبه خارقة ... من الصنائع أو يعجزه مرتصد

---

(١) شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٧ ص (٥٢ - ٥٤) ط الرابعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

واذا كان العالم العربي قد امتلأ في هذا العصر بالشعراء الاسلاميين ، فان العالم الاسلامي المترامي الأطراف ، لم يكن بمعزل عن الحركة الاسلامية التي نشرت أعلامها في هذا العصر ، فقد ارتفعت أصوات الشعراء في بعض أقطار الاسلام ومن الشعراء الاسلاميين في العالم الاسلامي - في العصر الحديث - الذين لمعت أسماؤهم في سماء الشعر الاسلامي ، الشاعر الباكستاني محمد اقبال (١) الذى نظم أروع القصائد الاسلامية باللغة الأردية ،ومن عيون شعره الاسلامي قصيدته " شكوى " والتي اتجه بها الى الخالق عزّ وجل ، شاكيا اليه ماحل بالمسلمين من نكبات وحوادث ، وما أصابهم من تخلف وتراجع عن ركب الحضارة ، بسبب بعدهم عن دينهم ، وتنكرهم لمصادر عزّهم ورفعتهم وتقدمهم ،بعد أن كانوا ساسة الدنيا وقواد الأمم فيقول : (٢)

شكواى أم نجواى في هذا الدجى ... ونجوم ليلي حسّدى أم عوّدى
أمسيت في الماضي أعيش كأنما ... قطع الزمان طريقه أمسي عن غدى

... ...

قيثارتي ملئت بأنّات الجوى ... لا بدّ للمكبوت من فيضان
صعدت الى شفتي بلابل مهجتي ... ليبين عنها منطقي ولساني
أنا ماتعديت القناعة والرضا ... لكنّما هي قصة الأشجان
أشكو وفي فمي التراب ، وانّما ... أشكو مصاب الدّين للديان

---

١) - هو الدكتور السير محمد اقبال . ولد في كشمير سنة ١٨٧٦ م . سافر الى كمبردج وميونخ بألمانيا سنة ١٩٠٥ م نال الدكتوراة في الفلسفة توفي في لاهور سنة ١٩٣٨ م

٢) انظر القصيدة كاملة في " شكوى وجواب شكوى " محمد حسن الأعظمي والصاوى علي شعلان ص (١٣) وما بعدها . ط الأولى ، الدار العلمية بيروت .

يشكو لك السهم قلب لم يعش الا لحمد علاك في الأكوان

ثم يصور اقبال ماكانت عليه الدنيا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف غيرت وجه الحياة وحطمت كل بدعة وظلالة فيقول :

قد كان هذا الكون قبل وجودنا روضا وازدهارا بغير شميم
والورد في الأكمام مجهول الشذى لا يرتجى ورد بغير نسيم
بل كانت الأيام قبل وجودنا ليلا لظالمها وللمظلوم
لما أطلّ محمد زكت الربّا واخضر في البستان كلّ هشيم
وأذاعت الفردوس مكفون الشذى فاذا الورى في نضرة ونعيم

ثم يتحدث عن دور المسلمين الأولين في بناء الدولة الاسلامية والذين كانوا صورة للمجاهد الفذ ، والمؤمن الحق فيقول :

من قام يهتف باسم ذاتك قبلنا من كان يدعو الواحد القهارا ؟
عبدوا تماثيل الصخور وقدّسوا من دونك الأحجار والأشجارا
عبدوا الكواكب والنجوم جهالة لم يبلغوا من هديها أنوارا
هل أعلن التوحيد داع قبلنا وهدى الشعوب اليك والأنظارا
كنّا نقدم للسيوف صدورنا لم نخش يوما غاشما جبارا

* * *

من غيرنا هدم التماثيل التي كانت تقدّسها جهالات الورى
حتى هوت صور المعابد سجّدا لجلال من خلق الوجود وصورا
ومن الألى حطوا بعزم أكفّهم باب المدينة يوم غزوة خيبرا ؟
أمّن رمى نار المجوس فأطفئت وأبان وجه الحقّ أبلج نيّرا ؟
ومن الذى بذل الحياة رخيصة ورأى رضاك أعزّ شيء فاشترى ؟

* * *

نحن الذين استيقظت بأذانهم دنيا الخليقة من تهاويل الكرى

نحن الذين اذا دعوا لصلاتهم … والحرب تسقي الأرض جاما أحمرا
جعلوا الوجوه الى الحجاز وكبّروا … في مسمع الروح الأمين فكبّرا

ثم يتناول المساواة بين البشر ، وانها من ابرز سمات الدعوة الاسلامية فلا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى فيقول :

محمود مثل اياز قام كلاهما … لك بالخشوع مصليا مستغفرا
العبد والمولى على قدم التقى … سجدا لوجهك خاشعين على الثرى

ثم يؤلمه واقع المسلمين المعاصر فيورد صورا من ذلك الواقع المرير فيقول :

قد هبت الأصنام من بعد البلى … واستيقظت من قبل نفخ الصور
والكعبة العليا توارى أهلها … فكأنهم موتى لغير نشور
وقوافل الصحراء ضلّ حداتها … وغدت منازلها ظلال قبور
أنا ماحسدت الكافرين وقد غدوا … في أنعم ومواكب وقصور
بل محنتي ألّا أرى في أمتي … عملا تقدمه صداق الحور

ثم يعزو كل ما حلّ بالمسلمين الى حكمة الله عز وجل وعدله فيقول :

لك في البرية حكمة ومشيئة … أعيت مذاهبها أولي الألباب
ان شئت أجريت الصحارى أنهرا … أو شئت فالانهار موج سراب
ماذا دهى الاسلام في أبنائه … حتى انطووا في محنة وعذاب
فثراؤهم قفر ودولة مجدهم … في الأرض نهب ثعالب وذئاب
عاقبتنا عدلا فهب لعدونا … عن ذنبه في الدهر يوم عقاب

* * *

عاشوا بثروتنا وعشنا دونهم … للموت بين الذل والاملاق
الدين يحيا في سعادة أهله … والكأس لا تبقى بغير الساقي

ثم يذكر سلفنا الصالح وما كانوا عليه من تقوى وخشية ، ويدعو لأبناء أمته بالهداية والرشاد فيقول :

أين الذين بنور حبك أرسلوا … الأنوار بين محافل العشاق

سكبوا الليالي في أنين دموعهم　　وتوضأوا بمدامع الأشواق
والشمس كانت من ضياء وجوههم　　تهدى الصباح طلائع الاشراق

* * *

كيف انطوت أيامهم وهم الألى　　نشروا الهدى وعلوا مكان الفرقد
هجروا الديار فأين آزمع ركبهم　　من يهتدى للقوم أو من يقتدى
يا قلب حسبك لن تلمّ بطيفهم　　الآ على مصباح وجه محمد
فازوا من الدنيا بمجد خالد　　ولهم خلود الفوز يوم الموعد
يارب ألهمنا الرشاد فما لنا　　في الكون غيرك من ولىّ مرشد

في أبيات " اقبال " الشاعر الفيلسوف المسلم ، نحسّ حرارة المشاعر وصدق العواطف الاسلامية ، فقد حاول أن ينقل الينا صورة صادقة للعالم الاسلامي أو للامة الاسلامية في ماضيها وحاضرها ، وكيف انفلت منها زمام القيادة والريادة ، وتفرقت شيعا وأحزابا ، فتضاءلت أمام الأمم والشعوب ،بعد أن كانت المعين الذى لا ينضب لكل علم وفن وحضارة .

والصورة التي نقلها " اقبال " صورة مطروقة في الشعر الاسلامي ، عالجها كثير من الشعراء المحدثين ،وان كان اقبال يتسم ـ غالبا ـ بفلسفة المعاني والتعمق فيها .

واذا كان الشعر الاسلامي في العصور السابقة لهذا العصر قد ركز على الدفاع عن الدعوة الاسلامية في فجر ولادتها ،ونافح عن صاحبها صلى الله عليه وسلم على لسان حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك .

كما نحا منحى الزهد ،والترغيب في نعيم الآخرة ،والتزهيد في الدنيا ومتاعها الزائل على لسان أبي العتاهية ومحمد بن يسير الرياشي ،وعبد الله بن المبارك ومحمود الوراق ،في العصر العباسي .

واذا كان الشعر الاسلامي بعد ذلك ـ قد مال الى التصوف والمبالغة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم في أواخر العصر العباسي وفي عصور الدول المتتابعة والحروب الصليبية على لسان البوصيرى والحلاّج والشبلي ،وابن القارض .

اذا كان الشعر الاسلامي قد نحا تلك المناحي في العصور السابقة ، فانه في العصر الحديث قد مال الى محاربة كثير من البدع والأهواء التي سيطرت على العالم الاسلامي ، ونادى الى الوحدة الاسلامية والتضامن ، ونبّه الى مخاطر الغزو الفكرى ، وكشف مساوىء الحضارة الغربية الدخيلة التي روّج لها المستشرقون وعاضدها بعض أبناء الأمة الاسلامية ممن انطلت عليهم خدع الغرب وبهرجة حضارتهم .

كما بذل شعراء الاسلام المحدثون جهدا كبيرا في تبصير الناشئة المسلمة للعودة الى العقيدة الاسلامية الصحيحة ، ونبذ الزائف من الأفكار الوافدة وسمومها ، كما تألم الشعراء المحدثون من واقع أمتهم ، وبكوا ـ بمرارة ـ ضياع مقدساتهم وأوطانهم ،وحرضوا قادة الأمة الاسلامية على الاتحاد وجمع الكلمة ، وتوحيد الصف من اجل استعادة ماسلب من ديارهم ، وما دنّس من مقدساتهم .

ولا تزال أصوات الشعراء الاسلاميين المحدثين ترتفع هنا وهناك ، منادية بأن نصر المسلمين على أعدائهم لن يتم الا باخلاص النية لله ، والاعتصام بحبله ، والجهاد من أجل اعلاء كلمته .

فان هم نسوا أو تناسوا ذلك فلن يكتب لهم النصر

" ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم "

* * *

وقد أسهم الشعراء السعوديون - كغيرهم من شعراء العالم الاسلامي - في اثراء شعر الاتجاه الاسلامي الحديث بعيون شعرهم ، في مختلف آمال الأمة الاسلامية والعربية وآلامها ، وأحداثها المتلاحقة ،ومناسباتها المتعددة .

* * *

وقد احتل الاتجاه الى بكاء ضياع المقدسات الاسلامية في فلسطين مكانة مرموقة عند الشعراء السعوديين المحدثين ، فلايكاد ديوان من دواوين الشعراء السعوديين يخلو من قصيدة أو قصائد تحرض المسلمين على الجهاد في سبيل استعادة مقدساتهم السليبة ، وتطهيرها من أدران الصهيونية الغاصبة ، بل ان هناك شعراء أفردوا دواوين خاصة للقضية الفلسطينية كديوان القرشي " فلسطين وكبرياء الجرح " ومن عيون الشعر السعودى في هذا الاتجاه قصيدة ابراهيم الدافع والتي يصف فيها ما حلّ بفلسطين السليبة من عبث وقتل ودمار على ايدى اليهود فيقول : (١)

أمّاه ليتك تسمعين . . أماه ليتك تبصرين
أماه والسبع الشداد جئت عليك بغير لين
أماه والآلام تعصر قلبك البرّ الأمين
أماه والأيام تقطف زهرك الغض الثمين
أماه والمستعمرون وخادم المستعمرين
عاثوا بأرضك واستبدوا بالتلصص مجرمين
ورموك بالنقم الجسام ودنّسوا فيك العرين

---

١) - ديوان الشاعر " شرارة الثأر " ص (١٥٠) وما بعدها

واستأصلوك ومادروا عن أسدك المتوثبين
وتجاهلوك فغرهم جهل العبيد الناقمين
وتجللوا عار البغيّ فأعطوا الحقد الدفين
روّوا ثراك بكل نور من دماء الثائرين
وسقوا كرومك من عبير الجرح في قلبي الحزين
ورموا شيابك بالقنابل والقذائف طائشين
وتفننوا بعذابهم شأن الغزاة الظالمين
لم يرحموا طفلا رضيعا أو وليدا أو جنين
أو يكبرو شيخا هزيلا حطمته يد السنين
أو يتركوا أم اليتامى الهائمين البائسين

ثم يثور الشاعر على اليهود ، ويصور ثورة الشعوب العربية المسلمة وأنهم لن يستسلموا أبدا فيقول :

ياويلهم فدم الضحايا ثورة لا تستكين
سنحطم الأغلال في وجه الطغاة النازحين
سنخوضها حرب الجلاء ونطرد المستعمرين
فدم العروبة في قلوب الثائرين الصاعدين
لهب سيلتهم الطغاة ويحرق المتبجحين
سنخوضها ونعود للوطن السليب مظفرين
ونقبّل الترب الزكيّ ونحضن الشوق السجين

ونشيد في أرض القداسة أمنيات الفاتحين

* * *

يامنبع الاشراق في قدسي الأبي المعتق
هدهد جراحك وانتظر لابد يوما نلتقي
لابد أن تشفى جراحات الفداء المخفق
ويزيح أذناب القرود ظلامهم عن مفرقي
ويعود لي وطني فأحمل فوق رأسي موثقي
علم بظل شعاره يسمو الأبيّ ويتقي

* * *

ثم يناجي وطنه السليب وفي مناجاته يبدو التفاؤل والأمل ببعث فجر جديد يعيد الحق الى أهله فيقول :

أماه ياأماه والبعث المحلق في الدروب
سيعيد آمال الشباب ويطمس الأمس الرهيب
ويبدد الظلم العتيّ ويطرد اللص المريب
ويزيح أشلاء الطغام وينحر الصنم الربيب
سيهلّل الفجر المضيء ويبسم العهد الخصيب
وتفور آمال المفير ويزهر الغصن الرطيب
وترفّ أعياد الجلاء على مدى أفقي الرحيب
ويقبّل العلم الأبي مرابع الوطن الحبيب
ويخاطب الصوت المجلجل في مهابته القلوب
وتعود أحلام الطفولة فوق ملعبها السليب

وهكذا يمضي الشاعر ثائرا لمقدساته المسلوبة ، ويحرض على الجهاد من اجل استعادة الحق وتطهير المقدسات الاسلامية من براثن اليهود .

وهذا أحمد سالم باعطب يوجه رسالة الى أخته في الخيمة الفلسطينية وهي صورة حيّة للواقع الذى يعيشه الفلسطيني في أرضه فيقول : (١)

أختاه لم تعد الخيام اليوم حصن الأوفياء
فالداء في أرسانها يسرى بجرثوم الشقاء
هبي اقلعيها قبل أن يغتالها حقد الشتاء
فالريح عاتية وقد نفروا لها كبش الفداء
أختاه ماطعم الحياة لتائهين بلا وطن
شربوا الدموع من الاسى ، لبسوا الجروح من الشجن
أكلوا من الألم الضياع وحالفوا سود المحن
عبثت بهم أيدى الكراهة بالدسائس والفتن

ولا ينسى الشاعر أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين (القدس) فيتحسّر عليه قائلا :

أختاه هذا قدسنا المرزوء أولى القبلتين
واحسرتا ان ضاع أو أمسى حديثا بعد عين
واحسرتا ان ظل هذا الشعب مكتوف اليدين
أين الخلاص من الهوان اذا استكان الشعب أين ؟

ثم يدعو الى اطراح الآمال والأماني ،واعلان الحرب على العدو الذى احتل أرضه فيقول :

أختاه هل نحيا على أمل الرجوع الى الديار
ونظل نصدح بالمنى ونناشد الدول الكبار
لا لا وربك ذاك عار للعروبة أىّ عار
فلنشعل الحرب الضروس فانها نور ونار

---

(١) - ديوان الشاعر "الروض الملتهب" ص (٢٩ - ٣٢) ط ١٤٠٠هـ

وهذا محمد الشبل يشارك بشعره في عيد النكبة التي تقهقر معها المسلمون واستولى معها اليهود على بقية فلسطين ، نتيجة تخاذل المسلمين وتفرق شملهم فيقول : (١)

أعيدان ياأمتي المسلمة ... يمران في ليلة مظلمة ؟
أعيدان ياوصمة في الجبين ... يمران والقدس مستسلمة ؟
يمران والجرح لمّا يزل ... يريق على كل أرض دمه
وليل الهوان الطويل الطويل ... يمزق في أفقنا أنجمه
وفي كل باب تدق الخطوب ... بكف من النار مستلئمة
وفي كل شبر تسح الدموع ... حياة من الويل مسترحمه
ألا أيها العيد هل أبرقت ... أسارير أيامك المعتمة ؟
وهل لاح في الأفق صبح جميل ... نرى فيه عزتنا المرغمة ؟
وهل زال كابوس ذاك الظلام ... وراح الى القيد من حطمه ؟
ألا أيها العيد ياملهما ... من الشعر من شئت أن تلهمه
أحقا سنقتات هذا السراب ... ونمتص في ذلة علقمه
ونجترّ ليل الأسى صاغرين ... وتجتاحنا الفئة المجرمة
ونبقى الأذلاء في أرضنا ... ونمشي عليها بلا مكرمة ؟

ثم يتمنى الشاعر على أمته أن تعلنها صيحة اسلامية تقود الجيوش المؤمنة لتحرير البلاد والعباد فيقول :

ألا ليتها صيحة حرة ... يكون هدى الله فيها سمة
تقود الفيالق في راية ... من الله خفاقة مبرمة
فينطلق الدين يزكي النفوس ... ويلهب طاقتها المحجمة

---

١) - ديوان الشاعر " نداء السحر " ص (٥٨ - ٥٩) ط ١٣٩٩ هـ

وهذا عبد الله بن خميس يعتز بأمته ويدعوها الى الجهاد لتحرير الأقصى السليب فيقول : (١)

أنجبيهم من ثراك الطيب وانسبيهم لأبيّ من أبي
ان دعاه المجد لبّى انني عربي من صميم عربي

ثم يعلن مبادئ الجندى المسلم ومنطلقاته في جهادة فيقول :

ليس بالانجم فخرى انها مابها نيل العلايا منكبي
شرفي في مدفع أسطو به أو على قاصفة تمرح بي
شرفي ماعشت أني مسلم نسبي هذا وهذا مذهبي
لست من بكين استوحي الهدى انما أبني الهدى من يثرب
ماركبت الصعب الا جاعلا مجد قومي وعلاهم مطلبي
لا أريد الهون في جنديتي أو أقضي من عدوى مأربي
عزفت عن كل لحن أذني ماعدا لحن صليل القضب
وسئمت القول كم عشنا به نسمع الموتى رنين الخطب
ليس مثل السيف في انبائه فخروا بالسيف لا بالكتب
سمعوها صيحة من حسرة فرحوا بالكأس لمّا تشرب
ومضوا لبيك ها نحن لها في عرام من لهام لجب

ولا ينسى الشاعر القدس التي انطلق اسمها على لسان كل شاعر فبكاها وحرض المسلمين على تخليصها فيقول :

سائل الأقصى فكم من عانق لحنها ياويلتي ياحربي
ألهبت من وجهها مجهشة عجبي من ذل قومي عجبي
عجبي من أمة قد أنجبت خيرة الدنيا وفخر الحقب

---

(١) - ديوان الشاعر " على ربى اليمامة " ص (٢٠ - ٢٢)

أسلمت من مجدها ما أسلمت　　وتمطت في يبـاب مجـد ب
ومضى تاريخها ينـــذرها　　أنت في الأموات ان لم تغضبي
لعبت صهيون في أرض الحمى　　وتمادت في زوءام مرعـــب
واستنمنا نتلقـى صفعهـا　　ما سوى الخلف بنا من سبب
عبثا أن تطلبوهـا عـــزة　　لا تسقّى بـدم منســكب

* * *

وهذا سعد البواردى يسأم الكلام عن قضية العرب والمسلمين ويدعو الى الجهاد على غرار ذلك الجهاد الاسلامي في فجر الدعوة لاعادة الحقوق المغتصبة فيقـــول :

ماأعاد الكلام أرضا سليبه　　سائلوا في القصيد دنيا العروبة (١)
ألف ألف من الملاحم ماذا ؟　　ألف ألف على الصحاف البليـدة
تسكب الدمع تندب الجرح مهلا　　ان جرح الجراح نزّ صديـده
ننتهي بالوعود طورا .. وأخرى　　بوعيد والوعد يلهي وعيـده
قد حسمنا الصراع حرفا وصهيون　　بميراجه يقـد حـدوده
من شتات الشعوب جاءوا على ظلم .. ليستنزفوا ربانا الخصيبـة
لوثوا بالدماء قدسية القـدس　　وساموا هلاله وصليبـه
الدوالي التي غرسنا وأسقينا　　وغيطاننا الفساح الحبيبـة
لم يعد حقلنا .. بأيديهم المسخ　　ينالون كرمـه وطيوبـه

---

(١) - ديوان الشاعر " أغنيات لبلادى " ص (٧١) وما بعدها .

ما أرى عقبة يباهي بعقباه ... ولا ابن الوليد حيا وليده

ان حرب الكلام لا تمسح الجرح ... أرونا شواظه ورعوده

قد شبعنا شعرا .. شبعنا نشيدا ... أفرغ الشرق شعره ونشيده

لم يعد للغرام سعد ولا سعدى ... وملء الضياع كل سعيده

لم يعد للهوى خيال على الأفق ... ظلال الهوى المهان شريده

الرياح التي تهب من الشرق .. من الغرب .. أفقدته وجوده

الضحى والمساء سيان في العين .. هما غمة تئز عنيده

طوحت بالشراع في غضبة الموج .. وألقت حباله وجريده

ان حمل الظلام ران على قلبي ... وألقى همومه وقيوده

هالني اليوم أن أرى الصبح حولي .. أن أرى في السماء شمسا جديده

فجرت نورها حراب فدائي .. لتعطي دنيا الفداء وقوده

يالجمر الفدا يشب على الأفق .. مذيبا ضبابه وجليده

ان تحت الضباب مأساة شعب .. وضروبا من الهوان عديده

ان تحت الضباب نهر دماء ... فاض في دفقه فهد وريده

ان تحت الضباب طفلا تـوارى ... وأبا تائها وأما شهيده

ايها الجمر والخريف على الغصن ... برى عوده وداس وروده

ان فيك الغدا فهات شواظا ... يهزم الزمهرير يصهر عوده

ان صوت الرصاص في ساعة الحسم ... لأجدى من خطبة وقصيدة

ويبدو الاتجاه الى وصف واقع الامة الاسلامية المرير ، ودعوة المسلمين الى العودة الى الاتحاد الاسلامي ونبذ الخلافات - بارزا في الشعر السعودي الحديث . من مثل قول محمد حسن الفقي داعيا أمته الى العودة الى منهج الاسلام وطريقه القويم فيقول : (١)

عودوا الى الاسلام ان سبيله ... ماتلتوى في جيئه وذهاب

ان أوحشت سبل وأجدب مرتع ... جلت عن الايحاش والاجداب

هذى المذاهب بالدماء تلطخت ... وحماتها تعتز بالأسلاب

نبذوا التراحم ان من غلوائهم ... في الضغن رشق أسنّة وحراب

لم يعرف الاسلام أن رؤوسه ... ديست بلا حرج من الأذناب

أو يعرف الاسلام أن أخوة ... كانت مثار تشاحن وسباب

الحكم للبغضاء فهي شريعة ... للخاضعين لها من الأرباب

هذى مآسينا تلوح مهازلا ... أعيت على الايجاز والاطناب

انا لنضرس حين نأكل حصرما ... أفلا يجود الكرم بالأعناب

الباطل استشرى فما من مهرب ... من شره والحق نضو مصاب

فاللائذون بهم - وقيت - كأنهم ... حمر تلوذ من الردى بذئاب

والمغمضون عيونهم من خشية ... يستبدلون الموق بالأهداب

هل يستوى عيش السطوح محررا ... من قيده بالعيش في سرداب

ثم يتساءل عن مصير الاسلام وأهله أمام الدعوات والمبادىء الهدامة فيقول

أترى الربوع الحاليات بسندس ... من أرضنا تغدو ربوع يباب

---

(١) - ديوان الشاعر " قدر ورجل " ص (١٥٨) وما بعدها - ط الأولى

أو يصبح الاسلام بعد توطن فينا وتمكين من الاغراب
صدق النبي فهذه أعلامه تهوى بأيدي ساخطين غضاب
قد أعرضوا عنه الى مسترذل مما يلفق أحمق الكتاب
هذي القصائد كلها محمومة من حقد موتور وزيف محابي
عكفوا على أهوائهم فرقا بهم ماتنحني الاّ لشر رقاب
ما مجدهم الاّ سعار خلاعة أو وحيهم الاّ خمار شراب
ان الحمائم قد يعاف هديلها من ليس يطربه سوى التنعاب
لله أمتنا فكم قد كابدت من كيد منتسب ولوءم مرابي
رزئت باسلامية وعروبة نكراء تطرب للدم المنساب
رزئت بها دعوى تطنّ عريضة برئت من الأديان والأحساب
يارب أنت ملاذنا من محنة قذفت أمام عيوننا بضباب

* * *

ومحمد علي السنوسي يتألم لواقع أمته ، وتسلط القوى الكبرى عليها ، فلا ردّ لها حق ولا استعيد وطن فيقول : (١)

يخز الضمير ويجرح الاحساسا حق يهان فلا يثير النّاسا
وعجيبة أن تستمر عصابة تطأ الهدى وتلوث الأقداسا
رعناء أسكرها الغرور فأمعنت بطرا وزادت خسة وشراسا
تلهو وتعبث لا تقيم لمنطق وزنا ولا لمبادىء مقياسا

---

(١) - ديوان محمد السنوسي " الينابيع " ص (٤١) ومابعدها .

ويبرز الاتجاه الى وصف المناسبات والمقدسات الاسلامية كأكثر الاتجاهات اثراء في شعر الشعراء السعوديين المحدثين .

فقد تناول الشعراء وصف الحج ومشاعره ، ووصف رمضان ، والمولد النبوى والهجرة وغير ذلك .

ففي الحج نقرأ - مثلا - قول أحمد الغزاوى في احدى حولياته : (١)

الله أكبر ما انتدى الاسلام | وبه الفجاج تعجّ والآكام
الله أكبر ماالسماء تزينت | بنجومها ، وتهاوت الأجرام
الله أكبر ما الروابى اعشوشبت | وتفتحت بزهورها الأكمام
عيد به فلق الصباح بشائر | وبه الهناء يفيض والالهام
واليك فيه نرى الحجيج مواكبا | تترى ويوفضها اليك زحام
وهتافها التكبير لله الذى | تعنو الوجوه - لعزه - والهام
أفضت اليك بهم سرائر حبهم | والشكر والتقدير والاكرام
وكأنما هم فيك قلب واحد | أيّان ماانطلقوا وحيث أقاموا
فانظر اليهم واغتبط بولائهم | وهو الفداة تحية وسلام
ولو استطاعت يممتك قريرة | عبر الشعاب مضارب وخيام
وقفوا كما ازدلفوا ولاذوا بالذى | خشعت له الأرواح والأجسام
ورموا شياطين الغواية بالحصى | سبعا بها ترفضّ (٢) فهي رجام
وتطوفوا بالبيت وهو مثابة | وسعوا وتمّ بذلك الاحرام

---

(١) - مجلة المنهل ص (٩٢٥) ذو القعدة وذو الحجة ١٣٩٥هـ

(٢) - ترفض : تتفرق .

وهكذا بقية المناسبات الأخرى . التي نظم فيها الشعراء السعوديون المحدثون ، وملأوا دواوينهم بعيون القصائد فيها .

كما أسهم الشعراء السعوديون بانتاج وفير في مختلف موضوعات الشعر الاسلامي الحديث . كما أشرنا الى ذلك مفصلا في الفصل الثاني من هذا البحث ، والذى تحدثنا فيه عن موضوعات الشعر الاسلامي عند الشعراء السعوديين المحدثين ، وأوردنا نماذج متعددة ، لشعراء مختلفين في تلك الموضوعات .

خَاتِمَة

وبعد هـذه الجولـة فى رياض الشعـر الاسلامى ، ودراسة هذا الاتجـاه فى الشعـر السعودى المعاصـر ، ومحاولة تقويمـه ونقـده على أسس موضوعيـة ، نحـب أن نوجز معالم هذا البحث فيما يأتى :-

تمهيـد :
عن العوامل الفعالة فى شعـر الاتجـاه الاسلامى كالعوامـل المتصلة بالعقيدة ، والعوامل التاريخيـة والاجتماعية.

الفصل الاول :
" مفهوم الشعر الاسلامى "

عالجت فيه بالدراسة ، الشعر الدينى فى الاداب الانسانيـة ، ثم مفهـوم الشعر الاسـلامى ، ثم فنون الشعر السعودى ومنزلـة الشعر الاسلامى بينهـا .

الفصل الثانى :
" موضوعات الشعر الاسلامـى "

تناولت فيه أهم موضوعات الشعر الاسـلامى ، كالشعر المتصل بالعقيدة ، ومحاربة البدع والضـلالات ، ووصف المقدسات الاسلامية ، ومناجاة الخالق عز وجـل ، والدعوة الى التضامن

والوحدة الاسلاميـــــة .

الفصل الثالث :

" مبانى الشعر الاسلامى "

تناولت فيه القوالـــب التقليدية ، ومظاهـــر التجديد فى هذه القوالب ، وأبرز الشعراء المجـــددين .

الفصل الرابع :

" معانى الشعر الاسلامى "

تناولت فيه استقاء الشعراء لمعانـــى سابقيهم والمعانـــى القرآنية ، وطرق التجـــديد فى تلك المعانى ، ثم الوحدة وأبرز معالمهـــا .

الفصل الخامـس :

" الصـــورة الفنية فى الشعر الاسلامى "

وتحدثت فيه عن معنى الصورة الفنية ، وتنوع الصور من حقيقية وخيالية ، ومادية ، ومعنـــوية ، سمعية أو بصريـــة أو حركية .

الفصل السادس :

" الشعر الاسلامى فى هذا العصـــر ، والموازنة بينه وبين

الشعـــر الاسلامى فى العصـــور السابقـــــة " مـع الاشارة الى عيـــون الاتجـــاه الاسلامى فى الشعـــر العربى المعاصـــر فى المملكة العربيـــة السعوديـــة وفى سائر العالم العربى والاسلامى ٠

xxxxx xxxxx xxxxx

وليس من النفـج أو الادعـــاء أن أقـــرر أن البحث فى هذا الموضـــوع جديد ، ولم يشـــرعه باحث قبلى ، وأنه استطاع أن يكــــشف عن مفهـــوم هذا الاتجاه الاسلامى ومجالاته فى أعمال الشعراء السعوديين المعاصـــرين واننى التزمت فيه الحيدة التامـــة ، التى ينبغى أن يلتزمها الناقـــد فى تقويمه للاعمـــال الادبية ٠ فقد درست هـــذا الشعـــر الاسلامى ، وذكرت بواعثه وجذوره الاصيلـــة ، ومجالاته التى خاض فيهـــا ، وتتبعته الـــى عصرنا الحاضـــر ، الذى خصصته بالدراسة النقديـــة المنصفـــة الموضوعيـــة ، فتناولته من أدنى جزئياتـــه الى صرحه الكلى ، كما كشفت عن معانيـــه ومنابعهـــا ، وعما وجدتـــه فيه من التصوير الفنى الـــذى نبـغ فيه عدد من شعرائنـــا ، نوهت بقدرتهم ، ونبهت الى تفوقهـــم ، وألقيت نظرة على هـــذا الاتجاه في سائر المواطـــن وفى مختلف البيئات الاسلاميـــة

، وأرجو أن أتمم بهـــذا حلقة من الحلقات فى تاريخ النقد الادبى الحديث.

وإذا كان هذا البحث قد حـــقق غرضه فيما يتصل بتقويم الاتجاه الاسلامى فى الشعر السعودى المعاصـــر ، فانه يثير بعض الافكار التى تتصل به ، وبعض الموضوعات الجديرة بالدراسة ، وفى مقدمة ماتنبغى دراستـــه والعنايـــة بـه ـ مما يتصـل بموضوعنـا ـ دراسة الاتـجاه الاسلامـى فـى الاجناس الادبيـة الاخـرى كفن القصـة ، وفـن المسرحيـة ، اللذين بـرزت العنايـــة بهما فى هـذا العـصـر الحـديث . على أن تتجـــه هـذه الدراسـات اتجاهـا نقـديا ، يبرز أهـم معالـم هـذا الاتجـاه ، ويقدمـه فى كـل جنـس مـن الاجناس .

وأرجـــو أن يكـون لـى حظ خدمـة الاتجـاه الاسلامـى فى هـذه الاجنـــاس ، أو فـى جنس منهـــا . فاذا حقـــق الله هـذا الامـل كنـت به جد سعيـد والا : فان لـغيرى أن ينهض بهـذا العبء ، ليكـشف عـن ناحية من أهـــم النواحى الـــتى نعتـد بهـــا لصلتهـــــا الوثيقـة بمعرفتنـــا وعقيدتنا .

ولا أحب أن أنهى بحثى قبل أن أقدم شكرى وتقديرى لاستاذى الجليل الاستاذ الدكتور/ بدوى طبانة الذى تشرفت باشرافه على هذا البحث . وللاستاذين الفاضلين أعضاء لجنة المناقشة والحكم على الرسالة . وأعدهما وعدا صادقا بأن أفيد من أرائهما السديدة فى توجيه الى رأى ، أو تنبيه الى سهو ، أو تصحيح خطأ وقعت فيه . اذ كان الهدف الاكبر هو خدمة المعرفة ، التى أسأل الله أن أصبح جنديا من جنودها العاملين .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

عضوى

فهرس المراجـــــع

١ ـ ابتسامات الايام	ديوان محمد بن بليهد (الطبعة الاولى)
٢ ـ أبيات عزل	ديوان د. غازى القصيبى (الطبعة الاولى ١٣٩٦هـ) .
٣ ـ اسلاميات	ديوان محمد بن سعد الدبل (الطبعة الثانية)
٤ ـ أطياف من الماضى	ديوان محمد عبد القادر فقيه (الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ) .
٥ ـ أغاريد الصحراء	ديوان طاهر زمخشرى (طبعة ١٣٧٨هـ)
٦ ـ أغنيات بلادى	ديوان سعد البواردى (طبعةأولى ١٤٠١هـ)
٧ ـ الى أمتى	ديوان عبد الرحمن العشماوى (طبعة١٩٧٨م)
٨ ـ ألحان مغترب	ديوان طاهر زمخشرى (طبعة أولى)
٩ ـ بحوث المؤتمر الاول للادباء السعوديين .	
١٠ ـ دراسات فى نقد الادب السعودى	د. بدوى طبانة ـ الطبعة السادسة بيروت ١٩٧٤م .
١١ ـ ديوان ابن الرومى	طبعة دار الكتب ١٩٧٤م
١٢ ـ ديوان ابى الاسود الدؤلى	الطبعة الثانية .
١٣ ـ ديوان أبى العتاهية	طبعة دار صادر ودار بيروت ١٣٨٤هـ
١٤ ـ ديوان أبى نواس	طبعة دار الكتاب العربى .
١٥ ـ ديوان حسن القرشى	المجلد الاول الطبعة الثانية دار العودة.
١٦ ـ ديوان ذى الرمة	طبعة دمشق ١٣٩٣هـ.

١٧ ـ ديوان ضياء الدين رجب — الطبعة الاولى ـ دار الاصفهانى بجدة

١٨ ـ ديوان العواد — الجزء الثانى الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

١٩ ـ ديوان مسكين الدارمى — الطبعة الثالثة

٢٠ ـ الديوان — عباس العقاد ، ابراهيم المازنى ـ الجزء الثانى ـ الطبعة الثالثة .

٢١ ـ رسالة الغفران — لابى العلاء المعرى (الطبعة الخامسة) ـ دار المعارف بمصـــر) .

٢٢ ـ الروض الملتهب — ديوان أحمد سالم باعطب (طبعة ١٤٠٠هـ)

٢٣ ـ شرارة الثأر — ديوان ابراهيم الدامغ ـ الطبعة الاولى.

٢٤ ـ شعراء الدعوة الاسلامية فى العصر الحديث. — أحمد عبد اللطيف جدع وحسنى أدهم جرار.

٢٥ ـ شعراء العصر الحديث فى جزيرة العرب . — عبد الكريم الحقيل ـ الطبعة الاولى

٢٦ ـ الشوقيـــــات — ديوان أحمد شوقى ـ الطبعة الاولى ١٩٧٠م .

٢٧ ـ صحيفة المدينة المنورة

٢٨ ـ طيفان على نقطة الصفر — ديوان أحمد بهكلى ـ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ

٢٩ ـ العقد الثمين — ديوان محمد عثيمين ـ الطبعة الثانية

٣٠ ـ على درب الجهاد — ديوان د. زاهر الالمعى ـ الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ .

٣١ ـ على ربى اليمامة — ديوان عبد الله بن خميس ـ الطبعة الاولى ـ مطابع الفرزدق

٣٢ ـ غناء وشجن — محمد سراج خراز ـ الطبعة الاولى ١٣٩٧هـ٠

٣٣ ـ فى زورقى — ديوان عبد الله ادريس ـ الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ٠

٣٤ ـ فى ظلال السماء — ديوان محمد هاشم رشيد طبعة ١٣٩٧هـ٠

٣٥ ـ قدر ورجل — ديوان محمد حسن فقى ـ الطبعة الاولى٠

٣٦ ـ قضايا النقد الادبى — د٠ بدوى طبانة ـ طبعة المطبعة الفنية الحديثة

٣٧ ـ القيان والغناء فى العصر الجاهلى — د٠ ناصر الدين الاسد ـ الطبعة الثانية

٣٨ ـ المجلة العربية ٠

٣٩ ـ مجلة المنهل (أعداد مختلفة)

٤٠ ـ وحى الفؤاد — ديوان فؤاد شاكر ـ الطبعة الاولى٠

٤١ ـ نداء الدماء — ديوان حسن القرشى ـ الطبعة الثانية ـ دار العودة٠

٤٢ ـ نداء السحـــر — محمد السليمان الشبل ـ طبعة ١٣٩٩هـ ٠

٤٣ ـ النقد الادبى ـ أصوله ومناهجه — سيد قطب ـ طبعة دار الشروق ٠

٤٤ ـ النقد الادبى الحديث — د٠ محمد غنيمى هلال ـ طبعة ١٩٧٣م ٠

٤٥ ـ النقد الادبى عند اليونان — د٠ بدوى طبانة ـ الطبعة الثانية ٠

٤٦ ـ وحى الفؤاد — ديوان فؤاد شاكر ـ الطبعة الاولى

٤٧ ـ الينابيع — ديوان محمد على السنوسى ـ الطبعة الاولى

فهـــرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمــة	٣ - ٧
أهمية البحث	٣
منهج البحــث	٤
خطة البحــث	٥
التمهيــد	٩ - ١٦

العوامل الفعالة فى شعر هذا الاتجـاه

عوامل تتصل بالعقيدة	٩
عوامل تاريخيــة	١٠
عوامل اجتماعية	١١

الفصــل الاول

(مفهوم الشعر الاسلامــــى)	١٨ - ٧٢
الشعر الدينى فى الاداب الانسانية ..	١٨
مفهوم الشعر الاسلامى	٣٥
فنون الشعر السعودى ومنزلة الشعر الاسلامى بينها	٤٣

الفصل الثانى

موضوعات الشعر الاسلامى	٧٤ ــ ١٢٥
مايتصل بالعقيدة الاسلامية	٧٥
محاربة المبادىء الهدامة للقيم الاسلامية	٧٩
المقدسات الاسلامية فى هذا الشعر	٨٥
الدعوة الى التضامن الاسلامى	٩٩
مناجاة الخالق عز وجل	١٠٣
وصف واقع الامة الاسلامية	١١٢

الفصل الثالث

(مبانى الشعر الاسلامى)	١٢٧ ــ ٢٠٠
القوالب التقليدية	١٢٧
مظاهر التجديد فى القوالب	١٦٢
أعلام المجددين	١٨٦

الفصل الرابع

(معانى الشعر الاسلامى)	٢٠٢ ــ ٢٥٦
المعانى التقليدية	٢٠٢
استيحاء المعانى القرآنية	٢١٣
التجديد فى المعانى	٢٢١
الصدق الفنى والشعورى	٢٢٣
الوحدة ومظاهرها فى شعر هذا الاتجاه	٢٤٠

الموضـــــوع	الصفحـــــة
الفصل الخامس	
(الصورة الفنية فى شعر هذا الاتجاه)	٢٥٨ ـ ٢٨٧
معنى الصورة الفنية	٢٥٨
الحقيقة والخيال فى صور شعر هذا الاتجاه	٢٦١
التصوير المادى والمعنوى	٢٦٨
تنوع الصور فى هذا الشعر	٢٨٠
الفصل السادس	
(الشعر الاسلامى فى هذا العصر والموازنة بينه وبين الشعر الاسلامى فى العصور السابقة)	٢٨٩ ـ ٣٢١
خاتمة ..	٣٢٣ ـ ٣٢٧
فهرس المراجع	٣٢٩ ـ ٣٣٠